جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي

جامعة البصرة
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

المرأة في قصص سناء شعلان

أطروحة تقدَّم بها الطالب

علي خالد حامد

إلى مجلس كليّة التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة البصرة
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة
العربية وآدابها

بإشراف

أ.م.د. نجوى محمد جمعة

١٤٤٢هـ

٢٠٢١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))

صدق الله العليُّ العظيم

سورة الحجرات : ١٣

الإهـــــــداء

إلى القمر الذي كان ينير لي الدرب فأفل

والدي (رحمه الله)

إلى زهرة حياتي التي ذبلت سريعاً

ابنتي زهراء (رحمها الله)

إلى من كان عوني وسندي

خالي الحاج أبي رحمن (رحمه الله)

إلى التي غمرتني بفيض حنانها وجميل دعائها

والدتي (حفظها الله)

إلى من منحتني الأمل في تخطِّي الصعاب

زوجتي الغالية أم زهراء

إلى ينابيع سعادتي في هذه الحياة

أولادي (حسين ، أحمد ، عباس ، زين العابدين)

إليهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي

الباحث

الشكر والتقدير

أتقدَّم بوافر الشكر والامتنان إلى كل من أسهم في إنجاز هذه الدراسة ، وأخصُّ بالذكر أُستاذتي المشرفة الدكتورة (نجوى محمد جمعة) ، لسعة صدرها ، ودقَّة ملاحظاتها ، وحرصها الشديد على متابعة سير البحث ، فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتها . كما اتقدَّم بالشكر إلى قسم اللغة العربية رئيساً وأساتذة ، لما لمسته من رعاية واهتمام . والشكر موصول أيضاً إلى الكاتبة المبدعة الدكتورة (سناء شعلان) ، التي أرسلت لي مؤلفاتها ، وكانت على تواصل معي ، تجيب عن الاستفسارات والتساؤلات التي كانت تدور في خلدي . ولا يفوتني أن أشكر زملائي طلاب الدراسات العليا جميعاً ، وكل من أعانني بنصيحة ، وساندني ووقف معي ، فجزاهم الله عني خير الجزاء .

وصلِّ اللهم على محمدٍ الطاهر الأمين ، وآلِ بيته الغر الميامين ، وصحبه المُنتجَبين .

الباحث

المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	**أ – ث**
التمهيد : المرأة في السرد العربي	**١ – ٩**
الفصـل الأول : تمثُّلات المرأة	**١٠ – ٦٤**
توطئة	١١
المبحث الأول : المرأة بين الاستلاب والتمرد	**١٢ – ٤٤**
أولاً / المرأة المُستلَبة	١٢ – ٢٦
١– المرأة المستلبة بفعل القمع الاجتماعي	١٥ – ٢١
٢– المرأة المستلبة بفعل القمع السياسي	٢١ – ٢٦
ثانياً / المرأة المتمردة	٢٧ – ٤٤
١– التمرُّد الاجتماعي	٣٠ – ٣٥
٢– التمرُّد السياسي	٣٦ – ٤٤
المبحث الثاني / المرأة بين التعلم والجهل	**٤٥ – ٦٤**
أولاً / المرأة المتعلمة	٤٦ – ٦٠
ثانياً / المرأة الجاهلة	٦٠ – ٦٤
الفصل الثاني / علاقة المرأة بالآخر	**٦٥ – ١٠٩**
توطئة	٦٦ – ٧٠
المبحث الأول / علاقة المرأة بالآخر القريب	٧١ – ٩٣
أولاً / علاقة المرأة بالزوج	٧٢ – ٨٢
ثانياً / علاقة المرأة بأبيها	٨٣ – ٨٦
ثالثاً / علاقة المرأة بإخوتها	٨٧ – ٩٣
المبحث الثاني / علاقة المرأة بالآخر البعيد	٩٤ – ١٠٩
أولاً / العلاقة البريئة	٩٥ – ١٠٢
ثانياً / العلاقة المشوهة	١٠٣ – ١٠٩

الفصل الثالث / قضايا المرأة	**١١٠ – ١٥٤**
توطئة	١١١ – ١١٢
المبحث الأول / القضايا الاجتماعية	**١١٣ – ١٢٧**
أولاً / عمل المرأة	١١٤ – ١٢١
ثانياً / زواج المرأة	١٢٢ – ١٢٧
المبحث الثاني / القضايا النضالية	١٢٨ – ١٥٤
الخاتمة	**١٥٥ – ١٦٠**
المصادر والمراجع	**١٦١ – ١٧١**
الملخص باللغة الإنكليزية	**A – B**

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ ((**المرأة في قصص سناء شعلان**)) ، التي تقدَّم بها الطالب (**علي خالد حامد**) ، قد جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع :

المشرف : أ.م.د. نجوى محمد جمعة

التاريخ : / / ٢٠٢١م

إقرار رئيس قسم اللغة العربية

بناء على التّوصيات المتوافرة ، أرشِّح هذهِ الأطروحة للمناقشة .

التوقيع :

رئيس القسم : أ.د. سالم يعقوب يوسف

التاريخ : / / ٢٠٢١م

قرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أنَّنا قد اطَّلعنا على أطروحة الطالب (**علي خالد حامد**) الموسومة بـ (**المرأة في قصص سناء شعلان**) ، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ونعتقد أنَّها جديرة بالقبول لنيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها بتقدير ( ) .

التوقيع :
الاسم : **أ.د. سوادي فرج مكلف**
رئيساً
التاريخ : / / ٢٠٢١

التوقيع :
الاسم : **أ.د. كاظم فاخر حاجم**
عضواً
التاريخ : / / ٢٠٢١

التوقيع :
الاسم : **أ.د. محمد قاسم نعمة**
عضواً
التاريخ : / / ٢٠٢١

التوقيع :
الاسم : **أ.م.د. علي هاشم طلاب**
عضواً
التاريخ : / / ٢٠٢١

التوقيع :
الاسم : **أ.م.د. علي عبد رمضان**
عضواً
التاريخ : / / ٢٠٢١

التوقيع :
الاسم : **أ.م.د. نجوى محمد جمعة**
عضواً ومشرفاً
التاريخ : / / ٢٠٢١

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة على قرار اللجنة أعلاه .

أ.د. حميد سراج جابر
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية
/ / ٢٠٢١

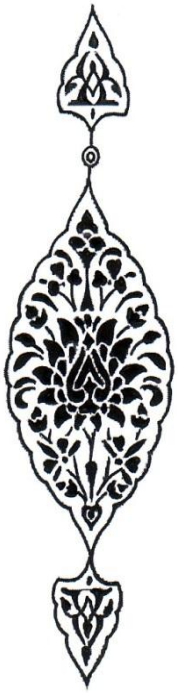

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المنتجبين .

وبعد ...

لقد شهدت الآونة الأخيرة حضوراً لافتاً للإبداع النسوي في الساحة العربية ، وفي مختلف مجالات الإبداع (القصة والرواية والشعر والمسرح والنقد) . وقد حصل ذلك بفعل عوامل متعددة لعل من أبرزها الانفتاح الثقافي ، إذ تم استيحاء التجارب العالمية ، لا سيما ما يتعلق بالحركة النسوية التي انبثقت في بعض الدول الأوربية ، وأخذ مداها ينتشر شيئاً فشيئاً في مختلف دول العالم ، ومن ذلك الدول العربية التي عانت فيها المرأة لعقود كثيرة من التمييز والإقصاء والتهميش ، إذ تم سلب إرادتها ، واغتصاب حقوقها ، وقد عملت النزعة الذكورية في المجتمع العربي على إخفاء صوتها ، عبر إبعادها عن مسرح الأحداث في مجالات الحياة المختلفة (الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإبداعية) . وقد ترك ذلك آثاراً مؤلمة على واقع المرأة العربية وجعلها تئن تحت وطأة الألم والحزن والحرمان . ومع التطور الحاصل في ميادين العلم والمعرفة والتكنولوجيا الحديثة ، وحصول عدد من النساء العربيات على تعليمهن واطلاعهن على ما يدور في العالم من نشاط نسوي يهتم بقضايا المرأة وهمومها وآلامها وآمالها ، وفي خضم تلك المعطيات برزت مجموعة من المبدعات العربيات ، وقد أخذن على عاتقهن القيام بمناصرة قضايا المرأة ، من أجل استعادة حقوقها المسلوبة ، وتعرية الفكر الخاطئ السائد في المجتمع ، وفضح ممارساته التي قيَّدت حركة المرأة العربية ، ومنعتها من الحصول على التعليم والوظائف والعمل السياسي ، ومن أولئك المبدعات العربيات الكاتبة الأردنية ذات الأصول الفلسطينية (سناء شعلان) ، إذ خصَّصت جزءاً كبيراً من نتاجها القصصي لتصوير واقع المرأة

العربية ، فكشفت عبر عدستها الإبداعية جوانب مختلفة من واقع النساء في مجتمعاتنا العربية ، فوثقت جانباً من استلابها وتمردها وثقافتها ، وأسباب تخلفها ، وألقت الضوء على تعليمها وزواجها وعملها ، وعلاقتها بالأسرة والمجتمع والسلطة . لذلك تم اختيار هذه الدراسة (المرأة في قصص سناء شعلان) ، التي كان الجهد مخصَّصاً فيها لدراسة صورها المتعددة وعلاقتها مع الآخر ، وأهم قضاياها في المدونة القصصية للكاتبة سناء شعلان . وقد اقتصرت الدراسة على القصص حصراً في متابعة صورة المرأة الواردة فيها .

وفي سبيل إتمام متطلبات البحث في ميدان الكشف عن صورة المرأة ، فقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من الدراسات التي عالجت موضوع المرأة ، على سبيل المثال لا الحصر (صورة الآخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية ، سناء جبار العبودي) ، و(شعرية الوصف في قصص سناء الشعلان ، تمارة رياض ذنون محمد) ، و(صورة المرأة في روايات سحر خليفة ، وائل علي فالح الصمادي) ، و(المرأة والحرية دراسات في الرواية العربية النسائية ، د. جان نعوم طنوس) ، و(الأنثى هي الأصل ، د. نوال السعداوي) . فضلاً عن بعض البحوث المنشورة ، والرسائل والأطاريح الجامعية ، والكتب الأخرى التي اهتمت بالشأن النسوي ، وقد تم ذكرها في قائمة المصادر والمراجع .

أمَّا عن خطة البحث ، فقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث على تمهيد وثلاثة فصول ، تتبعها خاتمة بأبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، وقائمة بالمصادر والمراجع التي أسهمت في إثراء الدراسة علمياً . فجاء التمهيد تحت عنوان (المرأة في السرد العربي) ، وتم البحث فيه عن تمثُّلات المرأة في المنجز السردي العربي ، وبيان أهم القضايا المرتبطة بها التي تم تناولها في السرد النسائي .

فيما خُصص الفصل الأول لدراسة (تمثُّلات المرأة) ، وقد ضم مبحثين ، تناول المبحث الأول بدراسة (المرأة بين الاستلاب والتمرد) ، وبيان البواعث التي أدَّت إلى وضع المرأة في دائرة اليأس والاستلاب ، وأثر ذلك على حياتها ، فضلاً عن البحث في أبرز الدوافع التي قادت المرأة إلى التمرد . فيما جاء المبحث الثاني لدراسة (المرأة بين التعلم والجهل) ، والوقوف عند العوامل التي أسهمت في أن تعيش المرأة تحت وطأة التخلف والجهل . وفي المقابل حرصت الدراسة على إظهار صورة المرأة المتعلمة ، وهي تمارس دورها في ميادين الحياة المختلفة .

أمَّا الفصل الثاني ، فقد اختصَّ بدراسة (علاقة المرأة بالآخر) ، وقد تم تقسيمه على مبحثين ، كان الاهتمام منصباً في المبحث الأول على دراسة (علاقة المرأة بالآخر القريب) ، لا سيما الزوج والأب والأخ ، فيما عالج المبحث الثاني (علاقة المرأة بالآخر البعيد) ، وبيان جوانب من العلاقات التي أقامتها بعض النساء ، سواء أكانت بريئة قوامها الحب والود والتفاهم ، أو مشبوهة طغى عليها جانب الخيانة ، والنظر للمرأة على أنَّها جسد للمتعة ليس إلا .

فيما خُصِّص الفصل الثالث لدراسة أبرز (قضايا المرأة) ، وقد اشتمل على مبحثين ، نهض المبحث الأول بدراسة (القضايا الاجتماعية) عبر التركيز على بيان كيفية حصول المرأة على العمل ، والمتاعب والصعاب التي واجهتها بعض النساء في ميدان العمل . فيما تمَّ إلقاء الضوء على واقع المرأة في ظل زوجها ، وقد عالجت الدراسة بعض الجوانب المتعلقة سواء بنجاحها في علاقتها بزوجها ، أو فشلها في الحفاظ على رابطة الزواج ، والانزلاق في مهاوي الخيانة والرذيلة . أمَّا المبحث الثاني ، فقد تمَّ تخصيصه لدراسة (القضايا النضالية) ، عبر البحث في أبرز المواقف التي صوَّرت معاناة المرأة الفلسطينية ، بفعل ممارسات الاحتلال الصهيوني . فضلاً عن الوقوف عند دورها الجهادي في مقاومة المحتل ، واتباع سبيل النضال .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أقدم شكري وتقديري للأستاذة المشرفة الدكتورة (نجوى محمد جمعة) ، لما أبدته من حرص شديد في سبيل معالجة مواطن الزلل في هذه الأطروحة ، وتذليل الصعوبات التي واجهها الباحث في فترة البحث والكتابة ؛ إذ منحتني الكثير من وقتها على الرغم من الظروف المؤلمة التي مرَّ بها شعبنا العزيز ، ولم تبخل عليّ بإرشاداتها ونصائحها منذ أن اقترحتها عنواناً حتى إنجازها بشكلها الأخير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المنتجبين .

الباحث

التمهيد

المرأة في السرد العربي

المرأة في السرد العربي

عندما بدأت البلدان العربية تنال حريتها ، وتحصل على استقلالها من الاحتلال الأجنبي ، أخذت الحياة تنتعش شيئاً فشيئاً ، وبدأ التطور يدخل في ميادينها المختلفة لا سيما الميدان الثقافي ، فازداد الاهتمام بالتعليم والمعرفة ، وأخذت المرأة بعضاً من حقوقها ، وظهرت الكثير من المؤسسات والمنظمات والمنتديات التي دعت إلى مناصرة حقوق المرأة ، ونادت بحرية المرأة ، وضرورة مساواتها مع الرجل ، وتحطيم القيود البالية التي كانت تكبل جميع المحاولات الرامية إلى استحصال الحقوق المشروعة ، وأن تأخذ دورها في الحياة شأنها في ذلك شأن الرجل .

ومن الجدير بالذكر أنَّ تأثير النشاطات النسوية التي ظهرت في الغرب كان كبيراً على المرأة العربية ، إذ ظهرت مجموعة من الناشطات والمبدعات العربيات اللاتي طالبن بتعليم المرأة ، وحصولها على العمل اللائق ، فتكون بذلك محترمة في البيت ، ومكان العمل ، وفي المجتمع . ومن أبرزهن الكاتبة (سيمون دي بوفوار) التي كانت ((مدافعة عن حق المرأة في الوجود الحر والمستقل ، ومدافعة عن فكرتها الشائعة "إنَّنا لا نولد نساء ، لكنَّنا نصير كذلك"))[١]. وقد كان لهذه الأفكار والرؤى دور كبير في تحريك النساء – وفي مختلف دول العالم – ودفعهن نحو المطالبة بحقوقهن .

فضلاً عن ذلك فإنَّ وعي المرأة بتحرير ذاتها ، أدَّى إلى ظهور خطاب يُعنى بتغيير الوعي الجمعي السائد ، ورؤية الإنسان لذاته وللعالم الذي يعيش فيه[٢]. فبرزت نتيجة لذلك حركة نسوية عربية أخذت على عاتقها استعادة الحقوق المسلوبة ، وقد اتَّسم أداؤها بالجرأة والقدرة على تغيير النظرة الخاطئة التي أبعدت المرأة عن تأدية مهامها في المجتمع

---

(١) المرأة والسرد ، محمد المعتصم ، دار الثقافة – الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٤م : ٨ .

(٢) ينظر : الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية ، د. يمنى العيد ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١١م : ١٣٩ .

على أكمل وجه . وقد كانت أغلب أولئك النساء من المبدعات ، إذ عملن على كسر السلاسل والقيود التي كانت تقف عائقاً أمام تعليم المرأة وتثقيفها ، فدخلن في مجال الكتابة الإبداعية (الشعر والقصة والرواية والمسرح) ، إذ إنَّ ((فعل الكتابة عند المرأة هو انعتاق من ضغوط البيئة ، وأحكام القيم والأعراف ، وضوابط الأخلاق . والكتابة عندها مخاض وولادة ونقاء))[١]. فكانت هذه الفنون الإبداعية منطلقاً للتعبير عن آهات المرأة وهمومها وآلامها من جهة ، وآمالها وأحلامها من جهة أخرى . فقد ((قدَّمت المرأة العربية الكاتبة أنماطاً من البناء تحدتن بها السرد العربي على خلفية منظور فكري يقول بالاختلاف على أساس التعدد والتنوع ، وليس على أساس من معايير قيمية تضع الأنوثة ضد الذكورة أو دونها))[٢].

وبذلك فالمرأة أصبحت عنصراً مشاركاً في الحياة الثقافية ، وفي مختلف جوانب الحياة ، وتبوأت مناصب المسؤولية في مواقع متعددة ، لذلك فإنَّ الحضور الكبير لصوت السارد في الكتابة السردية النسائية يدل على المقام الذي بلغته المرأة بعد أن تجاوزت المواقف الخجولة وأدوار المسكنة التي فُرضت عليها ، فبدأ صوتها بالارتفاع من خلال الصحف التي أنشأتها أو ساهمت في إنشائها والكتابة فيها[٣]. وأخذ دورها يتصاعد شيئاً فشيئاً .

وقد حفرت في داخل النفس الإنسانية ، وفي ثنايا الذاكرة ، بعد أن كان العالم الخارجي حكراً على الرجل ، نظراً لطول تجربته في هذا الميدان ، فعملت المرأة على تفكيك العوالم الداخلية ، ونحت بالسرد العربي المعاصر من الخارج الاجتماعي

---

(١) سرد المرأة وفعل الكتابة دراسة نقدية في السرد وآليات البناء ، د. الأخضر بن السائح ، دار التنوير – الجزائر ، (د.ط) ، ٢٠١٢م : ٢٨ .

(٢) الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية : ١٤٩ .

(٣) ينظر : المرأة والسرد : ٩ .

والإيديولوجي إلى الداخل المجهول والغائب ، فأسست بذلك كتابة سردية ذاتية ، ليست ذاتوية مريضة ، ولا رومانسية بكائية ، وإنَّما تحليل وتشريح للمخزون الدفين[١].

وعبر الكتابة تحوَّلت المرأة من موقع الاستلاب إلى موقع آخر أعاد للمرأة شيئاً من حقوقها ، إذ يعد ((سرد المرأة كشفاً لحجب الثقافة المتجذرة ، وتعرية للحقائق والأشياء ، وإظهار للمستور والمقنَّع ، بل إنَّ أصل الكتابة – عندها – هو الخروج من الديجور إلى النور ، حيث الحركة مع الذات ، والامتلاء الواعي بالوجود))[٢].

وقد ارتبطت الكتابة النسوية بمحاولة المرأة إثبات ذاتها ، والعمل على إبراز هويتها الأنثوية ، إذ اجتهدت كثيراً في نقل النساء من حالة الخضوع للسلطة الذكورية إلى واقع جديد استطاعت عبره المرأة أن تعبِّر عن نفسها بالقلم والإبداع ، ونجحت في تبنِّي وجهة نظر خاصة اتجاه قضايا المجتمع المحيطة بها ، واستطاعت أن تفصل كتاباتها عن أسلوب الرجل ولغته[٣]. وقد أدَّت المرأة في كثير من المواقف دور البطولة في السرد العربي ، لتبدو أنموذجاً إنسانياً تعيش في حالة من التشتت والضياع ، تبحث عمَّن ينتشلها بين تخلف الشرق الإنساني وتقدم الغرب اللا إنساني في برودته وفردانيته ، كما ورد في بطلات بعض الساردات العربيات .

لذلك أصبح الحديث عن أدب نسائي أكثر إلحاحاً ، فالمرأة حين تكتب لا تستند إلى ذاتها بمعزل عن الموروثات والقيم الفعلية التي تمارسها وتتماهى معها[٤]. وهي لا تسعى

---

(١) ينظر : المرأة والسرد : ١١ .

(٢) سرد المرأة وفعل الكتابة دراسة نقدية في السرد وآليات البناء : ٢٩ .

(٣) ينظر : صورة المرأة في روايات حنان الشيخ ، رنا أحمد عبد الفتاح عبد الحليم ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية – كلية الدراسات العليا ، ٢٠١٠م : ٣ .

(٤) ينظر : السرد النسائي القصير في العراق ، د. نادية هناوي سعدون ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع – بغداد ، ط١ ، ٢٠١٢م : ٢٨ .

إلى إنتاج خطاب يكون مضاداً للخطاب الذكوري ، فكتابتها ليست إلغاء للطرف الآخر ، بل هو مشاركة من منظورها في صنع الحياة ، بعد أن غابت عن هذه المشاركة لأوقات طويلة ، بفعل تسلط الآخر الذي أوهمته السلطة بأنَّ لا منافس له ، لذلك كتبت ضد أيديولوجيا السلطة الذكورية ، فكتاباتها تضمر معنى الدفاع عن الأنا الأنثوية[١]. والكشف عن معاناتها وهمومها ، وبيان تطلعاتها وأمنياتها ، والبوح بمشاعرها وأحاسيسها . وبحسب وجهة نظر الناقدة (يمنى العيد) فإنَّ المرأة تجد في ميدان الكتابة الإبداعية ((عملية تحرير لقدراتها الفكرية ومشاعرها ، ولإنضاج رؤاها ، كما أنَّه سبيل لإغناء وعيها ، وتعميق تجربتها بالحياة ، إنَّه إمكانيتها الوحيدة لإقامة علاقة الاستمتاع بفرح الإبداع))[٢].

لذلك لا يمكن أن نعد كتابة المرأة عن ذاتها وهمومها ومشاعرها ضعفاً ، فقد طرحت قضايا بالغة الدقة والأهمية عن عالم المرأة الخاص ، الذي لم يتطرق إليه الرجل ، وإن اجتهد في تصوير عالم المرأة ، فهو رسم صورة المرأة بما يوافق أفكاره عنها ، لا كما هي في الحقيقة ، لذلك نهضت المرأة بمهمة كشف الستار عن خبايا عالمها المظلم ، وعملت جاهدة على أن تكون المرأة في نتاجها الأدبي كما هي في الواقع ، لا كما صوَّرها الرجل[٣]. لذلك اتَّسم السرد النسائي بمميزات خاصة ، غلب عليه جانب التمرد عبر الخوض في قضية الجسد ، فتم تجاوز التابوهات التي كانت تحرم المرأة من الخوض فيها ، مثل (الجنس والسياسة والدين) ، فأخذ الخطاب السردي الأنثوي من ((الجسد إيحاءاته الرمزية وحيوية علاقاته بالعالم الخارجي ، كما بالعوالم الداخلية ، وهو إذ يمرر

---

(١) ينظر : الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية : ١٤٦ .

(٢) مساهمة المرأة في الإنتاج الأدبي ، يمنى العيد ، مجلة الطريق ، العدد٤ ، نيسان ، ١٩٧٥م : ١٤٣ .

(٣) ينظر : صورة المرأة في روايات حنان الشيخ : ٥ .

عبره الأحاسيس والعواطف ، يجعل من ترابطه المرآوي بالجسد وسيلة يتمكن من خلالها من إنتاج أثره الفني))[١]. حتى امتلأت الكتابات النسائية بالحديث عن الجنس بجرأة كبيرة ، ((وقد رأى البعض أنَّ اقتحام النساء لمجال الكتابة الإيروتيكية إنَّما جاء تمرداً من الهامش النسوي على المتن الذكوري الذي احتكر كتابة الجسد ، ونُظِر إليه في الخطابات الشعبية على أنَّه معرفة محرمة اقترنت بالفضيحة والهامش ، وكتابة مثيرة للغرائز ، وباعثة على ممارسة العادة السرية ، وارتكاب الفاحشة ، وممارسة الرذيلة ، وانتشار الزنا واللواط))[٢]. فكان في المنظور النسائي جزءاً من وعي تولَّد لدى المرأة الساردة بضرورة اقتحام ميادين التعبير المختلفة ، التي كانت مُحرَّمة على النساء ، ولا يُسمَح إلا للذكور بارتيادها .

وقد كانت الكاتبة نوال السعداوي علامة فارقة في الكتابة النسائية العربية ، نظراً لجرأتها في معالجة تفاصيل دقيقة تتعلق بالمرأة ، لا سيما ما يخص تكوينها النفسي والفيسيولوجي ، ومشاعرها وأحاسيسها وتطلعاتها ، والتعريف بالتهميش الذي لحقها على مر العصور . وقد كان لها دور كبير في تشجيع الكاتبات العربيات على الكتابة في ميدان الإيروتيكية ، وفضح الأساليب الذكورية التي كانت تنتقص من دور المرأة وقدراتها في صنع الحضارة والثقافة ، ومنعتها من المساهمة في تطور المجتمع وتقدمه لقرون عديدة .

---

(١) الجسد وفتنة الكتابة ، عبد النور إدريس https://m.ahewar.orgs.asp?aid=52850r=0 .

(٢) الهامش الاجتماعي في الأدب – قراءة سوسيو ثقافية ، هويدا صالح ، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٥م : ٢٣٤ .

ومن تلك النساء المبدعات القاصة سناء شعلان[١]، التي جعلت من المرأة عنصراً أساسياً في كتاباتها الإبداعية ، فسخَّرت جهودها الإبداعية في مناصرة قضايا المرأة المختلفة ، فكانت تعي مدى المعاناة والألم الذي تعرَّضت له المرأة ، فعملت جاهدة على فضح توجُّهات الثقافة الفحولية ، ونظرتها الجائرة تجاه المرأة ، فـ ((حين تدخل المرأة عالم الكتابة ، تكون قد أثبتت حضورها ، وكرَّست بقاءها ، وفرضت مرحلة أخرى مختلفة ، تبعاً للحساسية الجديدة المتولدة عن الرؤية النسائية ، التي تسهم – عادة – في إعادة صياغة الآخر ، ذلك أنَّ وجود المرأة المهمش ، ومظاهر الاستلاب الواقعة عليها ، قد يجعلها تتكئ على التعرية الفكرية ، قصد تصحيح المفاهيم ، وتوضيح الرؤى))[٢]. فالكتابة تمثِّل تفجيراً للمكبوت والمخفي ، إذ تستدعي المكبوت المتراكم عبر الزمن ، لتعلنه

(١) هي أديبة وأكاديميّة وإعلاميّة أردنيّة من أصول فلسطينيّة ، ومراسلة صحفيّة لبعض المجلّات العربيّة ، وناشطة في قضايا حقوق الإنسان والمرأة والطّفولة والعدالة الاجتماعيّة ، تعمل أستاذة للأدب العربي الحديث في الجامعة الأردنية ، حاصلة على شهادة الدّكتوراه في الأدب الحديث ونقده من الجامعة الأردنية بتقدير امتياز عام ٢٠٠٦م ، وقد عملت محاضراً متفرغاً لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة نفسها ، ومحاضراً غير متفرغ في الجامعة نفسها ، ومحاضراً غير متفرغ في قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية . لها مشاركات واسعة في مؤتمرات محلّية وعربيّة وعالميّة في قضايا الأدب والنّقد ، وحقوق الإنسان ، والبيئة ، والعدالة الاجتماعيّة ، والتّراث العربيّ ، والحضارة الإنسانيّة ، والآدابِ المقارنة . وعملت مراسلة لمجلة الجسرة الثقافية في قطر ، وعضو هيئة استشارية في مجلة الجسرة الثقافية ، وعضو هيئة إدارية في دارة المشرق للفكر والثقافة . وهي – أيضاً – عضو في رابطة الكتاب الأردنيين ، وفي الاتحاد العام للأدباء والكتَّاب العرب . لها ما يقارب (٦٥) مؤلفاً منشوراً بين كتاب نقدي متخصِّص ورواية ومجموعة قصصيّة ونص مسرحي . ينظر : معجم القاصين والروائيين الأردنيين ، محمد المشايخ ، تقديم : مفلح العدوان ، دائرة المكتبة الوطنية ، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان، ط١ ، ٢٠١٩م : ١٠١ – ١٠٣ . ومعجم أدبيات الأردن وكاتباته ، محمد المشايخ ، دائرة المكتبة الوطنية ، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان ، ط١ ، ٢٠١٢م : ١٠٤ – ١٠٥ . ودليل آفاق حرة للأدباء والكتاب العرب ، محمد حسين الصوالحة ، دائرة المكتبة الوطنية ، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان ، الإصدار الأول لعام ٢٠٢٠م : ١٠٠ – ١٠٢ .

(٢) سرد المرأة وفعل الكتابة دراسة نقدية في السرد وآليات البناء : ٣٠ – ٣١ .

في الميدان الإبداعي ، وتمثُّل صراعاً مع الرجل ، فتعمل الذات الأنثوية في خطابها الأدبي ، والسردي خاصة لتثبت مكانتها بقوة في عالم الذكورية ، وبيان قدرتها على التموقع في عالم المغامرة والإبداع ، وتجاوز وضعها المهمش ، وتغيير واقعها المتدني[١].

وقد اتَّخذت الكاتبة سناء شعلان من الجانب السردي – لا سيما القصة القصيرة – أداة للبوح بما يعتمل بداخلها من مشاعر إنسانية ، وما يدور في خلدها من أفكار ورؤى ، وقد كانت مقتنعة كثيراً بقدرة الفنن القصصي على إيصال رسالتها إلى المتلقي ، فتذكر في أحد الحوارات الصحفية أنَّ ((لكل فن أداة ترميزية قادرة على تشكيل الخطاب الإنساني إذا توافرت فيها وجهة نظر مكتملة ، وطاقة قادرة على تطويع الترميز بما يلبِّي الهدف والغاية ، وبهذا يصبح البحث عن الشكل : الرواية أو القصة أو غيرها مسألة إفراغ مضمون في شكل ، والقصة القصيرة بما تمتاز به قدرة على الاختزال والتكثيف تعد شكلاً مطواعاً لخطابي الذي يُعنى بالوقوف الجريء والسريع عند نشاط الإنسان الداخلي والخارجي ورصد علاقاته مع واقعه ، ومن ثم التنديد بهذا الواقع الذي يستلب الإنسان ، ويهدد أحلامه وإبداعه))[٢]. وبذلك فإنَّ الكاتبة تعيش الهم الإنساني لا سيما ما يتعلَّق بقضايا المرأة ، وتعمل على تجسيده عبر خطابها الإبداعي .

---

(١) ينظر : الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل ، أطروحة دكتوراه ، بايزيد فطيمة الزهرة ، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة – كلية الآداب واللغات ، ٢٠١١م / ٢٠١٢م : ٥٩ . والكتابة النسوية من السلطة الذكورية إلى المتخيل الأنثوي رواية (قيد الفراشة) لشرين سامي أنموذجاً ، رسالة ماجستير ، نادية مباركية – عفاف هوام ، جامعة العربي التبسي – تبسة ، كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٦م / ٢٠١٧م : ١٤ .

(٢) حوار مع د. سناء شعلان ، صحيفة الرياض اليومية ، العدد ١٣٨٣٥ ، الخميس ١٣ / ربيع الآخر / ١٤٢٧هـ – ١١ / ٥ / ٢٠٠٦م . موقع الصحيفة على شبكة الأنترنت alriyadh.com .

وقد عملت القاصة سناء شعلان على طرق أبواب المخفي والمسكوت عنه ، ومعالجته سردياً ، لذلك كان التمرد الأنثوي السمة البارزة في منجزها القصصي ، سواء أكان التمرد على الواقع الاجتماعي ، بكل ما يحمله من تراث ثقافي يميل لصالح الرجل على حساب المرأة ، أم التمرد على ممارسات الاحتلال الصهيوني ، الذي أذاق أبناء الشعب الفلسطيني أنواع العذاب والقهر والاضطهاد . فضلاً عن صور أخرى تناولت فيها القاصة قضايا المرأة المختلفة (الاجتماعية والنضالية) ، وهذا ما ستكشفه الدراسة في ميدانها الإجرائي .

الفصل الأول

تمثُّلات المرأة

توطئة

لم تكن تمثُّلات المرأة على نمط واحد ، أو نسق معيَّن في قصص سناء شعلان ، بل وردت بأشكال مختلفة ، وأنماط متضادة ، فيها ما يبعث على الفرح والأمل بالخلاص من حالة قاتمة رافقت المرأة طويلاً ، وفيها ما هو مؤلم ومليء باليأس والتشاؤم ، وهذا أمر طبيعي أن يبرز التضاد والتناقض والاختلاف ، بفعل طبيعة الحياة في أغلب مجتمعاتنا العربية ، التي تسود فيها الثقافة الفحولية القائمة على تهميش المرأة ، فضلاً عن التناقض بين الأقوال والأفعال ، إذ إنَّ هناك اختلافاً واضحاً بين منزلة المرأة في الثقافة الإسلامية ، وما هي عليه في الواقع ، والذي غالباً ما تكون فيه مضطهدة ، بعدما تمَّ إبعادها عن أخذ دورها الحقيقي . لكن هذا لا يعني أنَّ المرأة استسلمت تماماً لما مفروض عليها ، بل برزت نهضة حقيقية في أقطار عربية متعددة ، تؤكد مدى حاجة المجتمع لإمكانات المرأة وجهودها التي تمَّ إخفاؤها لقرون كثيرة . فكما أنَّ هناك إقصاء وظلماً للمرأة ، نجد هناك حالة من التمرد والثورة تصدَّى لها عدد كبير من النساء ، رفضاً لمن قام باستلابها وإذلالها . وكما أنَّ هناك جانباً من تخلف المرأة وجهلها ، تبرز صورة المرأة المثقفة ، التي حازت على مستوى متقدم من التعليم والوعي الثقافي ، الذي مكَّنها من الولوج إلى ميادين الحياة المختلفة ، فكانت المعلمة والفنانة والرياضية والموظفة ، وفي المؤسسات المحلية والعالمية . لذلك فإنَّ هذا الاختلاف في صورة المرأة قد وجد طريقه إلى مخيلة الكاتبة سناء شعلان ، التي كانت تعي ذلك جيداً ، فكانت تراقب المجتمع بدقة كبيرة ، وتعرف ما يدور فيه من نهج ذكوري ، فقامت بالتقاط صور مختلفة للمرأة في استلابها وتمردها من جهة ، وفي تخلفها وثقافتها من جهة أخرى . وهذا ما سنقوم بدراسته في هذا الفصل .

المبحث الأول

المرأة بين الاستلاب والتمرد

بما أنَّ الثقافة العربية هي ثقافة ذكورية ، فهذا يعني أنَّ الرجل هو العنصر الممثل لهذه الثقافة ، والمعبِّر عن توجهاتها المختلفة ، وهذا الدور المركزي للرجل في المجتمع العربي ، قد هيَّأ له مجالاً واسعاً لممارسة سلطته على المرأة ، إذ تعد في المنظور الذكوري الفضاء الذي يمكن أن تتجلَّى فيه هذه السلطة في أوضح صورها[١]. وهذا الأمر لا شك يترك آثاراً مأساوية على واقع المرأة ، فنجدها في حالات كثيرة ترزح تحت سلطة الرجل ، وتئن من آثارها وتبعاتها المؤلمة ، الأمر الذي يعمل على تفاقم حالة الحزن والاغتراب ، والشعور بهامشيتها في المجتمع . لذلك يسيطر عليها الاستلاب ، وقد يدفعها إلى اليأس والإحباط . إلا أنَّ ذلك قد يكون حافزاً ودافعاً لمغادرة موقعها ، والتمرد على السلطة الذكورية ، عبر ممارسات مختلفة ، ووسائل متعددة . وهذا ما ستقف عنده الدراسة في هذا المبحث .

أولاً / المرأة المُستَلَبة

يحيل الجذر اللغوي للاستلاب في معاجم اللغة العربية إلى الفعل (سلب) ، الذي يشير في بعض معانيه إلى الانتزاع بوسائل الإكراه . وقد ذكر ابن منظور ذلك في معجمه بقوله : ((سَلَبَ : سَلبَهُ الشيء يسلبُه سلباً ، والاستلاب : الاختلاس ، والسَلَب ما

---

(١) ينظر : المرأة والسلطة قراءة في الموروث النقدي ، د. جابر خضير جبر ، مجلة واسط للعلوم الإنسانية ، عدد ١٩ ، ٢٠١٢م : ٣ .

يُسلَب : والجمع أسلاب . ورَجلٌ سَليب : مُستلَب العقل ، وشَجرةٌ سَليب : سُلبَت ورقها وأغصانها ، والنخلُ سُلُب أي لا حَملَ عليها))[١].

أمَّا في الاصطلاح ، فيعني الاستلاب ((حالة إنبهارية وانسحاقية ، تحت ظروف خارجة عن الإرادة ، كما إنّه انقطاع عن الانتماء إلى الذات والتشيؤ القهري))[٢]. فتتولَّد عند الشخص المُستلَب حالة من الضياع والشعور بالعدمية والانعزال في بعض الأحيان ، فـ ((يشعر بسبب ذلك بالعزلة والقهر والانكفاء على الذات ، تحت تأثير ضغوط سياسية أو اجتماعية أو دينية أو اقتصادية أو نفسية أو ثقافية تُفرَض عليه من المجتمع أو السلطة أو جماعة مستبدة ، فيفقد الانسان انتماءه إلى نفسهِ ومجتمعهِ ووطنهِ ، ويتحول إلى شخص هامشي ليس له صوت أو تأثير داخل مجتمعه ، ويفقد التواصل والتضامن مع الآخرين ، والإحساس بالواقع أو التعايش معه))[٣]. والاستلاب ينتج شيئاً من العجز والضعف في حالات كثيرة ، تجعل المسُتَلب غير قادر على مواجهة عوامل استلابه ، فيفقد بذلك مقومات الدفاع والمقاومة . إذ يحوي الاستلاب ((ظلالاً كثيرة منها السلب والتدمير كنقيض للإيجاب والبناء ، ومنها السلب بمعنى الانتزاع والخلع أو الانخلاع ، والسلبية بمعنى النكوص والانطواء وما شاكل))[٤]. ويعكس الاستلاب حالة الاختلاف

---

(١) لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي ، صحَحهُ : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي، لبنان – بيروت ، (د.ط)، (د.ت) : مادة سَلَبَ .

(٢) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥م : ١١٣ .

(٣) الشخصية المستلبة في الرواية العراقية المعاصرة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٨ ، رائد جميل عكلو ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٦م : ٢١ .

(٤) الاستلاب (هوبز ، لوك ، روسو ، هيغل ، فويرباخ ، ماركس) ، فالح عبد الجبار ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٨م : ١٥ .

والعداء بين الذات والآخر ، وجدلية النزاع والصراع بينهما ، منذ أقدم الأزمان ، وإلى يومنا هذا . إذ ((تمثِّل ظاهرة الاستلاب إشكالية وجودية معقدة رافقت وجود الإنسان منذ نشأته حتى ارتقائه في سلم الحضارة ، وهي تنطوي على صراع وجودي بين نزعات بدائية "الميل إلى القوة ، والامتلاك" ، ونزعات عقلية متسامية تعمل من أجل تحقيق كينونتها . وظاهرة الاستلاب تحيل إلى معادلة مختلة بين ذوات مُهيمنة ، وأخرى مُستسلمة فاقدة لفاعليتها المؤثرة))[١].

ولعلنا لا نجانب الصواب كثيراً ، إذا قلنا إنَّ ظاهرة الاستلاب قد رافقت المرأة منذ القدم ، وإلى يومنا هذا ، بفعل عوامل متعددة (اجتماعية وسياسية واقتصادية ثقافية) ، فهي الطرف الأضعف في المعادلة الاجتماعية ، فيُنظَر إليها على أنَّها كائن هامشي تابع للرجل ، والمرأة المستلبة تكون منتزعة الإرادة والهوية ، تعاني من قهر المجتمع واضطهاده لها ، لا تتصرف بناء على رغبتها الذاتية ، بل على وفق ما يملي عليها الآخرون ، إذ ليس بمقدورها اتخاذ القرار المناسب بمفردها ، وتبقى تنتظر من يقرر عنها ، وحتى لو قررت فليس باستطاعتها التنفيذ ؛ لأنَّ مشاعر الخوف والقلق والتردد تسيطر عليها ، لذلك فهي ليست اجتماعية ، وتحب دائماً الانزواء والتقوقع على ذاتها ، لا تقدم على الاعتراض والرفض ، ولا تقوى على المواجهة ، لذا تعيش في أجواء الإحباط واليأس ، وتكون منقادة لرأي المجموع ، دون الاستناد إلى العقل ، فتميل إلى الانهزام تجاه الطغيان والقهر ، الذي تمثله السلطة بأنواعها المختلفة[٢]. وقد واجهت المرأة عبر التاريخ صنوفاً مختلفة من التهميش والإقصاء ، فتعرَّضت للتغييب المقصود ، ونالها العنف بشتى أنواعه في مواقفٍ كثيرة ، لا سيّما العنف الأسري الذي يحدث ؛ بسبب تسلط الرجل ،

---

(١) جماليات النص الأدبي (دراسات في البنية والدلالة) ، د. مسلم حسب حسين ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ٩٩ .

(٢) ينظر : صورة المرأة في روايات حنان الشيخ : ٢١ .

وعدم العناية بالزوجة أو الأخت أو البنت تحت ذرائع مختلفة ، تغذيها مرجعيات ثقافية موروثة ، وفَّرت مساحة كبيرة للهيمنة الذكورية ، ومكَّنتها من التمدد على حساب المرأة ، لذلك ((فإنَّ العنف ضد المرأة سلوك ينتقل عبر الأعراف الاجتماعية والمعتقدات والإيديولوجيات ، التي تعمل على المصادقة عليه ، وقبوله ضمن دائرة ثقافة ما))[١]. فضلاً عن العنف السلطوي المتجسَّد في ممارسات السلطة الحاكمة تجاه أبناء الشعب ، التي لا تستثني النساء من أفعالها التعسفية . إلا أنَّ أشد الأشياء ضرراً على المرأة ، ما قامت به سلطة الاحتلال الصهيوني من ممارسات قمعية بحق أبناء الشعب الفلسطيني ، والمرأة الفلسطينية لم تكن بعيدة عن تأثير العنف الصهيوني ، فقد تعرَّضت لأنواع مختلفة من القمع والاضطهاد ومصادرة الحقوق ، وقد شكَّل ذلك باعثاً من بواعث حزنها وآلامها ، وشعورها بالاستلاب . لذلك سنقوم بدراسة ذلك عبر محورين هما : (المرأة المستلبة بفعل القمع الاجتماعي) ، و(المرأة المستلبة بفعل القمع الصهيوني) .

١ - المرأة المستلبة بفعل القمع الاجتماعي

يولِّد القمع الاجتماعي الذي يقع على بعض الأشخاص حالة من الاستلاب الشديد ، الذي يعد من أخطر أنماطه ، وأكثرها تأثيراً وضرراً على المجتمع ، إذ لا يقتصر على سلب حقوق الفرد ، وإنّما يتعداه إلى سلبِ كيانِه ، وهدرِ طاقاتهِ . وربَّما يؤدي إلى طمس شخصية الإنسان ، وسحق لإنسانيته ، وتدميره بمختلف الوسائل المتاحة ، من أجل إضعافه والسيطرة عليه . فضلاً عن ذلك فإنَّ الاستلاب الاجتماعي يمثل حالة من فقدان الفرد لإيمانه بقدراته ، ووصوله إلى قناعةٍ عميقةٍ بعدم القدرة على المواجهة ، وبحتميّة

---

(١) جرائم الشرف في رواية شرفة العار لإبراهيم نصر الله – قراءة على ضوء النقد النسوي ، شهريار نيازي – فاطمة أعرجي ، بحث منشور ، مجلة الآداب ، ملحق العدد ١٢٩ ، حزيران ، ٢٠١٩م : ١٩ – ٢٠ .

انتصار المرجع الاستلابي ، ويؤدي ذلك في آخر المطاف إلى مَحو الذات الحقيقية ، واستبدالها بذات تكون في الغالب خاضعة ، وتظهر عليها ملامح الخوف والقلق والضعف[١]. والاستسلام للأمر الواقع ، فتبدو عاجزة عن إيجاد الحلول التي يمكن أن تعينها على رفض ما يقع عليها من قهر وظلم ، ودفع الأذى الذي سيلحقها . وهناك صور متعدِّدة تمَّ رصدها ، تجسِّد جوانب مختلفة من استلاب المرأة بفعل العوامل الاجتماعية .

وممَّا لا شك فيه أنَّ الاستلاب يترك أثراً نفسياً مؤلماً ، فهو ((صنيعة الخيبة والعجز ، وهو رديف الإحساس بالضياع واللا جدوى الذي يحكم قبضته في نفس الإنسان ، فيحيله إلى حال التسليم المرَضي ، والرضا بالعيش في هامش الحياة))[٢] ، والمرأة تمثِّل صيداً سهلاً للاستلاب ، فقد تدفعها بعض العوامل الاجتماعية الضاغطة إلى مغادرة حالة العيش الطبيعي ، والدخول في أجواء العزلة والحزن واليأس ، فتعيش مرغمة في دائرة الاستلاب ، فتفقد القدرة على الصمود والصبر والمواجهة . ومن أبرز تلك العوامل فقد الأبناء ، الذي يُعد من أكثر الأشياء تأثيراً على الانسان عموماً ، وعلى المرأة بشكلٍ خاصٍ ، نظراً لما تتماز به المرأة من رقة في العواطف ، وحنان كثيف ، وما عُرِف عنها في مجال تعلقها الشديد بأبنائها ، فقد أودع الله سبحانه وتعالى بداخلها حُباً شديداً لهم ، لذلك فإنَّ فقد الابن يولّد حزناً وألماً ، ويحدثُ شرخاً في نفسيةِ المرأة ، يترك آثاراً سلبية على حياتها ، قد يرافقها إلى آخر عمرها ، فتعيش حالة من الاستلاب ، والحزن الطويل .

---

(١) ينظر : الاستلاب وأنماطه في قصص محيي الدين زنكنة ، نهى خليل إبراهيم رشيد ، رسالة ماجستير ، جامعة ديالى – كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠١٤م : ٦٣ – ٦٤ .

(٢) الشخصية المستلبة وأثرها في البناء السردي لرواية (وليمة لأعشاب البحر – نشيد الموت) ، د. زينب عبد الأمير حسين القيسي ، مجلة مداد الآداب ، عدد١١ ، ٢٠١٧م : ٦٩ .

ونجد ذلك في قصة (باميلا الصغيرة) الواردة في المجموعة القصصية (الهروب إلى آخر الدنيا) ، إذ صوَّرت حالة الاستلاب التي عاشتها (أم باميلا) ، بعدما قام زوجها (عزت) بدفع ابنتها وحبيبها إلى الانتحار معاً ، بدافع الغيرة ، حينما أحسَّ أنَّ قلبه قد تعلَّقَ بـ (باميلا) ، ((**وابتلعت المقبرة ضيفيها الصغيرين وحَلَّ المساء ساكناً رهيباً إلاّ من صوت نعلي عزت الذي عادَ مكسوراً يحمل فاساً كبيرة ، كان مصمماً على أن يخترق التراب لينتزع باميلا من حضن حبيبها الصغير ، ويضمها إلى صدره كما اعتادَ دائماً ، كان يكره فكرة أنها في حضن رجل غيره ، بعبارة أدق كان يغار عليها حتى من الموت ، صحيح أنها كانت طفلته لزمنٍ طويل ، لكنها منذ عامين وقهر أنفه غدت امرأة أحلامه ... كان يتوق إلى أن يسمعها تقول له حبيبي**))[١]. وقد أثَّر ذلك تأثيراً كبيراً على (عزت) ، الذي لم يستطع استيعاب تداعيات الموقف الشعوري ، وما حلَّ به بعد رحيل (باميلا) ، فتوفي بعد ذلك على الفور ، وهنا تبدأ رحلة الحزن والوجع ، إذ وجدت (أم باميلا) نفسها أمام مأساة كبيرة بعد فقد زوجها وابنتها ، فولَّد ذلك حالة من الاستلاب النفسي ، جعلها عاجزة وغير قادرة على مواجهة ما يجري ، وقد صوَّرت سناء الشعلان حالة الاستلاب الذي بدا على (أم باميلا) ، فقد ((**تمنَّت الزوجة المفجوعة بابنتها وزوجها لو أنَّها أطلقت العنان لقلب ابنتها ، لعلها لو فعلت ذلك لما كانت تقف الآن بين القبور لتودّع أحبتها ... تنهَّدت ؛ لأنَّها تعلم أنَّ لا حيلة للأمنيات حيال الموت**))[٢]. فالمرأة المفجوعة لم تكن تملك شيئاً تستطيع به مواجهة الموقف الأليم سوى الأمنيات والتنهّد ، بما يوحي بمدى العجز الذي كان السمة البارزة على أدائها ، إذ

---

(١) الهروب الى آخر الدنيا ، مجموعة قصصية ، سناء شعلان ، نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي ، (د.ط) ، ٢٠٠٦م : ٢١ .

(٢) م.ن : ٢٣ .

خيَّم عليها اليأس ولم يكن بمقدورها التغلُّب على تبعات الحالة الشعورية ، التي عاشت لحظاتها المؤلمة ، واستسلمت لارتداداتها النفسية .

وبذلك فإنَّ العامل الاجتماعي من أكثر الأشياء تأثيراً على واقع المرأة ، فيجعلها تعيش حالة من الضياع والمكابدة في مواقف كثيرة ، فيكون باعثاً وسبباً في وصولها إلى الاستلاب ، والشعور بالانسحاق والتراجع أمام الآخر / الرجل ، الذي يبدو هو من يحرِّك المنظومة الاجتماعية نحو التضييق على المرأة ، وسلب حقوقها . إذ ((تمثِّل المرأة في المخيال العربي نسق الضعيفة ، التي تحتاج دائماً إلى رجل قوي يحميها))[١]. وقد تجلَّت صور الاستلاب الذي عانت منه المرأة ضمن الإطار الاجتماعي ، في إحدى قصص المجموعة القصصية (ناسك الصومعة) ، التي أظهرت الموقف الاستلابي للضحية ، إذ لم تملك من أمرها شيئاً ، لتدفع الظلم المتمثل بسلوك (عمها) الحيواني ، إذ كان غارقاً في بحر نزواته ، فلم يتورَّع عن ممارسة فحوليته مع ابنة أخيه ، ((**لكن جسده العاتي أرادَ أن يبتلع امرأة حقيقة في هذه اللحظة ، لم يجد أمامه إلا ابنة أخيه التي ودَّعت الطفولة للتو ، وانتضت ثديين كسيفين ، وملامح أنوثية قادمة ، تفرَّسها برغبةٍ ، وانقضَّ عليها ، فامتصَّ أنوثتها حتى روي ، ونسى جريمته**))[٢]. وهنا تجاوز عمها جميع المحرمات ، ولم يلتفت لصوت العقل والدين والأخلاق ، وأدار وجهه للقيم والمبادئ الإنسانية ، فما يهمه هو إشباع نهمه الجنسي ، وإظهار تفوقه الفحولي ، بغض النظر عمَّن تكون ضحيته ، لذلك فإنَّ ما قام به من عمل لا يمت إلى الإنسانية بصلة ، ويعكس مدى ضعف المرأة ، وعدم قدرتها على مواجهة المد الذكوري الجامح ، الذي ينظر إلى

---

(١) قراءة في الأنساق الثقافية لنص (نسيان Com) لأحلام مستغانمي ، نوال قرين ، مجلة الخطاب ، مجلد١٤ ، عدد١ ، ٢٠١٩م : ٤٤٤ .

(٢) ناسك الصومعة ، مجموعة قصصية ، سناء شعلان ، نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي ، (د.ط) ، ٢٠٠٧م : ٤٥ .

المرأة بوصفها جسداً للمتعة . لذا فإنَّ الألفاظ التي صوَّرت مدى الهيمنة الذكورية (تفرسها ، انقضَّ ، امتصَّ) ، تشير إلى مبدأ القوة الذي ظهر عليه العَمُ ، وتعكس حالة العجز واستلاب الجسد لدى الضحية (ابنة أخيه) ، إذ لم يصدَرَ منها أي فعل يمكن أن يعبِّر عن المجابهة أو الرفض ، فقد ضاع صوتُها ، وانطمست إرادتها ، فسلَّمت زمام أمرها للآخر ، وانقادت له طائعة مستسلمة .

ولم يقتصر استلابها على الممارسة الجنسية مع عمها ، بل أذعنت لحكم المجتمع والأسرة الذي أنهى حياتها ، فقد ((**اجتمعت الأسرة ، واهتزَّت الشوارب الغاضبة ، وأُغلِقَت الأبواب والنوافذ والستائر ، وحُجِبَتَ النساء ، وكانت المحكمة ؛ ولأنَّها الأضعف ، فقد كان الحُكمُ ضدها ، إذ ليس من العقل ان يُضحَّى بالرجل الجائر ، وتترك المرأة الطفلة الضحيةِ؟ فاقتادوها إلى العراء ، حيث قُتِلت بدمٍ باردٍ جزاءً على فعلتها الشائنة**))[١]. فالأجواء التي عاشتها المرأة (الضَحية) بعد استلاب جسدها ، يشير إلى أنَّها كانت الحلقة الأضعف في معركتها مع المجتمع وعاداتهِ وتقاليدهِ الجائرة . إذ لم تقدِّم الأدلة والحجج ، وتُدلي بشهادتها أمام المحكمة التي أصدرت قرار الموت عليها ، وأخلَت سبيل الفاعل الحقيقي (عمها) . وهنا تجلت صورة من صور استلاب المرأة ، فتمثَّلت ((في العلاقة اللا متكافئة بين المرأة والرجل ، وفي علاقة القهر الذي تفرضه على المرأة العادات والتقاليد والبنيات العائلية والقبلية والطائفية))[٢]. وفي هذا النص تجسيد لاستلاب جسد المرأة وحياتها ، عبر الأَفعال التي صَوَّرت عملية اقتيادها، وقتلها (اقتادوها، قتُلِت) ، فقد كانت مسلوبةُ الإرادة ، وعاجزة عن إبداء رأيها ، ولم تستطع إسماع الآخرين صوتها وأوجاعها ، والدفاع عن قضيتها ، وتعريف الآخرين بمظلوميتها .

---

(١) ناسك الصومعة : ٤٦ .

(٢) صورة المرأة في روايات حنان الشيخ : ٢١ .

ومن مظاهر الاستلاب الأخرى في قصص سناء شعلان ما ورد في قصة (حليمة المجنونة) التي تضمَّنتها مجموعة (مقامات الاحتراق) ، إذ وقعت ضحية لممارسات اجتماعية وقبلية خاطئة ، إذ حولتها هذه الممارسات إلى امرأة (مجنونة) ، فكشفت عن جنون المجتمع الذي تمادى في غَيّه ، عِبرَ أفعالٍ طائشةٍ تتعدى على حقوق الآخرين ، وتسلبُ فرحتَهم وأمنهمُ في سبيل تحقيق سعادتهم ، وإظهار سرورهم . ومن تلك الأفعال ظاهرة (الرمي في الأعراس) ، بُغية لفت الأنظار إلى آثارها المُدمّرة ، والدعوة إلى رفضها ، والعمل على اقتلاعها من الواقع الاجتماعي ، لينعم الجميع بأمنٍ وسلام ، فـ (حليمة) التي ((**كانت جميلة القرية ، وسيدة النساء بالعقل والخُلق والاتزان ، انتظرت سعد عشرين عاماً بلا كللٍ أو تعب ، طوَّفت على القبور والأضرحة والمشعوذين والأطباء ، تضرَّعت إلى الله طويلاً كي يأتي سعد ، الذي تتكنَّى باسمه منذ دهر ... وجاء سعد بعد غفلة التمني ، وشهوة الانتظار ، ومفاجأة القدر ، وأُبدِل الحزن سعادة**))[١]. لكن (حليمة) التي فرحت كثيراً بقدوم (سعد) للحياة ، لم تكن تتوقع ما ينتظرها من واقع مؤلم فُرِض عليها ، ولم يكن بمحض إرادتها ، فأحدثَ ذلك انقلاباً حاداً في حياتها ، إذ أُغتيل حلمها ، وضاع أملها ، ومُحيت فرحتها ، فرُميت في خانة الاستلاب ، وتغيَّرت حياتها ، ((**فقد تسلَّلت رصاصة غادرة في حُمَّى عرس ، أطلقها أرعن بلا حذر ، ليكرِّس بصورة وحشية طقوس موروثة للأفراح ، فتحوَّل العرس إلى مأتم، واغتالَ فرحة أم سعد...ففرَّت بحزنها إلى الجنون ، وغدت حليمة المجنونة ، التي تربط حذاء سعد الذي تيتَّم سريعاً حول رقبتها ، وتطوف به على العرصات والأحياء ، تبحث عن سعد ، وتتبع بكاءه الذي لا يعرف نهاية**))[٢]. وهنا جاء الجنون نتيجة حتمية

---

(١) مقامات الاحتراق ، مجموعة قصصية ، سناء شعلان ، نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي ، ط١ ، ٢٠٠٦م : ٣٧ .

(٢) م.ن : ٣٨ .

لما تعرَّضت له المرأة من عنف وأذى ، قد هدَّ كيانها ، وأصابها في صميم أمومتها ، فشكَّل ذلك انتقالاً سيئاً في حياتها ، إذ أصبحت كائناً مستلباً ، يرزح تحت وطأة الضياع والاغتراب ، ويبحث عن الأمل المفقود .

٢- المرأة المستلبة بفعل القمع السياسي

لم تقتصر بواعث الاستلاب عند المرأة على الظلم الاجتماعي ، عبر منظومة العادات والتقاليد والأعراف بتوجهاتها الذكورية القمعية ، بل تعدَّاه إلى القهر الذي نشأ بفعِل ممارسات الاحتلال الصهيوني ، إذ اتَّبع مختلف وسائل القمع والتعذيب والتشريد بحق أبناء الشعب الفلسطيني ، فألقت بظلالها المؤلمة على واقع المرأة الفلسطينية ، التي كانت حاضرة في المتن السردي عينة الدراسة . وقد أخذ هذا النوع من الاستلاب صوراً عدَّة .

ومن صور الاستلاب الذي تعرَّضت له المرأة نتيجة القمع الصهيوني ، ما ورد في قصة (الطفل الأعجوبة) ، في المجموعة القصصية (مقامات الاحتراق) ، التي صوَّرت لنا قصة امرأة فلسطينية تعرضت للاضطهاد والظلم على يد جنود الاحتلال الإسرائيلي ، بعدما اجتاحوا قريتها ، وشرَّدوا أهلها ، وقتلوا زوجها ، فعاشت حالة من الحرمان والقلق والتأزم النفسي خوفاً على ابنها ؛ لئلا يقع ضحيةً لهمجية العدوان الإسرائيلي . فقد وصل بها الأمر إلى مرحلة (الجنون) ، والنص الآتي يوضِّح بعض أحداث القصة التي تصوَّر حال تلك المرأة ، ((**لكنَّه طفلها العزيز الحبيب ، الذي نجت بهِ بعد أن اجتاحَ العدو الصهيوني قريتها ، فشرّد الأهل ، وقتلَ الزوج ، وحالَ دون الأبناء ، فنجت بجلدها وبطفلها الرضيع الأعجوبة ، الذي تعلَّمت أن لا تتركه ولو للحظة في سريره يداعب نوماً لذيذاً ، فقط يداهم العدو الصهيوني المكان في أي لحظة**

، **ويسلبها طفلها الحبيب هو الآخر**))[١] . وهنا كانت صورة الخوف والقلق والترقب هي السائدة على المشهد القصصي ، إذ لم يستطع المحتل الصهيوني إطفاء جذوة العواطف المشتعلة في الأم ، التي سخَّرت قواها الشعورية من أجل الحفاظ على ابنها ، بعدما فقدت أهلها وزوجها وأحبتها ، وهي قد تعرَّضت إلى أنواع شتى من القهر والعنف .

وتتساءل تلك المرأة التي لا حيلة لها للدفاع عن ابنها وطفلها الرضيع ، سوى (الجنون) ، فتقول : ((**أليس من حق الأم بل من واجبها أن ترعى طفلها الرضيع؟ ليس في ذلك أي عجب ، إذن لماذا يطاردها أولئك الصغار الحمقى من شارع إلى آخر ، ويصرخون في وجهها قائلين : هذه هي المجنونة التي تحمل مخدَّة ليل نهار!!؟**))[٢]. وهنا فإنَّ حالة الخوف والقلق على طفلها قد قادتها إلى (الجنون) ، الذي كان مظهراً من مظاهر اليأس والاستلاب أمام القهر الذي مُورِس ضدها . وبما أنَّها لا تملك سوى التساؤل أمام ما نالها من أذى ، ينطبق عليها مفهوم (الشخصية المستلبة) ، ((التي جُرِّدت من حريتها وفرادتها ، ومُنِعت من هويتها الحقيقية ، ومورس عليها القهر والإكراه والتسلط ... فأصبحت مجبرة على التنازل عن حقها القانوني والأخلاقي بأن تحيا ؛ لأنَّها في لحظة ما استغنت عن عقلها لصالح السلطة ، التي استلبتها عن طريق أنساق ثقافية ، تزيِّف الواقع وتمنع من التفتُّح الحضاري))[٣]. لذلك أذعنت للواقع المرير ، وركنت إلى الحزن ، وابتعدت عن نمط حياتها المعتاد ، فعاشت حالة الإحباط ، وتقمَّصت دور الشخصية المستلبة مرغمة ، بعد أن فقدت وسائل الخلاص .

---

(١) مقامات الاحتراق : ٩٢ .

(٢) م.ن : ٩٢ .

(٣) الشخصية المستلبة في الرواية العراقية المعاصرة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٨ : ٢١ – ٢٢ .

وتُعد قصة (التوائم الأربعة) شاهداً آخراً على حالة الاستلاب ، التي تعرضت لها المرأة الفلسطينية ، بفعِل أعمال القمع التي مارسها المحتلون الصهاينة بحق أبناء الشعب الفلسطيني ، حتى أنَّ براءة الطفولة لم تسلم من أفعالهم الوحشية ، وهو ما تكفلَت به هذه القصة ، فالأم (باسلة) التي رزُقَت بتوائم أربعة كُنَّ مصدر سعادتها في هذه الحياة ، كان همها إسعاد صغيراتها الأربع ، وتحقيق متطلبات فَرحهنَّ ، فقد ((**اشترت لهنَّ الأثواب التي رفضن خلعَها ، وصَمَّمن على أن يعدن إلى البيت ، وهن مرتديات أثوابهن فرحاً واختيالاً بها أمام أترابهن من بنات الجيران والأقارب ، فاستسلمت الأم من جديد لرغبتهن المسيطرة ، وتركتهن عهدةً عند عاملة البيع في متجر الملابس ، حتى تشتري بعض الخضار من السوقَ المجاور ، وتعود مسرعة اليهن لتصحبهن إلى البيت**))[١].

المقطع الوصفي الذي أشارت اليه القصة يعطي صورةً واضحةً عن علاقة الحُب والألفة التي كانت تجمع الأم ببناتها ، فما يهمها أن تراهن فرحات . إلا أنَّ هذا المشهد المُفرح لم يستمر طويلاً بفعل همَجية العدو الصهيوني الغاصب ، ووحشيته في تعاملهِ مع أبناء الشعب الفلسطيني الأعزل ، إذ تواترت الأحداث ، فانقلبَ الفرح إلى حزن وعويل ، وسُرقت الابتسامة من شفِاه الفتيات ، وتَمَّ وأد أحلامهنَّ الطفولية بسقوط قذيفة صهيونية على سوق الملابس ، ((**إنَّ قذيفة صهيونية انهالت على سوق الملابس على حين غرة ، فأحالته إلى جحيم مُستعرٍ . عادت (باسلة) مشدوهة إلى الأرض المحروقة عن بكرة أبيها ، وهي مَن كانت قبل دقائق سوقاً وبشراً وبضائع ، لم تجد (باسلة) من بناتها سوى مزق ملابس كانت بيضاء ، وخليطاً من لحم آدمي معجون من أجساد بناتها التوائم الأربع**))[٢]. فأعداء الحياة لم يَرقْ لهم رؤية أفراح الشعب الفلسطيني ، كانت

---

(١) تقاسيم الفلسطيني ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان ، دائرة المكتبة الوطنية ، المملكة الأردنية الهامشية – عمان ، ط١ ، ٢٠١٥م : ١٤ .

(٢) م.ن : ١٤ – ١٥ .

تزعجهم قهقهات الأطفال ، وتَقضُّ مَضاجعهَم الملابس البيضاء التي كانت ترتديها البنات الأربع ، فالبياض يعني الحياة والأمل والتفاؤل بالمستقبل ، وهذا ما لا يطيق رؤيته الصهاينة ، فازدادَ بغضهم وحقدهم الذي دفعهم إلى أن يستخدموا آلة الحرب المدمّرة للقضاء على الحياة، التي كانت تتجلى في سوق الملابس . لذلك أحرقوه، وقطعوا أوصال المتَبضعين فيه ، ومحوا أجسادهم إرضاءً لنوازع الشر التي جُبِلَ عليها الصهاينة .

ويبقى السؤال الأهم في هذا المقام ، هو ما أثر هذا الفعل الإجرامي على الأم الفلسطينية (باسلة) ؟ وكيف كانت ردود أفعالها تجاه ما حصل ؟ إنَّ الاجابة عن ذلك تتَّضح في ختام القصة ، إذ ((**شرعَت تلمّ اللحم المتناثر ، وتحوشه في صدرها بعد أن عجزت – لأول مرة في حياتها – عن أن تُميّز بين بناتها التوائم الأربع**))[1]. فسوداوية المنظر ، وقتامة المشهد ، قد ألقيا بظلالهما السلبية عليها ، ممَّا أفقدها توازنها ، فبدت مُغلّفة برداء الحزُنِ واليأسِ والذهولِ ، إذ لم تقم بأي فعلٍ سوى جمع شتات اللحم المتناثر، الذي كان قبل لحظات يَعجُّ بالحياة ، ويملأ المكان فرحاً وسروراً ، فخيَّم عليها الحزُنُ والألم ، وظهرت بمظهر المستسلمة اليائسة ، التي لا حيلةَ لها سوى جمع ما تناثَر من أجسادِ بناتها ، بعد أن عجزت عن التمييز بين لحمِ كل جسد منهنَّ .

ونجد صورة أخرى من صور المرأة المستلبة في المادة المدروسة ، تشير إلى استلاب المكان ، وردت في قصة (حليب) ، ضمن المجموعة القصصية (تقاسيم الفلسطيني) ، إذ صوَّرت جانباً من ممارسات الصهاينة بحق الفلسطينيين ، وما شهدته من قمع واضطهاد ، كانت ضحيته المرأة الفلسطينية ، التي عانت من الحرمانِ والقهرِ عبرَ تجريدها من أمومتها ، وسلب طفلها الرضيع (رزق الله) الذي جاءَ إلى الحياة بعد معاناة طويلة ، فخاضت في سبيل إنجابهِ تجربتين مع زوجين ، فبطلة القصة ((**لم تتوقع**

---

(١) تقاسيم الفلسطيني : ١٥ .

أبداً أن تجود عليها الأقدار بابنها الرضيع "رزق الله" ، بعد أن فقدت الأمل في الإنجاب ، وهجرَها زوجان ، أحدهما ابنُ عمها ؛ بسبب عقمها ، ثم تزوجت من جارها (زهدي) الذي حملت منه بإبنها "رزق الله"))[١]. وهنا لم تكن عملية الإنجاب ، وتحقيق حلمها برؤية ولدها أمراً يسيراً ، بل تعرَّضت بسببه إلى الظلم ، ووقع عليها الحيفُ ، فبمجرد أنَّها تأخرت بالإنجاب ، طلقها زوجَها الأول ، غير مكترثٍ بآثار فعله على مشاعرها وأحاسيسها ، وبالضررِ الذي يلحقها جرَّاء ذلك .

وممَّا زاد من محِنة المرأة الفلسطينية ، أنَّها قد كُتِب عليها مجابهة العدوان الصهيوني ، الذي أُبتلي به الشعبُ الفلسطيني لعقودٍ طويلةٍ ، فكان ذلك باعثاً من بواعثِ اغترابها وحزنها ، وقد زاد من لوعتها ، إذ أجبرها العدوان على مفارقة طفلها الرضيع ، **((في حين تآمرت الظروف عليها ، فحرمتها منه عندما وجدت نفسها أسيرة في معتقل صهيوني في الصحراء ، بعيداً عن طفلها الرضيع ، هدية السماء لها ، الذي تركته أمانة غالية في عهدة زوجة أخيها))**[٢]. ويبدو أن ذلك قد آلمها كثيراً ، وضربها في الصميم ، ففجَر لديها ينبوع الحنان والمشاعر ، وزاد من تدفُّقه نحو طفلها الرضيع ، فازدادت لهفتها وحنينها وشوقها إليه بعد أن تَقطَّعت السُبل ، وخضعت لسلطة الفراق والبُعد ، وهو ما تجلّى في المشهد القصصي الآتي : **((أشدُّ ما يحزنُها أنَّ طفلها رضيع يحتاج إلى دفقِ حليبها ، الذي ينساب هارباً من حلمتي ثدييها ، كلما نطقت باسمه ، أو حشرجت بدموع الاشتياق له ، أو شرقت بلوعةِ فراقه))**[٣]. إنَّ تدفق حليبها في ظل غياب طفلها الرضيع ، قد كان دافعاً يدفعها نحو الحزن والألم ، ويثيرُ بداخلها اللوعة والاضطراب ، وعدم الاستقرار والقلق ؛ لأنَّ الحليب هو الرابط المعنوي والمادي بينها

---

(١) تقاسيم الفلسطيني : ٨٣ .

(٢) م.ن : ٨٣ .

(٣) م.ن : ٨٣ .

وبين طفلها ، وهو مَنْ يهيج لديها الذكريات التي كانت تعيشها معه ، فتزداد أوجاعها ، وهي عاجزة عن فعل أي شيءٍ ممكن أن يخفِفّ من القوةِ الضاغطةِ التي يُمارسها جريان حليبها عليها ، لذلك فإنَّ عجزَها عن تحقيق عملية إرضاع طفلها ، قد قادَها للقيام بممارسات لا تمت إلى الواقع والحقيقة بصلة ، فكانت ((**تُصدّق بالمعجزات ، تُخرج ثدييها من داخل ثوب سجنها الفضفاض القذر ، وتفكّر بابنها الرضيع ، فيندلق الحليب من صدرها في فم ابنها على الرغم من البعاد ، فترضعه حتى يشبع ، وبينهما صحراء وسجن وجنود وكلاب**))[١]. وبذلك فتصديق المعجزات ، يعد هروباً من الواقع المؤلم ، وهذا الإجراء يعكس حالة الاستلاب التي عاشتها المرأة الفلسطينية ، بفعل الممارسات الصهيونية الظالمة ، التي لم تراعِ الجوانب الإنسانية في تعاملها مع الشعب الفلسطيني .

---

(١) تقاسيم الفلسطيني : ٨٣ .

ثانياً / المرأة المُتمرِّدة

التمرد لغة : يحيل الجذر اللغوي للتمرَّد إلى الفعل الثلاثي (مَرَدَ) الذي يشير إلى العصيان والرفض والعتو والطغيان ، كما ذكر صاحب العين ((تمرَّدَ عليه أي عصا واستعصى . وتمرَّد على الشيء أي عتا وطغى))(١). وقد أكَّد ابن منظور هذه المعاني ، بقوله : ((مَرَدَ على الأمر ، يمرد مروداً فهو مارد ومريد . وتمرَّدَ : أقبل وعتا))(٢). وبذلك فإنَّ مفهوم التمرد في الإطار اللغوي يمكن أن نلمس فيه دلالات الرفض والمواجهة والتحدي .

أمَّا في الاصطلاح ، فمفهومه واسع ومتشعِّب ، نظراً لتنوِّع أسباب حدوثه ، وتعدُّد أشكاله . واختلاف وجهات نظر الدارسين ، وما ينطلقون منه في تحديد ماهيته ، سواء كان نفسياً ، أم فلسفياً ، أم أدبياً ، أم اجتماعياً ، أم سياسياً . إلا أنَّها تكاد تتفق في تحديد ماهية التمرد على أنَّه ((نمط سلوكي مبالغ فيه خارج عن حد المألوف ، أو حد السواء ، وهو شعور بالرفض لكل ما يحيط بالفرد ، وما يترتَّب عليه من سلوك قد يتَّصف بالعداء والكراهية والازدراء لكل ما اصطلح عليه في المجتمع من قيم وعادات ونظم ، أو هو السلوك الرافض لكل ما استقرَّ عليه وألفه من عادات وتقاليد))(٣). لذلك فهو ((ظاهرة إنسانية استمدَّت نسقها من واقع الفرد داخل المجتمع الذي ينتمي إليه ، وتجلَّت في مواقف السخط والرفض ، ومحاولة إيجاد البديل . ومن أسبابه واقع الفرد النفسي جراء الضغوط

---

(١) معجم العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : عبد الله درويش ، مطبعة العاني – بغداد ، (د.ط) ، (د.ت) : مادة مرَدَ .

(٢) لسان العرب : مادة مَرَدَ .

(٣) العلاقة بين الضغوط النفسية والتمرد لدى المراهقين وأثر كل من صفهم وجنسهم والمستوى التعليمي لوالديهم في ذلك ، خولة محمد زايد ، رسالة ماجستير ، الأردن ، جامعة مؤتة – كلية العلوم التربوية ، ١٩٩٥ : ٧.

البيئية بأشكالها المتعددة من سياسية واجتماعية . أما مظاهره فتختلف تبعاً للأسباب التي نشأ بموجبها ، وهي خاصة بمجتمع دون غيره))[١]. وهو في أغلب الحالات يكون رداً على ممارساتٍ وأفعالٍ تتعدَّى حقوق الآخرين ، وتحاول سلب إرادتهم ، وفرض الهيمنة عليهم ، إذ إنَّ السلطات السياسية والاجتماعية هي الطرف الأكثر تأثيراً في دفع أغلب الناس إلى إعلان تمردهم ، وخروجهم عن السياق المألوف المتزن ، فيلجأ بعضهم إلى معاقبة منْ مارس عليه ظلماً ، سواء أكان مادياً أو معنوياً . لذلك فهو ((وسيلة لاستعادة الحقوق الضائعة من طرف السلطات الحاكمة ، كما أنَّه طريقة لكسر قيود المجتمع))[٢].

والتمرّد له صُورٌ متُعددةٌ تبعاً لطبيعة الضرر الواقع على الفرد المُتمرِّد ، إذ قد يقود التمرّد في بعض الأحيان إلى العنف بأشكاله المتنوعة ، وفي بعض الحالات يدفع التَمرّد بعض الناس إلى الانزواء والانكفاء على الذات ، وهذا النمط يكون أقل ضرراً من التَمرّد العنفي .

وممَّا لا شك فيه أنَّ المرأة العربية عاشت تحت هيمنة سلطة الرجل لعصور طويلة ، وتعرَّضت للإقصاء والتهميش والعنف على نطاق واسع ، بذرائع مختلفة ، ووسائل متعددة ، لذلك لم تجد أمامها سوى الرفض والتمرد ، من أجل استعادة الحقوق المسلوبة ، فهي ((تواصل تمردها الفردي ضد القامع الذكر ، وضد منظومة القيم والتشريعات و القوانين التي صاغها لتأييد استلابها ، ولتأكيد بقائها في القالب الصيني الذي وضعها فيه ، وضد مثلث التابوات المقدسة التي حرَّم عليها تجاوزها ، أو الخروج عليها : الدين والسياسة وخصوصاً الجنس ، وحيث تتجلَّى ملكية السيد الذكر للأنثى منذ التقسيم التاريخي للعمل

---

(١) ضجيج الشعر الأندلسي دراسة في أنماط تمرده الموضوعية ومبانيه الفنية د. محمود شاكر محمود ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٨م : ١٨ – ١٩ .

(٢) التمرد في كتابات نوال السعداوي– مذكرات طبيبة أنموذجاً ، مليكة عتماني وكريمة أمزرار ، رسالة ماجستير ، جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية ، كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٧م – ٢٠١٨م : ٨٧ .

إلى يومنا هذا))[١]. وبناء على ذلك فالمرأة المتمردة ((هي التي ترفض واقعها ، وتسعى إلى الثورة على العادات والتقاليد والأعراف والتراتب ، مع مراعاة محاكاة الانسيابية في التفكير ، والاعتماد على العقل وعدم تغييبه ، ووضع القوانين والأنظمة الجديدة الخارجة عن التنميط والقيود الاجتماعية والقبلية والعادات والتقاليد الموروثة ، وتسعى إلى التخلص من كل الموروثات وفي مختلف المجالات))[٢]. ويأتي تمردها لأسباب سياسية واجتماعية قاهرة ، فيكون ردة فعل على ما لحقها من أذى واضطهاد ، إذ تعمل على مغادرة ما وُصفت به من رقة وحنان ، وتلجأ إلى سلوك سبيل المخالفة والثورة والعنف ، فتتشبه بالرجال أحياناً ، وقد تمارس ممارسات ذكورية حتى على أبناء جنسها . لذلك فإن تهميشها ، والتعامل معها بنظرة دونية ، جعلها تلجأ إلى القيام بأفعال ربما لا تتلاءم مع واقعها النفسي والبايلوجي ، وتبتعد عن مهامها الإنسانية التي خُلِقت من أجلها ، فتضطر في بعض الأحايين إلى تخطي العوائق الاجتماعية والدينية والسياسية ، في سبيل إثبات ذاتها في معركة الصراع مع المجتمع الذي هيمنت عليه التوجهات الذكورية .

ومن يطَّلع على المجموعات القصصية التي أنتجتها الكاتبة سناء شعلان ، يجد مساحة كبيرة من الاهتمام بقضايا المرأة ، لا سيما فيما يتعلَّق برفضها للقيود السياسية والاجتماعية ، ووقوفها بوجه المحاولات التي استهدفت تقييد حريتها ، ومنعها من ممارسة أنشطتها وهواياتها ورغباتها بصورة طبيعية . وقد أشارت كثيراً إلى جوانب مختلفة من صراع المرأة مع الواقع الذي فُرِض عليها ، فضمَّنت قصصها مشاهد من تمرد عدد من النساء ، والعمل على إبراز الجانب الرافض للعادات والتقاليد السائدة في المجتمع ،

---

(١) تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيلوغرافيا الرواية النسوية العربية (١٨٨٥ – ٢٠٠٤) ، نزيه أبو نضال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م : ٢٥ .

(٢) تمثلات المرأة في الرواية العراقية والإيرانية دراسة مقارنة ، محمد مهدي ياسين الخفاجي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة ذي قار ، ٢٠١٦م : ٦٩ .

فذكرت في مواضع مختلفة ما قمن به ، وسعين إليه ، في سبيل استعادة حقوقهن المسلوبة . وقد تجلَّى التمرُّد الأنثوي في المتن السردي موضع الدراسة عبر صورتين مختلفتين ، هما : (التمرُّد الاجتماعي) ، و(التمرُّد السياسي) .

١ - التمرُّد الاجتماعي

لقد أثبتت الدراسات النفسية أنَّ التمرُّد يرتبط كثيراً بالضغوط الاجتماعية ، التي تمارس نوعاً من العداء والظلم والتهميش تجاه الفرد ، فيضطر إلى القيام بممارسات رافضة لما تعرَّض له . والمرأة تخضع لسلطة اجتماعية غير عادلة في أغلب المجتمعات العربية ، التي تخضع في تعاملها مع المرأة لموروث ثقافي يمتد لعصور طويلة ، ينحاز كثيراً للرجل على حساب الأنثى ، وهذه القضية قد كانت وما زالت الشغل الشاغل لأغلب النساء المثقفات في الوطن العربي ، بحثاً عن حياة كريمة بعيدة عن التهميش والإقصاء . لذلك فإنَّ ذكر صور تمرُّد المرأة في النتاج الإبداعي النسوي ، يمثِّل نوعاً من الاحتجاج والرفض ، ومحاولة تعريف المجتمع بأخطائه ، بهدف تصحيح النظرة الخاطئة ، وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح .

وفي هذا المجال زخر النتاج السردي المدروس بصور عدَّة من التمرد ، ومن هذه الصور ما جاء في قصة (قافلة العطش) الواردة في المجموعة القصصية (**قافلة العطش**) ، **إذ** نجد صورة واضحة عن خروج المرأة وتمردها على الواقع المرير ، الذي حرمها من أبسط حقوقها ، وهو التعبير عن مشاعرها وأحاسيسها تجاه من تحب ، لذلك فإنَّ ((محاولات التمرد ، سلبية كانت أم إيجابية ، عظيمة الأهمية في عملية النمو وإثبات الذات))[١] . وقد تجلى ذلك في الموقف الذي كانت عليه بطلتها في القصة ، عبر

(١) المرأة والحرية – دراسات في الرواية العربية النسائية ، د. جان نعوم طنوس ، دار المنهل اللبناني للدراسات والتوثيق – بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م : ٢٤ .

رفضها لسلطة الأب والقبيلة ، وتماديها على القَّيم الاجتماعية التي كانت تكبلها ، حينما اختارت من تحب ، وهو من أسرها بحبه ، فانتصرت لقيم الحب والعشق بقولها لمحبوبها : ((**أنا عطشى ... عطشى كما لم أعطش في حياتي**))[١]، وهذا الأمر يمثِّل إعلاناً صريحاً لحالة حب في زمن كان يمنع المرأة من الجهر بحبها . لذلك ((**اقترب البدوي الأسمر خطوة أخرى منها كاد يسمع صهيلها الأنثوي وقال : "عطشى إلى ماذا؟" قالت بصوت مُتهدِّج : "عطشى إليك"**))[٢]. والعطش الذي ذكرته البطلة يدلّل على مدى معاناتها من الاضطهاد الاجتماعي ، وما أفرزه من كبت شعوري حاد ، لم ترضخ له طويلاً ، فخرجت من صمتها ، وحطمت القيود الاجتماعية التعسفية ، فأعلنت عن تمردها على الكبت المفروض عليها ، وكشفت عن مشاعرها وأحاسيسها ، بهدف إسماع الآخرين أوجاعها وآلامها ، غير مبالية بما ينتظرها من عقاب . الذي كشفت عنه القصة فيما بعد ، فكان (القتل) ، الذي مارسته السلطة الاجتماعية (الأب ، القبيلة) بحقها ، تحت ذرائع الحفاظ على القيّم الاجتماعية والشرف وغيرها ، وهو ما تجلى في قول أبيها : ((**خائنة ، ساقطة ، اقتلوها ، لقد جلبت العار لنا . كيف تختارين آسركِ على أهلك؟! لقد جئت ببدعة ما سمعت بها العرب من قبل ، كيف تقبل حُرة أن تكون في ظل آسرها؟**))[٣]. وقد تجلَّى جانب من جوانب الظلم والإقصاء ، الذي تعاني النساء منه على مر التاريخ العربي ، فالتهم والأخطاء جاهزة في وعي المجتمع الذكوري ، وبالإمكان لصقها بالمرأة في أي وقت ، وإدانتها على ارتكابها ، سواء ارتكبتها أم لا ، تمهيداً لمعاقبتها . فهي راسخة في الثقافة الفحولية ، يتم اللجوء إليها إذا اقتضت الحاجة .

---

(١) قافلة العطش ، مجموعة قصصية ، سناء الشعلان ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠٠٦م : ١٢ .

(٢) م.ن : ١٢ .

(٣) م.ن : ١٢ – ١٣ .

وكلما كانت المرأة مثقفة ، عملت على إثبات حقها في الحياة ، إذ لها ((قابليات وقدرات عالية بالتأثير في مجتمعها ، وبكل المحيط بها ، لتكون لها بصمة فارقة تميزها عن أقرانها ممَّن لا يحملون هذا المؤهل))[١]. ويكون باستطاعتها المطالبة بحقوقها ، ورفض الذل والهوان . وفي هذا المقام تورد سناء الشعلان صورة أخرى للمرأة المثقفة تجلَّت في قصة (أكاذيب الحرة) ، فـ ((**هي قد حصّلت أرفع تعليم في أعرق جامعات العالم على الرغم من رفض اسرتها التعليم وسفرها ، فقد كانت أول أنثى في أسرتها تقرر أن تنتفض على منطق خنوع الدجاج، وتجأر بصوتها معلنة أنها ليست دجاجة، بل امرأة كاملة الحرية والعقل ، ولها حق الحياة والاختيار والرفض وتقرير المصير واختيار مآلات ذاتها**))[٢]. فالتعليم في الجامعات قد منحها القدرة الكافية على مقاومة الواقع المظلم ، فأعلنت عن موقفها الرافض بأعلى صوتها ، بلا تردد وبلا خوف . وتصف الكاتبة ذلك بقولها : ((**ولم يعجب هذا الأمر أسرتها أو سكّان عالمها . ولكنَّها تحدّت ذلك كلَه ، وطارت نحو سماوات الحرية ، وأخذت حريتها ، وحطَّمت أغلالها ، وباتت كاتبة شهيرة ، وحقوقية لها بصمتها في المجتمع الدولي ، وصوتاً حراً له خياره الكامل**))[٣].

ونجد في قصة "**الهروب إلى آخر الدنيا**" الخروج على سلطة الزوج ، إذ إنَّ بطلة القصة كانت متمردة على زوجها ، فضربت عرض الجدار قدسية الحياة الزوجية ، فأبدت انزعاجها من نمط حياتها الرتيب ، وسلوك زوجها الذي لم يكن يتلاءم مع طبيعتها الباحثة عن الحيوية والنشاط والتغيير ، ورفض الخمول والكسل والهدوء ، الذي عاشته في ظل

---

[١] تمثلات المرأة في الرواية العراقية والايرانية ، دراسة مقارنة : ١٣١ .

[٢] أكاذيب النساء ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان ، ، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٩م : ٣٥ .

[٣] م.ن : ٣٥ .

زوجها ، إذ لم يشعرها يوماً برجولته ، وسلطته الفحولية ، فكان مطيعاً لها في كل شيء ، ولا يعترض على ممارساتها . ولم يعوضها عن محبوبها الأول ، لكنَّها ((**كرهته زوجاً ، كلَّما رأته وحدَّقت في جسده المُسجَّى إلى جانبها ، تذكَّرت أنَّه بديل مسخ لمن أحبَّت ، كان بملامح غير مغرية ، وجسده ليس بالغض ولا بالممترع ، يفهم الزواج على أنَّه عطاء وعطاء وعطاء وتلبية حاجات ورغبات**))[١]. لذلك فإنَّ هدوء الزوج ، وعدم ممارسته الضغوط عليها قادها إلى التمرد ، والقيام بفعل الخيانة ، فقد ((**كانت حياتها معه رتيبة للغاية ، وهادئة للغاية ، لقد خانته عشرات المرات ، فقط لأنَّها حاقدة على بلادته وعلى هدوئه وعلى رضاه عن كل شيء**))[٢]. فالخيانة الزوجية التي مارستها مرات عديدة ، كان مؤشراً على أنَّ سلوكها قد جاء بفعل التمرد على الواقع المزري الذي عاشته البطلة ، وعدم الخضوع للقدر ، والرضا بحياتها التي فُرِضت عليها ، وأبعدتها عمَّن تحب ، واختارت لها زوجاً لم تنسجم معه ، إذ لم يكن قادراً على منحها ما تبحث عنه ، وما فقدته في حبيبها الأول ، فكانت تعيش تحت وطأة الحنين إلى الماضي الجميل ، وتعاسة الواقع المعيش ، فكانت تبحث عن استعادة ذاتها ، وتحقيق أحلامها وآمالها مع محبوبها الذي غادرها ، وبقيت تنتظره ليكون المُخلِّص لها . وقد قادها تمردها إلى الجهر بحبها له ، فحينما عزمت على السفر قال لها زوجها : ((**هل ستسافرين وحدك؟**))[٣]، فردت عليه بنبرة حادة على خلاف تلك النبرة الهادئة التي اعتادها الناس ، لتجذب الكثير من الرجال إليها : ((**لا بل مع رجل أحبه**))[٤]، وهي بهذا التصرف قد وصلت إلى مرحلة متقدمة من التمرد والانتقام ، وتحطيم قيود الواقع المفروض عليها ، وعدم الالتفات

---

(١) الهروب إلى آخر الدنيا : ٣٧ .

(٢) م.ن : ٣٧ – ٣٨ .

(٣) م.ن : ٣٩ .

(٤) م.ن : ٤٠ .

إلى نتائج فعلها . وقد دفعها تمردها إلى طلب الطلاق من زوجها ، وإنهاء علاقتها به ، لعلَّ ذلك يخفّف من وطأة الآمها حينما خاطبته ((**ببرودٍ وقسوةٍ سأنتظر ورقة طلاقي ، ابعثْ بها إلى بيت أمي**))[١]. وعندما حاولت الهرب منه ، تفاجأت أنَّه أعطاها كل ما يملك من أموال تكفيها إلى آخر العُمُر ، فأظهرت ندمَها وحزنَها على ما بَدَر منها من ممارسات ، اتَّسمت بالعنف والقسوة مع زوجها ، فقالت : ((**يا لي من حمقاء ، قالت بحزن وندم ... أنا زائفة ، ولا أعرف غير الزيف ... صمتت ، ثم أجهشت بالبكاء في قاعة المغادرين**))[٢]. وهنا كان الاعتراف بالذنب وإظهار الحزن والندم بالإجهاش بالبكاء دلائل على تمردها على ذاتها ، فوقفت بحزم ضد أمنياتها التي كانت زائفة على حد تعبيرها . فأعلنت الثورة على الوهم الذي كان يهيمن على حياتها ، ولم يترك لها أدنى فرصة للرضا والقبول بالعيش مع زوجها ، فكانت ضحية لمجموعة من الظروف التي لم تنصفها ، فافتقدت من كان يحبها ، الذي توفيّ أثر نوبة قلبية حادة ، وهذا قادها إلى التمرد على حبيبها الأول الذي ظهر في هذه الظروف ، فقالت له بمليء الفم : ((**أنا لا أحبك ، أنا عاشقة بجنون لكن ليس لك**))[٣]. وبذلك فإنَّ اضطراب مشاعرها ، وتعدد تجاربها الغرامية ، يكشف عن أنَّها كانت تعيش في ظل أزمة اجتماعية خانقة ، إذ لم تجد ما يلبي طموحاتها ، ويحقق لها الاستقرار الشعوري ، والارتياح النفسي ، لذلك غلب على أدائها وسلوكها طابع التمرد ، إذ لم تتردَّد في اتَّخاذ القرارات الرافضة لمن يريد فرض حبه ، بطريقته الخاصة ، فأعلنت عن ذلك في أكثر من موقف مرَّت به .

ومن صور تمرد المرأة الأخرى التي تمَّ رصدها في قصص سناء شعلان ، التمرد على الذات ، وعدم الخضوع والانقياد للقيود التي تحد من طموحات المرأة ورغباتها الذاتية

---

(١) الهروب إلى آخر الدنيا : ٤٠ .

(٢) م.ن : ٤١ .

(٣) م.ن : ٤٢ .

، وتحاول ثنيها عن الإفصاح عن مشاعرها وأحاسيسها وانفعالاتها تجاه المحبوب ، وتجسَّد ذلك في "يوميات حروف" ، في القصة التي تحمل عنوان (الضاد) ، إذ عاشت صراعاً مريراً بين سلطة الضمير وسلطة القلب ، وربَّما قصدت بالضمير المجتمع والعادات والتقاليد ، لذلك حملت على الضمير بقوة ، ونعتته بصفات التضخّم والتورّم ، في إشارة إلى رغبتها في التمرد والخلاص من القيود ، التي تحد من حريتها ورغباتها . فكان ((**ضميرها يؤلمها بقوة ، ويعاني من تضخُّم ورمي عجيب ، إذ يكاد يجتاح أحشاءها ، ويقتلع قلبها الذي خانها ، وخرج على سلطتها الحديدية موضع فخرها ، وأحبَّ ذلك الرجل الهادئ**))[١] ، فحاولت البطلة التخلص من إسار ضميرها الذي كان يؤنبها ، ويحاول إبعادها عمّن تُحب ؛ لأنَّ في ذلك تهديماً لأسرة محبوبها الذي كانت لديه زوجة وأولاد ، وأنصتت بقوة لصوت قلبها وعنفوان مشاعرها ، ((**وها هيّ تحط إعصاراً على رأس زوجته وأولاده ، وتهدِّد بتحطيم عُرى تماسكهم ولطيف معشرهم ، ولكنَّها تحبُّه ولا سلطان لها على قدرها**))[٢]. لذلك عملت على مقاومة ضميرها ، واستئصالهِ من حياتها ، بهدف فسح المجال أمام قلبها ، فتمارس رغباتها بعيداً عن أية سلطةٍ أو رقيبٍ مهما كان محقاً . فبادرت إلى ((**التخلص من الآم ضميرها ، وبعد صراع نفسي طويل تقرِّر أن تجري لضميرها عملية استئصال ، إذ إنَّه متورم أكثر ممَّا يجب**))[٣]. وفي ذلك دليل واضح على تمرُّدها ، إذ أبدت إصراراً وتحدياً على مقاومة المؤثرات والقوى ، التي تحاول منعها من مواصلة حياتها بالطريقة الملائمة ، فتنعم بالحب والهناء مع من تحب ، على الرغم من قسوة الظروف القاهرة ، من أجل إثبات الذات ، وتلبية متطلبات حالتها الشعورية .

---

(١) ناسك الصومعة : ٥٩ .

(٢) م.ن : ٥٩ .

(٣) م.ن : ٥٩ .

٢ - التمرُّد السياسي

ممَّا لا شك فيه هو أنَّ التمرُّد الأنثوي في النتاج القصصي للكاتبة سناء شعلان ، لم يكن مقتصراً على التمرُّد الاجتماعي فحسب ، بل تناولت جانباً من مواقف المرأة المتمردة على المستوى السياسي ، وقد بيَّنت رفضها لممارسات السلطة ، التي كانت تتَّسم بالعداء والإقصاء التهميش . وعلى الرغم من حجم الضرر الذي نال المرأة ، إلا أنَّها أظهرت شجاعة فائقة ، وصبراً كبيراً في مختلف ميادين المواجهة . إذ سعت إلى الإعلان عن ذاتها ، والإفصاح عن قدراتها ، فكانت تعي دورها والمسؤوليات المناطة بها في عملية التغيير التي ينشدها المجتمع .

ومن أبرز صور التمرد الأنثوي في الجانب السياسي ، ما ذكرته الكاتبة في تصوير نضال المرأة الفلسطينية ، وتمرُّدها على الأعمال الإجرامية التي يمارسها المحتل الإسرائيلي بحق أبناء الشعب الفلسطيني ، إذ لم تكن حبيسة بيتها ، وإنَّما ساهمت مساهمة فعَّالة في مقاومة سياسة العدو ، وقدَّمت تضحيات كبيرة في سبيل الوطن ، فقد ((أُستشهِدت ، وسُجِنت ، وأُبعِدت كثيرات منهن ، وما زلن يلاقين كل ألوان الظلم والتعسُّف من السلطات المحتلة . لقد وصلت المرأة المناضلة في فلسطين قمة التفاعل مع الهم الجماعي ، متجاوزة المستويات الدنيا من العمل الاجتماعي ، والثقافي ، والخيري ، وغيرها ، فوصلت في وعيها إلى السياسة والنضال ، والأحزاب السياسية))[١]. فكانت جنباً إلى جنب مع الرجل في ميادين الصراع المختلفة ، وأظهرت شجاعة وصبراً وتحدياً ، على الرغم من قسوة الظروف التي عاشها الشعب الفلسطيني خلال العقود الماضية .

---

(١) صورة المرأة في الرواية الأردنية ، أروى عبيدات ، وزارة الثقافة ، عمان – الأردن ، ط١ ، ١٩٩٥م : ٣١ .

وبما أنَّ ظاهرة التمرُّد تهدف ((إلى رفض قاطع لتعدٍّ لا يُطاق ، وإلى يقين مبهم بوجود حق صالح ، فلا بد للتمرُّد من أن يكون مقترناً بشعور المرء بأنَّه على حق بصورة ما ، ومجال ما))[١]. لذلك كانت تشعر المرأة الفلسطينية بعدالة قضيتها ، ولا بد من الحصول على الحرية والاستقلال التام ، انطلاقاً من رؤية سياسية تؤمن بحق الفلسطينيين في تأسيس دولتهم المستقلة . وقد تتبَّعت الكاتبة حركة المرأة الفلسطينية في ميادين الجهاد ، ونشاطها السياسي في مواضع مختلفة من منجزها السردي .

ففي قصة (حالة أمومة) نجد صورة من صور المرأة المتمردة على قسوة المرض وآلامه ، وقد تحدَّت جبروت الاحتلال الإسرائيلي الغاشم في سبيل تحقيق حلمها باحتضان طفلها الرضيع ، وجمع شمل عائلتها ، بعدما فرَّقتهم إجراءات العدو الإسرائيلي عبر الجدار العازل الذي أقاموه في فلسطين ، ((**لم تكن تعلم بزرع الجدار العازل على أرض قريتها في فلسطين ، وهي تقبع في غرفتها الصغيرة المعزولة في مستشفى إحدى العواصم العربية ، بعد أن حصلت على منحة علاج من إحدى المنظمات الطبية الخيرية الدولية ، بعد طول انتظار لتعالجَ من مرض السرطان الخبيث ، الذي غزا ثديها الأيسر ، منذ أن وضعت أبنها الوحيد (هاشم) ، ومنعها من أن ترضعه ، ولو لمرة واحدة في حياتها**))[٢]. ولم يكن المرض هو العامل الوحيد في قهر المرأة الفلسطينية ، بل كانت ممارسات المحتل الإسرائيلي قد ضاعفت من معاناتها وألمها ، وقد شاركها الألم عمَّات ابنها الثلاث العوانس ، ((**يقاسمنها أعباء الحياة القاسية في مواجهة عدو اعتاد جنودهُ على مهاجمة بيتهم في دوريات تفتيشية مداهمة مكرورة ، منذ أن اعتقلوا زوجها في**

---

(١) الإنسان المتمرد ، البير كامي ، ترجمة : نهاد رضا ، منشورات عويدات ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٨٦م : ١٧ .

(٢) حدث ذات جدار ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان ، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٦م : ٢٥ .

مواجهات احتجاجية في الشهر الثاني من حملها))[١]. فما قام به العدو الصهيوني باعتقال زوجها ، أسهَمَ في محاصرتها ، وجعلها تعيش تحت ضغوطٍ كثيرة ، كادت أن تفقدها عنصر المقاومة ، وتحيلها إلى الاستسلام والضعف . فقد تكالبت عليها الأوجاع والأحزان ، فالمرض وسفرها للعلاج خارج الوطن ، واعتقال زوجها ، وعدم علمهِ بمرضها ، وحنينها لطفلها ، كلها كانت عوامل قاهرة ، إلا أنَّها أبت أن تشتكي ، وتعلن انهزامها أمام قسوة الظروف . فقد ((**أخفت أمر مرضها عن زوجها ، بناءً على رغبة شقيقاته اللواتي آثرنّ التكتم على هذا الخبر ، كي لا يزدن من عذابات معتقله ، وبوائق أحزانه وآلامه**))[٢]. فقيامها بإخفاء مرضها ، يُعَدُّ فِعلاً مقاوماً ، يزيد من زخم المواجهة والتحدي والإصرار ، وعدم الرضوخ لمؤامرات الإسرائيليين ، فقد أثبتت المرأة حبها لزوجها الذي لا يقلُّ شأناً عن حبها لوطنها ، فهي كانت تُقاسي المرض لوحدها لئلا ينال ذلك من عزيمة زوجها ، فيؤدي به إلى الانهيار والضعف . ويبدو أنَّ كل الممارسات العدوانية التي قام بها الإسرائيليون من تهجير أهلها ، وهدم بيتها ، وتجريف أرضها ، فضلاً عن مرضها ، جعلها أكثر إصراراً على المجابهة والصمود ، فتشير القاصة إلى حالها المؤلم بقولها : ((**تلاشى حلمها الوردي بأن تحتضن طفلها الصغير ، بعد أن تحوَّلَ إلى كابوس تعيشه بتفاصيله القبيحة الموحشة ، وها هي قد أصبحت لاجئة في وطنها ، وعلقت مع أبيها في بيت حجرة يسكنه أفراد عشرة من أقاربها ، ومن جديد بات عليها أن تحارب سرطان الألم والوحدة والنبذ**))[٣]. ومحاربة المرض والوحدة والتهجير ، وتشتُّت عائلتها ، لم يكن أمراً يسيراً ، بل كان يستدعي مقوماتٍ كثيرةٍ ، لكي تجتاز تلك المرحلة المؤلمة ، لذلك لم تقف مكتوفة الأيدي أمام كل هذه التحديات ، فقامت بسلسلة من الأفعال التي أفصحت

---

(١) حدث ذات جدار : ٢٥ .

(٢) م.ن : ٢٥ .

(٣) م.ن : ٢٦ .

عن تَمرُّدها على واقعها المؤلم . وقد ((**حاولت دون جدوى أن تعود إلى أسرتها خلف الجدار ، واشتدَّت محاولاتها إلحاحاً عندما علمت أنَّ زوجها قد خرَجَ من المعتقل ، واكترى بيتاً صغيراً في أطراف قريته ، وجمع شمل أسرته من جديد ، وجَعَلَ شغلَهُ الشاغل أن يجد طريقة تسمح لزوجته بالعودة إلى بيتها وأسرتها وابنها ، ولكنَّه كان يخفق المرة تلو الأخرى في تحقيق مراده**))[١]. ولمَّا علمت بتحرر زوجها ، ازدادَ جموحها نحو التمرد على اليأس والقنوط ، فسلكت طرقاً متعددة في سبيل لملمة شتات عائلتها ، ورؤية زوجها ، فقد ((**كانت الفرصة الوحيدة للقاء هي عبرَ الحصول على تصريح زيارة حصلت عليه بشق الأنفس ، ولو كان هناك سفرٌ للشمس لكان أيسر من الحصول عليه ، وأخيراً استطاعت أن تضم طفلها إلى صدرها تحت عيون الرُقبَاء غير الوامقين من الجنود الصهاينة**))[٢]. وبذلك فهي لم تعبأ بالجنود الصهاينة على الرغم من قسوتهم وطغيانهم ، انطلاقاً من أنَّ ((الإنسان المقهور متربص دوماً للمتسلط كي ينال منه ، كلما استطاع وبالأسلوب الذي تسمح به الظروف))[٣]، فحبُّها لطفلها ولزوجها ولوطنها ، منحها القوة والصلابة اللتين كانتا زادها ووقودها في المقاومة ، ودحر كل أشكال التسلُّط والظلم والقهر . وبذلك فأنَّ أحداث هذه القصة تعُطي صورة واضحة للمرأة الفلسطينية الصابرة والمجاهدة التي كانت تصارع الحياة من أجل الحفاظ على أسرتها ووطنها ، عَبر التحدي والتمرُّد ، والوقوف بوجه عوامل القهر والاستلاب ، فكانت مثالاً للمرأة المؤمنة بقضيتها التي هي قضية شعب ووطن في الوقت نفسه ، الوطن الذي أُرِيد

---

(١) حدث ذات جدار : ٢٦ .

(٢) م.ن : ٢٦ .

(٣) التخلف الاجتماعي ، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، د. مصطفى حجازي ، (د.ط) ، (د.ت) : ٤٤ .

لَهُ أن يتمزَّقَ إلى أشلاء متناثرة . لذلك فإنَّ ما قامت به بطلة القصة هو لونٌ من ألوان الدفاع عن الحياة ، على الرغم من التحديات الهائلة التي كانت تواجهها .

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الصراع الإسرائيلي الفلسطيني يخضع لمبدأ المهيمن الاحتلال الصهيوني والمهمش الشعب الفلسطيني . ضمت أنساقاً ثقافية تبيح للمهيمن استخدام القوة والعنف في بعض الأحيان ، فيدفع ذلك المهمش إلى الرضوخ أو التمرد والرفض ، أي ((إنَّ العلاقة بين المهيمن والمهمش تعتمد على مشاركة الهامشي في هذا النسق ومتوقفة على الصورة التي يقدم بها ذاته ، فهو إمَّا مسلِّم بالإقصاء المسلط عليه وإمَّا ساعٍ كمُقصَ إلى أن يعيد ذاته بما يضمن له فرض وجوده))[١]. لذلك اختارت المرأة بوصفها جزءاً من الشعب الفلسطيني المهمش طريق المقاومة لنيل الحقوق وردع هيمنة المحتل وغطرسته ، إذ ((ليس هناك من لغة ممكنة من قوى التسلط سوى لغة مماثلة للغتها لغة القوة ، لغة الغلبة))[٢]. لذلك فإنَّ سياسة العنف والترهيب التي مارسها العدو الإسرائيلي ، قد ولَّدت شعوراً لدى الفلسطينيين بضرورة مواجهة العنف بالعنف ، بعد أن يئسوا من أي محاولة للسلام وتحقيق العدالة والاستقلال والحرية ، ومن أبرز وسائل الدفاع التي لجأ إليها الفلسطينيون العمليات الجهادية عبر ارتداء الحزام الناسف وتفجير النفس في جموع الإسرائيليين ولم يقتصر ذلك على الرجال فحسب ، وإنَّما شاركت المرأة في العمل الجهادي ولبست الأحزمة الناسفة ، وفجَّرت نفسها رداً على جرائم السلطة الصهيونية ، وقد رصدت الكاتبة "سناء الشعلان" في إبداعها السردي صوراً متعددة من انتقام النساء الفلسطينيات ، وتحديها للقمع الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني ، وقد سجلت قصة "سلالة النور" جانباً من ذلك ، إذ تروي ما جرى مع أحد الشباب الفلسطينيين

---

(١) التهميش والمهمشون في المدينة العربية المعاصرة ، رؤية تحليلية من منظور بنيوي ، عمر الزعفوري ، مجلة عالم الفكر ، عدد٤ ، مجلد٣٦ ، ٢٠٠٨م : ١٨٥ .

(٢) التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور : ٥٥ .

الذي كان ينتمي إلى عائلة دينية اهتمت كثيراً بالعلوم الدينية ، وقد سار على نهجهم ، وكان همه الوحيد الذهاب إلى مصر ، من أجل إكمال دراسته الدينية في الأزهر الشريف ، ليزداد علماً وفقهاً بهدف خدمة أبناء شعبه فـ ((**أبوه وجده ورجال أسرته جابوا بقاع الوطن الفلسطيني ، وحملوا لواء الدين والاحسان والخير والبناء ، وهذه البذرة الصالحة تنمو في أعماقه منذ وُلِدِ ، فمنذ صغره هو مفطور على الصلاة والصوم والعبادة والبر والاحسان ، وقد حفظ القرآن الكريم كاملاً منذ طفولته ، وكثيراً ما صلى بالجماعة إماماً في صلاة الفجر ، برامج حياته كافة مكيَّفة وفق هدف واحد ، وهو الذهاب إلى الأزهر لاستكمال علومه الإسلامية ، حتى زهر خطيبته اختارها وفق هذا البرنامج ، فقد كانت صالحة عابدة مثله ، تحفظ الكثير من أجزاء القرآن ، وتشوق مثله إلى دراسة العلوم الإسلامية في الأزهر الشريف**))[١]. وهنا اتفقت أهواء الشاب الفلسطينية وأحلامه وطموحاته مع حبيبته زهر لا سيما في الجانب الثقافي والعقائدي ، فكلاها قد خضع لمؤثرات بيئية وفكرية واحدة ، أسهمت كثيراً في انسجامهما وتوسيع دائرة التفاهم بينهما ، وهذا الأمر سهَّل عملية إكمال مشروعهما سواء في الحياة عبر الزواج ، أو في إتمام مشوارهما الدراسي ، وتحصيل العلوم الدينية لذلك : ((**كان عليه أن يحزم نفسه وكتبه ، ويسافر إلى القاهرة بصحبة خطيبته بعد أن يتزوجها كي ينخرطا في دراسة العلوم الإسلامية بعد أن حصَّل لها قبولاً في الجامعة**))[٢]. لكن هذا التفاؤل لم يدم طويلاً ، فقد اصطدم الشاب وخطيبته بعوائق كثيرة كانت عائقاً أمام تحقيق طموحاتهما ، وممارسة حياتهما بصورة طبيعية كما يبغيان ، فالسلطة الإسرائيلية الظالمة زرعت الأشواك في طريق الشعب الفلسطيني ، ووزعت الموت في الطرقات من أجل أن تتحول الحياة إلى جحيم في بلاد فلسطين ، فيذكر الراوي ((**ولكن الجدار العازل الذي وُلد من رحم**

---

(١) حدث ذات جدار : ٦٧ .

(٢) م.ن : ٦٧ .

شيطاني وقف حاجزاً أمامهما ، ومنعهما من السفر خارج مدينته القديمة ، وحطَّم أحلامهما ، وغيَّر مشاريع حياتهما إلى الأبد))[١]. لذلك فإنَّ الإنسان ((يثور دائماً ويغضب ممَّا يعوق أعماله ، أو يتدخل في حقوقه ، أو يصطدم بمبادئه ومعتقداته واحترامه لذاته ، بل يغضب من كل شخص أو موقف يشعره بالتحكم والضغط والحرمان))[٢]. الأمر الذي دفع الشاب الفلسطيني إلى التفكير بالانتقام واتباع أساليب العنف ، بعد أن ماتت أحلامه وطموحاته على يد السلطة الإسرائيلية الغاشمة ، فأخذ مسدساً وقنابل وقرَّر الدخول إلى المعهد الديني اليهودي ، والدخول إلى قاعة التدريس ، من أجل أن يرسلهم إلى الجحيم ((**بخطوات نافره بخفة على الأرض كرذاذ على ماء وصل إلى القاعة الرئيسية وبسرعة خاطفة شرع ينثر الموت على الجميع بقنابله وبمسدسه ، لم يدركه الحرس برصاصهم إلا وكان قد أرسل الجميع إلى جحيم الموت ، ثم استسلم إلى جنته الخضراء الموعودة ، وحلّق بأجنحة من نور نحو البعيد ، وترك جثته لهم يركلونها بأقدامهم ، ويمثلون بها ويسجنوها أياماً في حافظة مبردة قبل أن يسمحوا بدفنها على عجل في جنح الليل وكأنها فعل محظور البوح به))**[٣]. وهذا الفعل الذي قام الشاب الفلسطيني ترك أثراً عميقاً في نفس خطيبته لا سيما في قضية الموت ، وفهم المغزى الحقيقي من العمليات الانتحارية ، حينما يتعلق الأمر بمعاناة الوطن ومصيره وطموحات أبنائه ، فحياة ما بعد الموت تكون خالدة وليس فناء الجسد ، ويمكن أن تتحقق فيها الأمنيات التي لم تتحقق في عالم الدنيا ، وهو ما عبَّرت عنه أحداث القصة ، فالشاب الذي اختار الموت ((**لم يُزَف إلى عروسه ، ولم تُزَف إليه ، وبقيت في ثوبها**

---

(١) حدث ذات جدار : ٦٨ .

(٢) أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٦٨م : ٨٢ .

(٣) حدث ذات جدار : ٦٩ .

الأبيض تنتظره طويلاً دون أن تصدِّق أنَّه لن يبر لوعده لها ، ولن يتزوجها ، بل ولن يعود إليها أبداً ، فليس من عادته أن لا يبر بوعده لأول مرة في حياته ، كذلك لن يستطيع أن يعود إليها ، لذلك عليها أن تذهب هي إليه ، وإن كان هو من سلالة العلماء الأبرار ، فهي من سلالة الشهداء الطاهرين))[١]. وأمام ما حدث لخطيبها ، وما قام به من عمل عظيم، وهو التضحية بالنفس من أجل أن أيحيا وطنه ، فقد حفَّز ذلك العروس المنتظرة المفجوعة باستشهاد عريسها إلى السير على نهجه واللحاق به ، وهناك يقيمان طقوس الزواج لذلك ابتعدت عن اليأس والتشاؤم ، وتشبعت بالأمل والتفاؤل ، رغبة في لقاء خطيبها ، بعد أن تذيق العدو الصهيوني مرارة الموت ، وتعمل على إذلاله وترويعه ، مثلما يفعل بالشعب الفلسطيني ، فبدت مؤمنة بقضيتها وأحلامها **((خلعت ثوبها الأبيض إلى ميقات ، وعندما حان الوقت المنتظر ، استحمَّت ، وتمشَّطت ، وتعطَّرت ، وتزيَّنت ، وتحزَّمت بحزام ناسف ، ويممَّت نحو الجدار الفاصل الذي أخذ منها كل من تحب ، أُمرت بالوقوف على عتبة بوابته ، لكنها لم تفعل وفي اللحظة المناسبة ، تحوَّلت إلى جمرة نار تكوي كل من حولها من جنود صهاينة ، وتهزأ من الجدار الذي انهارت أجزاء منه من شظايا حزامها الناسف ، وحمل على أكتافه مكرهاً طرحة عرسها ملوحة بالأفق لروحها التي تحجل في دربها نحو السماء لتلحق بسلالتها النورانية الطاهرة))**[٢]. وهنا قامت المرأة الفلسطينية المضطهدة بعمل جهادي كبير ، حطمت من خلاله جبروت السلطة الإسرائيلية الغاشمة ، وسياساته الظالمة ، فقدمت نفسها في سبيل أن تستمر الحياة في بلاد فلسطين ، وألا يعيش العشاق معاناتها مع حبيبها ، وألا تعاد تجربتها مرة أخرى ، لذلك وجَّهت نار غضبها نحو الجدار الفاصل الذي أقامه الاحتلال الإسرائيلي ، فهو من كان السبب في عدم إتمام زواجها من خطيبها

---

(١) حدث ذات جدار : ٦٩ .

(٢) م.ن : ٦٩ – ٧٠ .

، وبذلك فإنَّ ((الذات تجنح إلى العنف عندما تشعر بالخطر ، حيث يصبح لا مفر من الموت إلا المجابهة بالموت))[١]. وعندئذٍ يهب الإنسان الميت الحياة لغيره ، ليعيش حياة كريمة ، فالمستقبل الواعد لا يتحقق إلا بالتضحيات الكبيرة .

وبذلك فقد أظهرت الكاتبة سناء شعلان صوراً مختلفة من واقع المرأة في تمردها وبوحها وكفاحها ، اجتماعياً وسياسياً ، إذ مثَّلت الأنثى في نتاجها السردي طاقة توليدية لحركة التداعي والتفاعل والتحوُّل ، فتحوَّلت في النصوص السابقة إلى طاقة لا تكتفي بالدلالة الواحدة ، بل تتعدَّاه إلى طاقة تفجيرية محمَّلة بدلالات مضاعفة ، تسافر في الرؤيا ، فتمسح فضاءات النصوص المستدعاة ، لتضيئها بشعلة وهَّاجة تشع بالإبداع ، فتغري القارئ ، وتستحثَّه ليقدم على قراءة خطابها السردي بشغف[٢]، وقد كان ذلك عملاً مقصوداً ، بهدف توسيع دائرة التأثير في المتلقي ، ليكون متفاعلاً مع ما يتم طرحه من أفكار ورؤى ، تسعى عبرها الكاتبة سناء الشعلان إلى إيصال صوت المرأة ، وتعريف أبناء المجتمع بمعاناتها وآلامها وآمالها ، بهدف كسب التأييد الكافي لقضية المرأة في الوطن العربي .

---

(١) التوحش ، آليات الرفض والتمرد في الموروث الشعري ، جبريل السبعي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ٢٠١٦م : ١٠٨ .

(٢) ينظر : سرد المرأة وفعل الكتابة دراسة نقدية في السرد وآليات البناء : ١٥٤ .

المبحث الثاني

المرأة بين التعلم والجهل

لم تكن مسألة حصول المرأة على قدر كافٍ من الثقافة شيئاً يسيراً ، فالرغبة الذكورية التي تتحكَّم بالمجتمع العربي – في بعض الأحيان – عمدت إلى أن تبقى المرأة تعيش في ظلمات الجهل والتخلُّف ، وعدَّت دخولها إلى ميادين التعلُّم والثقافة خطراً كبيراً على مكانة الرجل ، وقد حمل التراث العربي نصوصاً كثيرة ، تدعو إلى إبعاد المرأة عن طريق العلم والثقافة ، ومن ذلك ما قاله أحد الشعراء :

مـــــا للنساءِ وللكتا بةِ والعمالةِ والخطابة
هـــــذا لنا ولهنَّ منَّا أن يبتنَ على جنابة[١].

وقد مثَّل أبو العلاء المعري هذه الرؤية التهميشية للمرأة بقوله :

علِّموهـــنَّ الغَزْلَ والنَّسجَ والرَّدْ نَ وخلُّـــوا كتابةً وقِـــــراءة
فصلاةُ الفتاةِ بالحمـــــدِ والإخْ لاصِ تُجزي عن يُونسَ وبراءةْ[٢]

وقد ترسَّخ هذا الخوف من تعلُّم المرأة ، وتنوُّر عقلها ، وأصبح نسقاً ثقافياً شائعاً في المجتمعات العربية ، وبقيت المرأة تتخبَّط في غياهب التخلُّف لقرون كثيرة ، لذلك كانت مهمتها صعبة جداً ، وقد اصطدمت بأعداء كثيرين سياسياً واجتماعياً ودينياً وثقافياً

---

[١] صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق : د. يوسف علي طويل ، دار الفكر – دمشق ، ط١ ، ١٩٨٧م : ١ / ٩٦ .

[٢] اللزوميات لشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبي العلاء المعري ، تحقيق : أمين عبد العزيز الخانجي ، منشورات مكتبة الهلال – بيروت ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) : ١ / ٥٢ .

واقتصادياً ، لذلك ((فمعركتها شرسة ، قاسية ومريرة ، وهي تخوض حرباً مفتوحة على الجبهات كلها ، ومع أكثر من عدو ، في المنزل والشارع والمدرسة وفي العمل ، ومع النظام السياسي والديني والاجتماعي ، وحتى الاقتصادي ، والمنظومة القيمية للمجتمع))[١]. وقد نجحت في مسعاها ، وقهرت الظروف والإقصاء ، إذ استطاعت أن تحصل على التعليم الكافي وفي مراحله المختلفة ، وحصلت على شهادات عليا ، مكَّنتها من ممارسة دورها في مختلف مجالات الحياة ، فدخلت ميادين الثقافة عبر منافذها المختلفة ، فكانت المعلمة والفنانة والشاعرة والكاتبة والصحفية والإعلامية ، وقد اتَّخذت من عملها الثقافي وسيلة للتعبير عن معاناتها وآلامها وأحزانها ، فكان سبيلاً أفادت منه في إيصال صوتها إلى المجتمع من جهة ، وأصحاب القرار السياسي والسلطة من جهة أخرى .

أولاً / المرأة المتعلمة

لقد حُرِمت المرأة العربية من حقها في التعلم لقرون طويلة ، وفُرِض عليها أن تعيش أسيرة بيتها ، وقد حدَّدت لها السلطة الذكورية واجباتها ونشاطاتها وجعلتها مقتصرة على الأعمال المنزلية وتربية الأبناء ، ومساعدة الرجال في القيام ببعض الأعمال وأعانته في أيام الأزمات . لكن هذا لا يعني أنَّ المرأة العربية قد أذعنت لهذا الواقع ، ((ففي الربع الأول من القرن الماضي شهدت بعض البلاد العربية تحولات ثقافية واقتصادية واجتماعية هيأت للمرأة فرصة الخروج إلى الحياة العامة للتعلم والعمل ، فاستطاعت المرأة بهذا الهامش من الحرية أن تخترق الحجب ، وتدخل بنجاح في عديد من المجالات))[٢]. وقد كان للمفكر العربي رفاعة الطهطاوي دور كبير في المطالبة بتعليم المرأة ، بعد أن عاش

---

[١] تمثلات المرأة في الرواية العراقية والإيرانية دراسة مقارنة : ١٢٦ .

[٢] م.ن : ٢٧٧ .

في أوربا ، وشاهد ما تتمتَّع به المرأة الغربية ، فقد دافع عن تعليم المرأة بحماس كبير ، وقد ربط دعوته هذه بما جاء به الدين الإسلامي ، فأدى هذا الربط دوراً إيجابياً في إقناع العقل الذكوري المسيطر آنذاك ، لفسح مجال التعليم للمرأة المصرية ، فضلاً عن ذلك فقد عمل على إقناع المجتمع أنَّ لا فرق بين الذكر والأنثى في طلب العلم ، وبيان أنَّ تعليم المرأة لا يشكِّل خطراً على شرف العائلة ، ولا على المصالح الذكورية وسلطتها . وقد لاقت دعوة الطهطاوي صدى وقبولاً من مختلف طبقات المجتمع المصري ، ومن ثم انتقلت إلى بلدان عربية أخرى[١]. إلا أنَّ ذلك لم يكن كافياً لخروج المرأة من الفضاء الضيق الذي وُضعِت مُرغمة فيه ؛ لأنَّ الأمر مرتبط بتغيير الفكر الذكوري ، فـ ((التحرر في المجتمع العربي ما زال ظاهرياً ؛ لأنَّه لم يتمكَّن من تغيير الموروثات من الأعراف والتقاليد ، لذا فإنَّ القضاء على العنف ، وعلى جميع أشكال التمييز ضد المرأة ، لن يتم ما لم تتوفر للناس ظروف اقتصادية وثقافية ، يتمكنون فيها من إقامة علاقة اجتماعية سليمة ، تعمّق المودة والتراحم في الأسرة ، وما لم تعمل المؤسسات الحكومية والأهلية على تنقية المجتمع من الأمية ، وتنقية البرامج التربوية والإعلامية من الموروثات الثقافية والاجتماعية التي تصور المرأة كائناً من الدرجة الثانية))[٢]. لذلك تبقى المعركة قائمة ، ويبقى الصراع محتدماً بين المرأة والمجتمع ، ((فالمنع من التعليم هو وسيلة تحقق للمجتمع هدفاً آخر ، وهو الحيلولة دون نهوض المرأة بأدوار هامة في الحياة . وهو موقف معبر أيضاً عن خوف المجتمع من هيمنة المرأة معرفياً ، إذ بدا له أنَّها متى حصلت على المعرفة استعلت بعلمها على الزوج ، فينجم عن ذلك انهيار سيادته عليها

---

[١] ينظر : المرأة والكتابة سؤال الخصوصية / بلاغة الاختلاف ، رشيدة بنمسعود ، أفريقيا الشرق ، المغرب – الدار البيضاء ، أفريقيا الشرق ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٢م : ٢٦ .

[٢] المرأة العربية في منظور الدين والواقع ، دراسة مقارنة ، جمانة طه ، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، (د.ط) ، ٢٠٠٤م : ٣٠٣ .

))[١]. لذلك فإنَّ تغيير الموروثات المتراكمة ليس بالأمر الهيّن ويحتاج إلى جهود واسعة ، ويتطلَّب دعماً سياسياً وإعلامياً وثقافياً واقتصادياً ، تقدمه الدولة بمؤسساتها المختلفة ، ومساندة منظمات المجتمع المدني ، والفعاليات الاجتماعية والدينية المختلفة ، ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ، بهدف انتشال المرأة من الجهل والتخلف ، ومنحها حقها في التعلَّم ، ((وإذا كانت الوظيفة الطبيعية للمرأة هي أن تكون أماً ، فيترتب عليها أن تغذي نفسها بالعلم والمعرفة ، لتستطيع أن تؤدي وظيفة الأمومة على أكمل وجه ، فقوة الأمومة تكمن في عقل الأم وسعة اطلاعها على مستجدات الزمن الذي تعيش فيه ، وهذا لا يتأتى بغير التعلم والاطلاع))[٢].

وبما أن المرأة تُعَدَّ نصف المجتمع ، فانَّ توجهها نحو التعلم والمعرفة وتثقيف نفسها باتَ ضرورة مُلَحة في عصرٍ شَهدَ تطوراً سريعاً في مختلف المجالات ، إذ لم تُعد المرأة حبيسة البيت وتؤدي واجباتها المنزلية ، وإنمَّا أخذت تقتحم مجالات الحياة المختلفة وممارسة نشاطات ثقافية متنوعة ، وأخذ دورها بالظهور والتبلور ، وصار لها حيز واضح في ممارسة أنشطة سياسية واجتماعية وثقافية كانت حكراً على الرجال لفترات طويلة . وفي ظل الصراع الذي يواجه المرأة لإثبات ذاتِها ، صار لزِاماً عليها أن تتعلم وتتثقف كي تستطيع مواجهة المهام المُلقاة على عاتقها ، فما تقوم به المرأة من أدوار ومسؤوليات في سبيل ازدهار المجتمع وتطورهِ ، وتقوية دعاماتهِ ، عبرَ بناء أولى نواته وهي العائلة ، فهذا لا يتحقق من دون التعليم والارتقاء بمستواها العلمي والثقافي والنفسي والمعرفي ، وتحرير عقلها من براثنِ الجهل وظلماتهِ القاتلة ، فالثقافة والتعليم تؤمنان للمرأة قدراتها وتمكنها من

---

[١] الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية آمال قرامي ، دار المدار الإسلامي ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ٢٨٣ .

[٢] المرأة العربية في منظور الدين والواقع ، دراسة مقارنة : ٢٩٦ .

تحقيق كرامتها ، وتحديد مصيرها ومستقبلها بعيداً عن التبعية لغيرها[١]. فضلاً عمَّا تقوم به من دورٍ كبير في تنشئة أبنائها على وفق المعايير العلمية الصحيحة ، وهذا يُسهِم في بناء أسرةٍ قادرةٍ على شق طريقها نحو العُلا . وقد سلطت سناء شعلان في مدونتها السردية الضوءَ على المرأة المثقفة والمتعلمة ، وأبرزت جَوانب متعددة من نشاطها الثقافي والفكِري سعياً إلى إنصافها ، واظهارها بالمظهر اللائق الذي يجعلها تنافس الرجل ، إذ لم تعد الثقافة حكِراً على الرجال .

وقد أوردت سناء شعلان في قصة (أكاذيب الحرة) في مجموعتها القصصية (أكاذيب النساء) جانباً من دور التعلُّم والمعرفة في مقاومة الواقع المأساوي الذي حاولت الأسرة والمجتمع فرضه عليها ، إلا أنَّ حصولها على حقوقها المسلوبة ، لا سيما حقها في التعلُّم قد أنار عقلها ، وجعلها تفهم لعبة الحياة ، إذ منحها القدرة على درء الأخطار ورؤية العالم بعينيها لا بعيون الآخرين ، ((**هي قد حصلت أرفع تعليم في أعرق جامعات العالم ، على الرغم من رفض أسرتها لتعليمها وسفرها ، فقد كانت أول أنثى في أسرتها تقرر أن تنتفض على منطق خنوع الدجاج ، تجأر بصوتها معلنة أنها ليست دجاجة ، بل امرأة كاملة الحرية والعقل ، ولها حق الحياة والاختيار والرفض وتقرير المصير ، واختيار مآلات ذاتها**))[٢]. هنا بيَّنت القصة أهم القضايا التي تخص المرأة العربية ، وهي صراعها مع المجتمع في سبيل ممارسة حقَّها في التعلُّم ، الذي كان حكراً على الذكور فدخلت في ميدان مناصرة حقوق المرأة قد دفعها إلى رسم صورة مشرقة لبطلة القصة ، إذ قادها تعلمها الجامعي إلى رفض منطق الذل والخنوع والوصاية ، وأعانها على المطالبة بحقوقها بصوت عالٍ ، متحديةً القيود والموانع التي وُضعِت في طريقها .

---

[١] تمثلات المرأة في الرواية العراقية والإيرانية ، دراسة مقارنة : ١٢٧ .

[٢] أكاذيب النساء : ٣٥ .

فلولا التعلُّم لما استعادت حريتها ، ولما تنوَّر عقلها ، امتلكت حق تقرير مصيرها بعيداً عن جبروت السلطة الذكورية . وقد بيَّنت القصة ذلك في مقطع آخر ، ((**لم يعجب هذا الأمر أسرتها أو سكَّان عالمها ، ولكنَّها تحدّت ذلك كلّه ، وطارت نحو سماوات الحرية ، وأخذت حريتها ، وحطَّمت أغلالها ، وباتت كاتبة شهيرة ، وحقوقية لها بصمتها في المجتمع الدولي وصوتاً حرَّاً له خياره الكامل**))[١]. فلم تقف القصة عند الحدود الدنيا للتعلُّم ، بل أرادت للمرأة أن تصل إلى أعلى المستويات ، وتنال أعلى الدرجات ، وترتاد المنظمات العالمية ، وعليها أن تغادر المرأة المحلية ، لتصل إلى العالمية ، وأن تكون مؤثرة وفاعلة في المجتمع تستطيع أن تسهم في تحمَّل أعباء المسؤولية أسوة بالرجل ، فإن ملكت المرأة المعرفة ، ستكون قادرة على قيادة نفسها ، وتصحيح النظرة الخاطئة التي حرمتها من حقوقها في التعلُّم ، فمعركة استعادة الحقوق كبيرة وطويلة ، ممَّا يحتم على المرأة أن تتسلَّح بالعلم والمعرفة ، فهما الوسيلة الوحيدة القادرة على قهر الواقع المظلم الذي رُسِم لها ، فالقصة تتحدث هنا عن سلسلة ممارسات قامت بها البطلة ، فقد ((**بدأت تكتشف حقوقها وقدراتها ، وآمنت بنفسها ، وحقَّقت كل ما حلمت بتجريبه ، لقد تعلَّمت أكثر من لغة ، وصرخت في المظاهرات ضد قوى الظلم ، وجاعت لتتبرَّع للجائعين ببعض طعامها ، ورقصت تحت المطر ، ورأت الله يتجلَّى في العدل والحرية ، وقرأت الكتب دون توقف ، وسمعت أصوات المعابد والكنائس والمساجد ، وضحكت في الطرقات دون خوف أو تخويف من عورة أو فتنة أو عقاب أو جلد**))[٢]. فكل ما ورد في المشهد القصصي يشير إلى حقوق تم تجريد المرأة منها ، ومُنِعت من الحصول عليها ، وهذا إنَّما يدلِّل على أنَّها تعاني كثيراً من الظلم الذكوري بأشكاله وأساليبه المختلفة ، لذلك حان الوقت أن تُستردَّ الحقوق ، ويُرفَع الظلم ، وتتحطَّم القيود والحواجز التي أثقلت

---

[١] أكاذيب النساء : ٣٥ .

[٢] م.ن : ٣٥ .

كاهل المرأة كثيراً ، وعطَّلت من حركتها ، وحرمت المجتمع من طاقاتها وإبداعاتها ، فأعلنت القاصة في ختام القصة أنَّها أصبحت ((**حرَة تماماً ، حرة كما أرادت ، وحرَّة كما يراها كل من حولها ، ولها أن تصيح متى تشاء ، وكيفما تشاء، وفي وجه من تشاء ، أنا حرَّه ، ولستُ دجاجة في قن أيّ ديك كان**))[١]. وهنا شكَّلت حرية المرأة الثيمة الأساسية للقصة ؛ لأنَّها كانت وما زالت الشغل الشاغل للمثقفات والناشطات في مجال حقوق المرأة ، فحينما ((تتمَتع المرأة المثقفة المتعلمة باستقلالية تامة في اتخاذ قراراتها ، فهي تسعى دائماً للتخلص من كل المحددات التي تحجِّم قدراتها وطاقاتها ، وسعيها الحثيث لبلوغ غاياتها ودائماً ما يتكلل هذا السعي بمزيد من الاستقلالية والتحرر واستقلال القرار))[٢]، وهو ما سعت القصة إلى تأكيده ، وبثه في المجتمع ، لتكون المرأة هي صاحبة القرار في ممارسة حياتها .

ويبدو أنَّ استرداد المرأة لقرارها لم يكن أمراً يسيراً ، بل كان قضية شائكة ومعقدة ، لذلك جعلتها القاصة قيمة عليا تستحق التضحية ، وممارسة مختلف أنواع الوسائل للوصول إلى الهدف المنشود ، ومن تلك الوسائل التعلُّم ، الذي جعلته مفتاحاً لتفتيت الصعاب ، ومحو آثار المعاناة التي لُصِقت بها لعصور متتالية .

أمَّا في مجموعتها القصصية (تقاسيم الفلسطيني)، فقد كان الهم الفلسطيني حاضراً بقوَّة ، ومن ذلك المعاناة التي تقاسيها المرأة الفلسطينية في طريق التعلُّم ، ففي قصة (منهاج جديد) اتَّضحت قدرة المرأة على مقاومة طبيعة التعلُّم المفروض عليها ، فهي تملك قرارها الذي يتجلَّى في إصرارها على التعلُّم الذي يتلاءم مع تطلعاتها وهمومها الوطنية ، ((**يوبَخها والدها بشدة كما يوبّخ سائر أخوتها إن لم تحصل العلامة النهائية**

---

[١] أكاذيب النساء : ٣٦ .

[٢] تمثلات المرأة في الرواية العراقية والإيرانية دراسة مقارنة : ١٣٣ .

الكاملة في المواد التي تدرسها في مدرسة (الأونروا) التي يدرسون فيها بالمجان ، ويكرَّر على مسامعهم دون كلل أو ملل ، ليس للفلسطينيين ثروة سوى العلم ، إيَّاكم والجهل ، عليكم جميعاً أن تواصلوا دراساتكم العلمية حتى لو بعت ملابسي وملابسكم لأجل ذلك))[١]. فالمشهد السابق يشير إلى أهمية العلم ، وأثره في حياتهم ، فكان الهم الأكبر للآباء ، الذين لم يتوَّرعوا في ممارسة مختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة في سبيل الحصول على العلم ، حتى وإن كان أسلوب التعنيف والقوة أحد أساليب الحث على طلب العلم ، ومواصلة الدراسة ، لكن بطلة القصة لم تذعن لما يُفرَض عليها ، لأنَّ الوطن وحريته ، واستقلاله وحصوله على حقوقه ، وخلاصه من الاحتلال ، كل ذلك يمثِّل من أهم أولياتها ، فالتعلُّم الذي لا يلبِّي توجهاتها وآمالها وأحلامها وأمنياتها في رؤية وطنها حراً معافى ، ولا يحمل أي قيمة بالنسبة لها ، لا شك أنَّها ترفضه .

وفي نص آخر تقول : ((**حصلت على كتابي تاريخ وجغرافيا جديدين ، تفوح منهما رائحة الورق الجديد الذي لم تعبث به الأيدي الآدمية ، في كتاب الجغرافيا بحثت عن خارطة فلسطين ، فوجدت اسم إسرائيل يتربَّع في وسطها . وفي مادة التاريخ وجدت اسم إسرائيل كدولة من دول الجوار ، أطبقت الكتابين دون اهتمام بأن يتمزقا ، وما عادت تبالي بأن تأخذ أصفاراً في مادتي الجغرافيا والتأريخ ؛ لأنَّهما مادتان خائنتان))**[٢]. وهنا يتَّضح أنَّ التعلُّم كان مشروطاً ، فما كان سبباً في مأساة شعبها لا يدخل في حساباتها ، فالمادة الدراسية التي تثير شجونها ، وتذكرها بالهزائم والانكسارات لا يمكن أن تتعلَّمها ، فهي تبحث عن المادة الدراسية التي تفتح لها باباً للحرية والاستقلال

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ١٢٨ .

[٢] م.ن : ١٢٩ .

والأمل بالمستقبل المشرق ، وتعيد لها وطنها الذي سلبه الاحتلال الإسرائيلي وكان فيه دمار وخراب ، وشرَّد أهله .

وفي مجموعة (الذي سرق نجمة) تتجلَّى صورة أخرى للمرأة المتعلمة ، التي تفيض إبداعاً وعطاءً . تلك البنت ذات القدرات العقلية الواسعة ، فهي ((**تتعلَّم الكتابة والقراءة في أشهر قليلة ، المعلمات يسمين هذا ذكاءً ، أمها تسميه وراثة جينية ، ولكنَّها تعلم أنَّ الحكاية هي السبب**))[١]، فمهاراتها في القراءة والكتابة كانت موضعاً للخلاف بين معلماتها وأمها ، وفي ظل هذا الاختلاف في الرؤى ، أعلنت البنت عن مصدر مهارتها في التعلَّم أنَّ العنصر الإبداعي المتمثل بالحكاية التي تسمعها ، فتح أمامها طريق العلم والمعرفة ، ونوَّر عقلها ، لذلك كانت مواظبة على الحكايا ، إذ وجدت فيها نفسها ، واكتشفت ذاتها ، وأبصرت طريقها ، غير مبالية بما يقوله الآخرون ، فما يهمها هو قلمها الذي يمثِّل قدرها ، ويعبرِّ عن كيانها ، فهو من يمنحها الاستقلالية بعيداً عن المؤثرات الخارجية .

وفي مشهد قصصي آخر ((**تريد أن يتحرَّر قلمها من سيطرة أمها ، لتكتب ما تشاء ومتى تشاء دون أن تنتظرها بفارغ الصبر حتى تنتهي من أعمالها المنزلية الموصولة ، لتملي عليها ما تحاصره طوال النهار وفي نفسها من حكايات قد تتفلَّت منها ، وتهرب بعيداً قبل أن تحبسها في ورقة أثيرة تجيد أن ترتبها في مكانها في الدرج الوحيد في خزانتها الخشبية الخضراء القديمة**))[٢]. إصرار البنت على التمسك بالحكاية ، يبدو أنَّه كان ملازماً لها ، ويشغل بالها كثيراً ، فهي جذوة النار التي أوقدت بداخلها

---

[١] الذي سرق نجمة ، مجموعة قصصية ، د. سناء الشعلان ، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٦م : ١٠٥ .

[٢] م.ن : ١٠٥ .

حب التعلُّم وحفّزت لديها كوامن الإبداع ، الأمر الذي جعلها تكتشف أسراراً كثيرة في العالم ، وتتطلَّع على خفاياه وما هيته ، ومكوناته ، لذلك فحينما تمسك بقلمها ، وتستعد لممارسة طقوسها الكتابية ، ينفتح أمامها الأفق ، ويصبح رحباً ، فيزداد وعيها ، وتتوسَّع مداركها ، وينهمر إبداعها ، فـ ((**العالم يصبح أرحب عندما تمسك بالقلم ، تبدأ بالكتابة ، تكتشف أنَّ العالم كلَّه مصنوع من مادة الحكاية ، لذلك تفهم العالم بمنطقها وتتعامل معه وفق منطق الشخوص والزمان والمكان والعقد والتأزم والحل والرؤية واللغة ، كل شيء في عرفها له حكاية ، وهي تتقن فن الحكايا**))[١]. فصورة المرأة لم تكن الصورة النمطية المعتادة ، التي لم تخرج في أغلب الأحايين عن إطار اليأس والإحباط ، والانكفاء والانزواء ، هي تبحث عمَّن يسمع شكواها وهمومها ، فتبوح له بأحزانها وآلامها ، إلا أنَّ القصة عملت على تغيير النظرة الشائعة عن المرأة ، واستبدلتها بصورة بدت فيها المرأة ذات قدرة وفاعلية في ممارسة أنشطتها الإبداعية وبيان قدرتها في قراءة العالم بمنظارها ، وأداء واجباتها والإفصاح عن إمكاناتها في التعلَّم، وهو ما قادها إلى التفوُّق والنجاح ، فكانت ((**تأخذ علامات كاملة في المواد جميعها ؛ لأنَّها تجيد الحكايا ، أمَّا مادة الرياضيات فتخفق فيها دائماً ؛ لأنَّ الأرقام لا تحب الحكايا ، ولها منطق آخر لا تفهمه**))[٢].

أمَّا في مجموعتها القصصية (مذكرات رضيعة) ، فقد تجلَّت في قصة (نوارس البحر) صورة للمرأة المهاجرة الباحثة عن العلم والمعرفة ، متحدية ظروف الغربة ومفارقة الأهل والأحباب ، فالطالبة البحرينية (إيمان عبد الغفار) قد تقاسمت بطولة القصة مع ابن بلدها (حمد جناحي) ، فهما ((**من نوارس البحرين التي شدَّت الرحال إلى الأردن**

---

[١] الذي سرق نجمة : ١٠٥ .

[٢] م.ن : ١٠٥ .

بهدف الدراسة، لم يجتمعا يوماً ، ولم يعرفا بعضهما على الرغم من أنهما مواطنان بحرينيان ، لكن طموح العلم وحَّد طريقهما ، وشابه بين هدفيهما))[١]. فإيمان هدفها هو العلم الذي يلبِّي طموحاتها ، ويحقِّق لها آمالها ، فما تطمح له لم تجده في بلدها ، وقد وجدته في الأردن ، على الرغم من بعد المسافة ، والعيش تحت وطأة الاغتراب ، إلا أنّها كانت تمتلك إرادة قوية وإصراراً على مواصلة الدراسة ، واكتساب العلم ، فهي ((**تقبل على الحياة الدراسية والاجتماعية في عمَّان ، وتجتهد كي تثبت جدارتها واستحقاقها لشرف جهاد العلم))**[٢]. وعلى الرغم من الدافع الذي كانت تحمله (إيمان) في سبيل العلم ، إلاّ أنَّ أحلامها وأمنياتها اصطدمت بآلة القتل التي يملكها صنَّاع الموت من الإرهابيين ، فماتت في أحد التفجيرات التي ضربت العاصمة (عمَّان) فذهبت أحلامها أدراج الرياح ، ولم تتحقَّق أمنياتها في الحصول على الشهادة التي ترغب فيها .

وفي موضع آخر فقد أعطت الكاتبة مثالاً للمرأة التي تقوم بتعليم الأجيال ، وزرع القيم الإنسانية في نفوسهم ، وحثهم على الإصرار والتحدي ، وقد تجلَّى ذلك في قصة بعنوان (عائشة ألوان) في مجموعاتها القصصية (تقاسيم الفلسطيني) المعلمة الجميلة التي عملت على تحويل الحياة البائسة التي كان يعيشها الاطفال في مُخيَّم اليرموك بفعل العَوز إلى حياة مليئة بالسعادة والأمل والجمال ، على الرغم من معاناتها ، وتعرُّضها إلى التعذيب الذي أوصلها إلى الموت ، وكان سلاحها في ذلك هو تعليم الأطفال على الرسم ، ((**هم يثقون فيها لأنها هي معلمتهم الجميلة التي علمتهم الرسم ، كانت تشتري الألوان والأوراق لمعظم الأطفال في مخيم اليرموك ، إذ إنَّهم لا يستطيعون أن يدفعوا أثمان شرائها بسبب عوزهم ، هي مَنْ علمتهم ان يرسموا الحياة جميلة متسعة فرحة**

---

[١] مذكرات رضيعة ، مجموعة قصصية ، سناء الشعلان ، نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي ، الأردن – عمان ، (د.ط) ، ٢٠٠٦م : ٦٨ .

[٢] م.ن : ٧٠ .

على عكس الحياة التي يعيشونها في هذا المُخيَّم))[١]. وهنا أثبتت الكاتبة أنَّ الثقافة تمتلك القوة الكافية على ردع الظلم والطغيان ، وتجاوز حالة البؤس ، وصنع الحياة وإشاعة الأمل والتفاؤل ، وهذا ما قامت به المعلمة (عائشة ألوان) ، إذ حققت عبرَ دورها التعليمي والثقافي ما كانت تصبو إليه في صناعة جيل قادر على بناء مستقبلهِ حتى بعد موتها ، والأطفال ((**يرفضون أن يستسلموا لفكرة موتها ، ويشرعون يرسمونها على جدار المدرسة باسمة نضرة عائدة إليهم محملة بالمؤن والدواء ، ويلبثون ينتظرونها ، فهي لا تخلف ميعادها معهم أبداً))**[٢].

أما في قصة (الخرافة الخامسة) ضمن مجموعة (عام النمل) القصصية ، فقد أبرزت سناء شعلان صورة المرأة الكاتبة التي غَيّرت مجرى الأحداث ، فكانت كلماتها مشعلاً أنارَ الطريق للأحرار في معركة الصراع مع التسلط والطغيان . فذكرت ((**كان في قديم الزمان فتاة عجيبة ، منذُ ولدِتَ لا تنام ولا تأكل ولا تشرب ، فتطّير الناسُ منها ، وخافوا من الاقتراب منها ، وعدَّوها شراً يخشونه ، ولذلك سجنوها في قلعة في الجبال ، وأقاموا عليها الحرس والجدران ، فعاشت الفتاة في سجنها وحيدة حزينة))**[٣]. وهنا عملت الكاتبة على بيَان الظلم الذي تعرضت له الفتاة من المجتمع الذي نبذها ، وأسرف في إيذائها ، ولكن هذا الأمر لم يؤدِّ بها إلى الاستسلام والضعف واليأس ، وإنَّما اتخذت من السجن منطلقاً لتحطيمِ قيود القهرُ والظلم ، فقامت بدور المُخلّص ، وهي قابعة في سجنها ، ولم تمتلك من السلاح سوى قلمها الذي أشعَل نيران الثورة ، ((**وفي يوم ممطرٍ هاجَمَ الأعداءُ البلادَ ، ودكّوا الأسوارَ ، وفتكوا بالزرعِ والنساءِ والذراري ، فكتبت الفتاة**

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ٩٦ .

[٢] م.ن : ٩٦ .

[٣] عام النمل ، مجموعة قصصية ، سناء كامل أحمد شعلان ، مطبعة تطوان ، (د.ط) ، ٢٠١٤م : ١٢٩ .

السجينة قصةً فيها جيش وطني جرّار يَسحق الأعداء ، ويحقق الآمال ، فدبَّت الحياة في الأوراق ، وأصبحوا جيشاً قَهَر الأعداءَ ، حَرَّر البلاد))[١]. ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل اتخذت الفتاة السجينة من قلمها مبعثاً للأمل والتفاؤل ، فرسمت صورةً جميلة للمستقبل بعيداً عن قتامةِ الواقع ومرارتهِ ، فقد ((**كتبت قصة عن هناء يعّمر البلاد ، وشفاء يُدرِكَ المرضى فيشفيهم ، وخير وبركة تحلُّ على العباد ، فدبَّتَ الحياة في كلماتها ، وغدت حقيقة ، عندها عرِفَ الناس قيمة الفتاة اللغز ، وأنزلوها منزلة التقدير ، وأدركوا سبب استثنائيتها وغرابتها وعدم نومها ، إذ لا يجوز لملكة الحق أن تنام))**[٢]. وبذلك أعطت الكاتبة شاهداً على دور المرأة المثقفة في المجتمع ، وإنَّ بإمكانها قلب الموازين وصناعة الأمل ، وقيادة المجتمع نحو الحرية والازدهار رغم الصعِاب ، وقلة الاساليب والوسائل المُتاحة أمامها .

وتُورد سناء شعلان في موضعٍ آخر من إبداعها القصصي قصة بطلتها فتاة مبدعةٌ في كتابة القصة ، والتي عملت على أن ((**تحصل على جمهور من القُرَّاء لقصصها التي تنتجها بطريقتها الخاصة من مصروفها المدرسي ، بطريقة التبادل الحُر ، فمقابل أن تقرأ صديقاتها ومعلماتُها وزوجةُ خالها وأُمها وأترابُها في الأسرة قصصها ، فهي تُعطي شطائرها لصديقاتها في المدرسة ، وتظل بلا طعام في الاستراحات المدرسية ، وتكفُّ عن شقاوتها في الحصص لإرضاء معلماتها ، وتنظيف المطبخ الذي دمرته دماراً شاملاً في بيت زوجة خالها ، وتُنظّفُ سجادة الردهة في البيت إكراماً لأمها ، وتتنازل عن زعامة عصابة أطفال الأسرة لابنة خالها))**[٣].

---

[١] عام النمل : ١٢٩ .

[٢] م.ن : ١٢٩ .

[٣] الذي سرق نجمة : ١٠٦ .

فهذه البنت على الرغم من صغر سنها ، إلاّ أنَّها أثبتت قدراتها الإبداعية ، لا في إبداع كتابة القصة فحسب ، وإنَّما كانت مبدعة أيضاً وحاذقة في اتّباع الأساليب المختلفة التي بإمكانها حمل القُرَّاء على قراءة قصصها ، فأثبتت جدارتها في تكوين مجموعة من القُرَّاء ، عبرَ ممارسات إغرائية قامت بها للإشهار عن موهبتها الابداعية . وهذا الأمر يعطي انطباعاً جيداً عن قُدرة الأنثى على ممارسة دورها في المجتمع ، والتعبير عن أفكارها ومشاعرها وأحاسيسها ، والبوح بانفعالاتها ، وما تكنَّهُ بصدِرها ، وما يجول بخاطرها ليكون مُتاحاً أمام القُرَّاء . إنَّ درجة الوعي والثقافة التي تمتلكها تلك الطفلة الصغيرة جعلها قادرة على تسويق منتجها ، فبدأت بالبيئة المحيطة بها ، فاختارت صديقاتها ومعلماتها وزوجة خالها وأمها وأخواتها ، ليكوننَّ المُستهلِك الأول لنتاجها الإبداعي ، وهي لا تقف عند جوانب الإغراء في كسب القُرَّاء ، بل تنتهج أساليب أخرى أشدُّ ضراوةً حينما تستنفد وسائل اللين مع الآخرين ، كما يصوره المقطع الآتي من القصة **((ومَنْ يثبت بالدليل القاطع بأنَهُ لم يقرأ القصة بعد أن تهاجمه بالأسئلة عيار أرض جو ، فهي تُعلنِ عليه حرباً طفولية لا تعرف هوادة أو صلح ، وتصفه بالحمار الصغير أو الكبير وفق درجة غضبها منه))**[1]. فما يهمها هو فرض نفسها وإبداعها على الآخرين بمختلف الوسائل المتاحة أمامها ، والهيمنة على قراءات المتلقي ، ودفعهم إلى قراءة منتجها عبرَ اللين تارة ، والعنف والشدة تارةً أخرى .

وتنقل لنا الكاتبة سناء شعلان في قصة (الهاربة من الموت) أنموذجاً للمرأة المتعلمة التي تعمل في المجالات الإنسانية ، لا سيما في أفغانستان وفلسطين ، وكان همها تحدي الموت في سبيل تقديم خدمات انسانية وتعليمية في أفغانستان التي شهدت حروباً وصراعات واحتلالاً أمريكياً أتى على الأخضر واليابس . وقد صورت الكاتبة ذلك

---

[1] الذي سرق نجمة : ١٠٦ .

بقولها : ((**قابلت الموت مراراً في بلدها ، حيث لا أمن في الطرقات المظلمة ، ولا في قلب ظلام المساء ، ودرسَّت فنون لعبتي الحياة والموت طويلاً في معهد كولومبيا لدراسات الحرب والسلام منذ أن غدت استاذة جامعية فيه ، ثم تحدَّت الموت علانيةً عندما كانت تعمل في تطوير التعليم في افغانستان ، حيث توقعت أن تصادف الموت في أي لحظة في تفجير أو في رصاصة طائشة ، فتسقط قتيلة ضحية العنف أو الارهاب أو أي شيء قد تدّعيه أمريكا تعليلاً لموتها**))[1]. لم تكن (آنا) بهذه القوة والقدرة على تحدي الصعاب ، وتجاوز أخطار الموت ، لولا أنَّها كانت متسلحة بالثقافةٍ والعلمَ ، فوظيفتها كأستاذة جامعية تُلقي المحاضرات على الطلبة ، لما امتلكت كل هذا العَزم والقدرة على عدم الاكتراث للموت ، وقد تجلى ذلك حينما اختارت أفغانستان ، البلد الذي يُعد من أبرز بؤر الإرهاب في العالم ، وصناعة الموت ، والاستهانة بأرواح الآخرين ، لذلك فهي تحدَّت الإرهاب بقوة وبسالة . وهي بذلك تضرب مثالاً رائعاً لدور المرأة المتعلمة في المجتمع ، ومشاركة الرجل في أداء مهام محفوفة بالمخاطر والمصاعب .

ولعل تجربتها في أفغانستان قد صقلت شخصيتها ، وجعلتها أكثر جرأة وإقداماً في ارتياد المناطق الساخنة في العالم ، فشخصية (آنا) يتقاسمها طرفان هما : (الشجاعة والإنسانية) ، فكانت مناصرة لحقوق الشعب الفلسطيني المظلوم ، ((**جاءت آنّا إلى الأردن لحضور مؤتمر برعاية جامعة جنيف عن اللاجئين الفلسطينيين ، حضرت الكثير من المحاضرات حول أوضاع اللاجئين الفلسطينيين ، وكثيراً ما ألفت نفسها تمسح بطريقة تمثيلية متُقنة بعض العبرات التي عللتها بالحزن على أوضاع**

---

[1] مذكرات رضيعة : ٨١ .

الفلسطينية))[١]. وهنا أثبتت المرأة مدى قدرتها على النهوض بدورها الإنساني ، والدفاع عن قضايا وطنها ومجتمعها .

ثانياً / المرأة الجاهلة

لعلنا لا نجانب الصوابَ إذا قلنا إنَّ المرأة تُعدُ من أكثرِ فئات المجتمع التي تعرضت للإقصاء والتهميش ، إذ أبتليَت بالاضطهاد والظلم المجتمعي الذي كمَم افواه النساء وأذاقها صنوف العذاب والجور والعنف ، فُغّيبت عن الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ، لا سيما في بلداننا العربية ، فكانت النظرة الدونية للمرأة هي السائدة في المجتمع ، وهذا لم يكن بفعل الرجل فحسب ، وإنّما تخلف المرأة أيضاً وعدم فهمها لدورها الحقيقي ومساهمتها في تغيير الواقع الاجتماعي . إذ إنَّ في المجتمعات المتخلفة تُلقَنُ الأجيال ويتم تثقيفها على أنَّ الرجل هو صاحب السلطة العليا في المجتمع ، فهو الآمر والناهي ، والمتُحكّمِ بمختلف مفاصل المجتمع . وأنَّ المرأة أقلُ شأناً من الرجل ، فلا يسمح لها بالمطالبة بحقوقها ، وليس لها سوى الظلمُ والقمعُ والاضطهاد ، وقبول كل ذلك وهي راضية به ، حتى أنَّ أغلب القوانين والنُظم السياسية على مر التاريخ ، كانت تضفي صيغة الشرعية والقبول على تلك الأوضاع المزرية التي يباركها الفرد والمجتمع[٢].

ومن نماذج جهل المرأة في قصص سناء شعلان ، اعتقاد المرأة بالخرافات ، وهو ما وَردَ في قصة (مهرجان البصل) ، إذ عالجت الكاتبة قضية اجتماعية كانت وما زالت مستشرية في أغلب المجتمعات لا سيما المتخلفة منها ، ألا وهي قضية الأرواح الشريرة والجن وما يحيط بها من معتقدات وجدت مناخاً ملائماً وأرضاً خصبة للنمو ، وهي دليل على التخلف وقلة التفكير والوعي ، ويبدو أنَّ إيمان بعض النساء بتلك المعتقدات كان

---

[١] مذكرات رضيعة : ٨١ .

[٢] تمثلات المرأة في الرواية العراقية والإيرانية ، دراسة مقارنة : ١٥٥ .

أكثرُ وضوحاً ، إذ إنَّ قلة التعليم ، وضعف المرأة وخضوعها لسلطة الرجل والمجتمع والقبيلة في بعض الحالات جعلها تبحثُ عن أي سبيلٍ للنجاةِ والخلاص من آلامها وهمومها ووجعها . وهنا تصوّر الكاتبة في قصتها ما جرى من أحداثٍ بين العمةِ والكنةِ تحت غطاء الجهل والتخلف ، فنقلت لنا جانباً من حياة أحدى الأسر الهندوسية عَبر المشهد القصصي ، ((**لم تجد أنَّ من المناسب أن تحضر مهرجاناً وهي أرملة من عهدٍ قريبٍ ، فضلاً عن أنَّها في مزاجٍ متعكر منذُ وفاة زوجها ، على الرغم من انها من عشاق المهرجانات ، ومن الذين يضفون عليها بهجةً خاصة ، ويورثونها طقوساً مستحدثة طريفة ، ومن الذين يُحدثون بها بدُعاً مُتبعة**))[١]، صورت لنا القاصة هنا حالة الحزن التي تعيشها تلك المرأة ، فقد تمكن منها الحزن ، وأخذ مأخذاً عظيماً منها حتى بدت منكفئةً على نفسها ، ولم تستطع الخروج من واقعها المظلم ، ابتعدت عن ممارسة هواياتها وطقوسها المفرحة ، وقررت عدم الحضور إلى المهرجان الذي كانت تعشقه ، ((**لكن حماتها أصَّرت على أن تحضر هذا المهرجان بالذات كي تبرأ من الأرواح الشريرة التي تلازمها كما تدّعي الحماة المستسلمة للوساوس والخرافات ، والموتورة بابنها الوحيد الذي مات غرقاً في النهر المُقَّدس بعد زواجه بأشهرٍ قليلة ، ومنذ ذاك آمنت أنَّ أرواحاً شريرة سكنت بيتها ، واستوطنت جسد الكنَّة التي حَلَّت الكوارث منذ أن حَلَّت في بيتها**))[٢]. وهنا قامت الحماة بنشر ثقافة التجهيل والتخلف ، وإشاعة المفاهيم الخاطئة في مواجهة الموت ، فالتجأت إلى الخرافات والمعتقدات ، وعملت على إيهام الآخرين بصحتها ، فاضطرت الكنَّة إلى حضور المهرجان ، و((**كان المهرجان المقام على الحدود الشرقية للغابة ، يُضَّجُ بالموسيقى وقرع الطبول ، وآلاف**

---

[١] الكابوس ، مجموعة قصصية ، سناء كامل أحمد شعلان ، دائرة الثقافة والإعلام – الشارقة ، ط١ ، ٢٠٠٦م : ٧٣ .

[٢] م.ن : ٧٣ .

الاجساد تتداعى في هرج ومرج في لوحة فنية تَضَّجُ بالحركة ، تابعتها آلاف العيون البارزة من تحت أقنعة التنكر الملونة ، فلا يجوز في هذا الحفل أن يُظهر أي شخص وجَههُ خوفاً من أن تعرفة الأرواح الشريرة التي ترصده ، فتصيبهُ بشرورها وتلازمه بخبثها))[١].

ويبدو أنَّ اختيار البصل قد كان عملاً مقصوداً ، ولغايات محددة ((**وهي تهجير الارواح، الذي يعد البصل تعويذة للقضاء عليها وعلى شرورها ، كل مُحَتفلٍ جاء مؤمناً بأنَّ روحاً شريرة حَلَّت في حياته ، وهو في سبيل ذلك سيفرك جسده بالبصل حتى يُهيّج بشرته لكي يُجبر الأرواح الشريرة على مفارقَتهِ ، والهروب بعيداً))**[٢]، ثم إنَّ الكنّة سرعان ما دخلت إلى أجواء الاحتفال ، وقد تخلصت من ثوب الحزن الذي كانت ترتديه وبمساعدة أحد المحتفلين الذي استطاع أن يوهمها أنَّهُ الشيطان في مَواقفِ كثيرةٍ جمعتهما معاً ، وقد سألها ((**يا جميلة لماذا لا أرى لكِ دموعاً ، ألستِ من بني البشرِ؟ ألا يريق البصل دموع عينيكِ الساحرتين؟ ابتسمت له ، وقالت بطفولية مدافعةً عن نفسها ، عيناي لا تدمعان أبداً من البصل ، أمي تقول أن جدتي كحلتني بماء البصل بعد ولادتي بلحظات ، ومنذ ذلك الوقت بتُّ لا أتأثر بغاز البصل ، ولا تدمع عيناي بسببه))**[٣].

وهنا خضعت الكنة لمنطق الخرافات التي كانت تتحكم بسلوكها وتصرفاتها .

فيما كانت قصة (الغرفة الخلفية) تتحدث عن امرأة استولى عليها الجهل حتى أصبحت أسيرةً لممارسات خاطئة جعلتها تسلك سلوكاً منحرفاً ، فقادتها كوابيسها البشعة نحو التوّحش نتيجة ظروف اجتماعية قاهرة ((**هذه الكوابيس المزعجة تعذبها ليلاً ، وتطاردها نهاراً ، بدأت هذه الكوابيس منذ أن رحلت أمها إلى العالَم الآخرَ ، بالتحديد**

---

[١] الكابوس : ٧٤ .

[٢] م.ن : ٧٤ .

[٣] م.ن : ٧٧ – ٧٨ .

منذ أن بدأت بالعمل في ذلك المجّمع التجاري ، عند ذلك التاجر الشاب الوسيم الذي يَفَيضُ شباباَ ونهماً ، الذي تشعر بأنَّهُ سيلتهمها بعينيهِ الخلاسيتين . كم تتمنى لو إنَّ أمها لم ترحل ، وبقيت في دنياها ، كانت تشعر بأنَّ وجودها في الدنيا يلهمها سلاماً ودفئاً))[١]. وقد ألقى رحيل أمها بظلاله السلبية على حياتها ، فكان باعثاً من بواعث الحزن والألم ، حتى أصبحت ممراً سهلاً للكوابيس والأوهام التي اقتحمتها في لحظةِ ضعف ، إذ **((أحياناً تَشعرُ بأنَّ ذلك المجرم المتوحش ، الذي يجوب البلدة ، يقتل بلا رحمة ، سوف يتسلل إلى بيتها ، ويجعلها طعاماً لنوارس الميناء ، تتخيَّل جسدها النحيل مُتعفناً مهصوراً تقتاده دواب الأرض ، وينخر الموت عظامه الصغيرة ، وفي قاع البحر تغوص جمجمتها ، وتسكن السمك محجري عينيها))**[٢]. فالمشهد السابق يحيلنا إلى عالم من الجهل والتخلف والضياع الذي كانت تعيشه تلك المرأة المنكوبة ، حتى أصبحت صيداً سهلاً لكوابيسها ، وفقدت السيطرة على زمامِ نفسها ، وباتت مسرحاً للأوهام ، وقد قادها جهلها ، وفقدانها للمعرفة إلى التخَبّط والتَيه في عوالم الضلال ، فقد **((قررت أن تتناول فطورها ، ثم تذهب إلى عملها ، كم شعرت بأنها مُتعَبة ومنهكة ، على رجليها كدمات كثيرة ، وعلى صدرها كذلك ، خَمنَّت أنَّ السير الطويل البارحة إلى بيت العَّرافة الغجرية قد استهلك قِواها ، الحق أنَّه قد استهلك الكثير من صبرها ونقودها أيضاً ، كم كانت سخيفة عندما فكرت في اللجوء إلى تلك الدجاّلة التي قالت لها : إنَّ روحاً شريرةً قد سكنت جسدها ، وإنَّ هذه الروح تزعجها ، وتسبب لها القلق والخوف ، ولذا عليها أن تُقّدِم النذور والقرابين لهذه الروح كي تغادر بسلام))**[٣]. وهنا كان اللجوء إلى العرَّافة ضرباً من ضروب الجهل ، والخوَاء الفكري والثقافي ، وهو علامة على عدم

---

[١] الهروب الى آخر الدنيا : ٧٨ .

[٢] م.ن : ٧٨ .

[٣] م.ن : ٧٩ .

القدرة والمواجهة ، ممَّا سَهَّل من استباحة الكوابيس لها بعدما وجدت الأجواء مُهيأَة لها ، إذ لم تتحصَّن بسياجٍ معرفي وفكري يقيها من الأوبئة الاجتماعية الضارة التي نهشت جسدها ، وتغلغلت في أعماقها ، فتحكمت بسلوكها وقراراتها . فقد بلغت من الاندحار أمام هجوم الكوابيس ، وتمكنها منها أنَّها وصلت إلى مرحلة عدم التفريق بين الأحلام والكوابيس ، ((**لطالما تحققت أحلامُها ، أعني كوابيسَها ، فقد عرفت بموت كثير من معارفها قبل أن تُعلَم بذلك رسمياً ، لقد كانت كوابيسها المرأة لروية ذلك مُسبقاً**))[1].

فالركون إلى الخرافات عند بعض النساء لا شك أنَّهُ يمثِّل مظهراً من مظاهر الجهل والتخلف ، التي تدفع المرأة إلى الهروب من مجابهة الواقع ، والتمترس بوسائل واهية لا تصمد كثيراً أمام منطق العقل ، وسلطان العلمِ .

---

[1] الهروب الى آخر الدنيا : ٨٠ .

الفصل الثاني

علاقة المرأة بالآخر

توطئة

قبل الخوض في علاقة المرأة بالآخر ، لابد من الوقوف عند مفهوم الآخر لغة واصطلاحاً . ففي الجانب اللغوي ذكرت معاجم اللغة أنَّ الآخر يأتي بمعنى الشيء المقابل للذات ، فجاء في لسان العرب أنَّ ((الآخر بمعنى غير ، كقولهم : رجلٌ آخرُ وثوبٌ آخرُ))[١]. وقد ورد لفظ الآخر في القرآن الكريم في آيات متعددة للدلالة على أنَّه الطرف المغاير للذات ، منها قوله تعالى : ((**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**))[٢]، وقوله تعالى : ((**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ**))[٣]، وقوله تعالى : ((**الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**))[٤].

أمَّا مفهوم الآخر اصطلاحاً ، فإنَّ له تعريفات كثيرة بحسب الرؤية التي ينطلق منها الدارسون ، سواء كانت فلسفية أو نفسية أو أدبية أو دينية أو غيرها . إذ إنَّ تطبيقات الآخر وتجلِّياته متنوِّعة بتنوِّع النشاط الإنساني ، وبناء على ذلك فالآخر هو ((هو مثيل أو نقيض للذات أو الأنا))[٥]. وبناء على ذلك فالآخر هو ((الكائن المختلف عن الذات ، وهو مفهوم نسبي ومتحرك ، ذلك أنَّ الآخر لا يتحدَّد إلاّ بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات ، وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة ، فقد يتحدَّد الآخر بالقياس إليّ كفرد ، أو إلى جماعة معيَّنة ، قد تكون داخلية كالنساء

---

(١) لسان العرب : مادة (آخر) .

(٢) سورة يوسف : آية ٤١ .

(٣) سورة المائدة : آية ٢٧ .

(٤) سورة الحجر : آية ٢٦ .

(٥) دليل الناقد الأدبي – إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً ، د. ميجان الرويلي – د. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، ط٥ ، ٢٠٠٧م : ١٧ .

بالقياس إلى الرجال ، والفقراء بالقياس إلى الأغنياء ، أو خارجية بالقياس إلى مجتمع أعم))[١]. الأمر الذي يشير إلى أنَّ مفهوم الآخر واسع ومتشعَّب ، وميادينه متعددة . لكن ما يهمنا هنا هو البحث في علاقة المرأة بالآخر الرجل ، وبيان مدى الانسجام أو الاختلاف بينهما .

وبما أنَّ المرأة تعيش في ظل مجتمع كبير له عاداته وتقاليده وثقافته ، وتخضع في الوقت نفسه لواقع سياسي معيَّن ، لذلك تكون حركتها محكومة بالعاملين الاجتماعي والسياسي ، وهما أكثر الأشياء تأثيراً على حياتها ، إذ يرسمان صورتها ، ودورها في الحياة . وفي أغلب الأحيان تقع ضحية لممارسات اجتماعية وسياسية خاطئة ، تحاول الانتقاص من دورها وتأثيرها ، وتعمد إلى قمعها بشتى الوسائل وأبعادها عن المشهدين الاجتماعي والسياسي ، لذلك تكون – في الغالب – مضطهدة مهمشة ومضحية ، تصارع الحياة من أجل إثبات وجودها ، ومنافسة الرجل في ميادين الحياة المختلفة ، فتراها تعمل على استعادة كرامتها المهدورة ، وحريتها المستلبة عبر محاولاتها التحرر من الضوابط والقيود الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية القائمة على مبدأ المعايير المزدوجة ، فتبرز الصراع النفسي الذي تعانيه نتيجة الاضطهاد الذي تعيشه ، والنزاع بين رغبتها بتحقيق ذاتها ، والاستسلام لسجنها الداخلي الذي ترسخت فيه مفاهيم العداء والإقصاء التي تحاول محاربتها بكل ما أُوتيت من قوة ، فضلاً عن سجنها الخارجي الذي يعمل على وأد محاولات المرأة التحرر من المفهوم التقليدي للأنوثة ، والذي لا يرى أي دور للمرأة سوى دورها كأم وزوجة

([١]) تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، د. نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م : ٢٠ .

ورحم ولود[١]. فالمرأة قد ملَّت من الاضطهاد الذي طالها لعصور متعاقبة ، حتى أصبح شيئاً مألوفاً ومتداولاً بمساحة كبيرة في المجتمع ، لذلك تحوَّلت قضية اضطهاد المرأة وتهميشها إلى حالة سلبية متفاقمة ، لا يمكن السكوت عنها ، أو تجاوزها ، فظهرت محاولات جادة وحثيثة من المبدعات العربيات ، إذ أخذن على عاتقهن رصد صور المرأة في الواقع الاجتماعي والسياسي ، والوقوف عند النظرة الضيقة التي تحاول تحجيم دور المرأة وطموحاتها وأمنياتها ، وما تعانيه في علاقتها مع الزوج والأخ والأب وزوجة الأب ، والقبيلة والمجتمع . في محاولة منهن إلى لفت الانتباه لما تكابده المرأة ، بهدف تشكيل وعي ثقافي جديد ، تغادر فيه الصورة السيئة التي رافقتها لسنوات طويلة . ومن أبرز المدافعات عن شؤون المرأة الكاتبة "سناء شعلان" ، التي سخرت إبداعها السردي في مناصرة قضايا المرأة المختلفة . إذ ((تمتزج الشعلان مع لغتها السردية امتزاجاً أصيلاً ، لتؤسس قيمة معرفية ذات تماهٍ دلالي هي امتداد للأفكار السابقة وانعكاساتنا ، التي تأخذ منحى تنميطياً للعلاقة مع الآخر ، إذ إنّ جوهر الوجود يكتمل بعلاقة الذات مع الآخر. وانطلاقاً من ذاتها ووعيها الأنثوي تنخرط في نسج نسق جمالي يتلاءم مع النص ذي الصيغة الفنية الجمالية تبرز فيه الخصوصية الأنثوية المغايرة لكتابة الذكر ، لتخرج من النمط التقليدي للخطاب إلى النوع الثاني التحرري))[٢]. لذلك حملت الكتابة الأنثوية لواء التحرر عبر تقويض النص الفحل ، وتفكيك قداسته ، والتأكيد على أنَّ الفكر والعلم والإبداع ليس قصراً على الرجل وحده ، فعِبرَ القلم والكتابة الإبداعية كسرت الأنثى تلك النظرة

---

(١) ينظر : المرأة العربية ، الإبداع النسائي ، النظريات النسوية في خصوصية الإبداع النسوي ، كور نيليا الخالد ، سلسلة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة – المملكة الأردنية الهاشمية ، كتاب الشهر ١٥ ، ٢٠٠١م : ١٧ .

(٢) صورة الآخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية ، سناء جبار العبودي ، أمل الجديدة ، سورية – دمشق ، ط١ ، ٢٠١٨م : ١٦٣ .

الخاطئة التي يراها الرجل ، فالمرأة تعي جيداً أنَّها حينما تكتب تقف نداً للرجل ، وتحرر الكتابة وترفع هيمنته عليها ، فتمارس دورها في الحياة كما يجب وكما تحب ، وليس كما يقول الرجل ، لذلك كانت الكتابة وسيلة للدفاع عن حقوقها ، وحقوق بنات جنسها ، والبحث عن الحرية ، بهدف التحرر من النسق الثقافي الذكوري ، لذلك أدركت المرأة أهمية الكتابة في تحقيق ذاتها ، وإثبات هويتها ، والارتقاء بها روحياً وفكرياً ونفسياً وعاطفياً[١]. لذلك ارتبط مفهوم التحرر الذي تنشده أغلب المبدعات العربيات بتسليط الضوء على ممارسات الآخر الرجل ، وبيان مدى هيمنته وتسلطه واضطهاده للمرأة ، وهو ما عكفت عليه الكاتبة في إبداعها السردي ، إذ وقفت مدافعة عن حقوق النساء ، وبيان ما يتعرَّضن له من ظلم واضطهاد في الأسرة والمجتمع . إذ إنَّ المرأة تتأثر بالآخر الاجتماعي تأثراً كبيراً ، قد يكون إيجابياً أو سلبياً ، فالمرأة تخضع في كثير من الأحيان إلى سلطة العائلة والقبيلة والمجتمع ، التي غالباً ما تقف بالضد من توجهات المرأة وأحلامها وتطلعاتها ، فهي سلطة قامعة لا تمنح المرأة المساحة الكافية لتمارس نشاطاتها ، وتحقق أهدافها وتحاول التضييق على مشاعرها وأحاسيسها . إلا أنَّها في حالات كثيرة لم تستسلم للضغوط الموجهة ضدها ، فتعمل على البوح بمشاعرها ، والقيام بواجباتها ومهماتها ، بعيداً عن المسار المرسوم لها ، والذي كان سبباً في بؤسها وشقائها حتى شكّل مصدراً من مصادر الحزن والقلق . لذلك لم تقتصر صورة المرأة على الجانب المأساوي ، فعملت الكاتبة على إبراز صور أخرى للمرأة فيها شيء من الأمل والتفاؤل ، فينعكس ذلك على علاقتها مع الآخرين .

---

(١) ينظر : استنطاق الذات والآخر في الرواية النسائية الجزائرية المعاصرة – دراسة في نماذج مختارة ، سناء بوختاش ، أطروحة دكتوراه ، جامعة مولود معمري – تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٩م : ٤٥ .

وقد اهتمَّت الكاتبة بالتنوع الصوري في منجزها السردي ، فأتاحت للمتلقي فرصة الولوج إلى العالم الآخر ، إذ سعت إلى استحضار صورة الآخر في نصوصها ، من أجل تقديم الواقع برؤية إنسانية جديدة ، متخذة من العمل الأدبي محوراً للتعبير عن همومها وهموم شرائح المجتمع ، لاسيما ما يتعلَّق بالمرأة ، بهدف إظهار معاناتهم . فالأداء السردي يمثِّل رسالة حضارية يقدمها المبدع للوقوف على أحداث واقعه وتجسيدها والبحث عن حلول لها ، فيبحر بأبداعه من أجل استجلاء الحقائق واكتشافها ، والتعاطي معها . لذلك ((فإنَّ حضور الآخر في نصوص الشعلان يمثِّل الثراء والتنوع ، فقد تمحور حول موضوعات مصيرية شكَّلت لدى الشعلان مساراً حيوياً لرسم صورة الآخر على وفق نهج فكري عميق))[1]. وقد قدَّمت في متنها القصصي نماذج مختلفة لواقع المرأة ، أبرزت فيها علاقاتها مع الآخرين سواء أكانت ترتبط بهم بصلة قرابة ، أو كانوا غرباء عنها . فجسَّدت جانباً كبيراً من معاناتها ، وآلامها ، وأحزانها ، وغاصت في أعماقها ، فصوَّرت مشاعرها وأحاسيسها ، وأظهرت انفعالاتها .

([1]) ينظر : صورة الآخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية : ٢٢٤ .

المبحث الأول

علاقة المرأة بالآخر القريب

لقد عانت المرأة العربية كثيراً من الاضطهاد والإهمال ، وعاشت على هامش الحياة حتى في أسرتها ، إذ إنَّ ((القوانين العديدة المدنية والدينية التي تقيد المرأة في حريتها ، وقدرتها على الاختيار ، وفي حركة جسدها ، وإمكان التصرف به ، تخدم في آن معاً أغراض السيطرة الاجتماعية عليها كأداة للإنجاب والإمتاع والإنتاج ، وأغراض السيطرة الهوامية على كيانها الذي هو محط الرغبات اللا واعية وملتقى اضطرابها ، وفي الحالتين تُستخدم المرأة كوسيلة للتعويض عن المهانة التي يلقاها الرجل المقهور اجتماعياً ، وللتعويض عن قصوره اللا واعي بإسقاطه على المرأة))[١]. فحتى دعوة المرأة إلى طاعة الرجل ذات التوجه الديني ، هي في الواقع دعوة عامة في المجتمع المنجرح ذكورياً ، تحت تأثير الطعنات المتكررة التي يتلقاها الرجل ، وفي أغلب الأحيان يكون عاجزاً عن مقاومتها والتصدي لها ، فيلجأ الرجل المنجرح إلى ممارسة سطوته على المرأة[٢]. لذلك حتى عملية الإنجاب فيها أبعاد اجتماعية وثقافية ترتبط بالمرأة أكثر من الرجل ، وتنم عن تجاوز هامشيتها في المجتمع ، وهي بذلك ((تعوض نقصها وتهميشها بإنجاب الأبناء الذين قد يسعدونها مستقبلاً ، فإنجاب الأبناء ضمان للبقاء، وطرد لشبح التطليق ، وفيهم المتعة والعون على مصاعب الحياة

---

(١) التخلف الاجتماعي – مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور : ٢٠٠ .

(٢) ينظر : دوائر الخوف – قراءة في خطاب المرأة ، نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط٣ ، ٢٠٠٤م : ٤٤ .

مستقبلاً))[١]. وقد استوعبت الكاتبة سناء شعلان تداعيات هذا الإرث الثقيل ، فعملت على تضمين منتجها القصصي صوراً متعدِّدة للمرأة في الإطار الاجتماعي ، حيث وثَّقت العديد من العلاقات التي كانت تربط المرأة بالآخر الذي يمت لها بصلة قرابة ، إذ اشتملت قصصها على طبيعة تعاملها مع الزوج تارة ، والأب والأم تارة أخرى . فضلاً عن علاقتها بالأخ والأخت .

أولاً / علاقة المرأة بالزوج

ممَّا لاشك فيه أنَّ المرأة تعد – في بعض الأحيان – كائناً هامشياً أمام الزوج ، الذي يمتلك سلطة واسعة تبيح له فعل أي شيء ، وتمنحه مفاتيح التحكم بالبيت ، فهو الآمر الناهي . و((سلطة الزوج متوارثة أباً عن جد ، يتدرب عليها الرجل منذ النشأة إذ يحثه الأهل على إبراز سيادته على أخواته و أحيانا على أمه . وهي سلطة مستمدة من الشرع ومن المجتمع ومن الانتماء إلى الذكورة ، الذي يسمح له بالتمتع بعدة امتيازات وصلاحيات نحو قوة الزام الزوجة بالتنفيذ والقدرة على العقاب والجزاء وفرض الطاعة والتعظيم ، فتتجمع لديه سلطة الهوية الذكورية وسلطة الموقع الاجتماعي ، وسلطة المعرفة وسلطة السن . وكل هذه العناصر ترشحه لأن يكون السيد الذي يشيّد علاقاته التبادلية على التسلط))[٢]. لذلك تبدو العلاقة الزوجية على قدر كبير من التفاوت ، فالزوجة تخدم زوجها وتطيعه وتسليه ، وتحفظ سرَّه . أمَّا الزوج ، فتُعد الزوجة جزءاً من مشاغله ، فيكون فحلاً حينما لا يطيعها ، وهذه هي القاعدة التي يسير عليها في حياته ، كذلك يتعيَّن عليه أن يكون ضابطها وحارسها وراعيها الذي

---

(١) المرأة في الرواية الجزائرية ، مفقودة صالح ، دار الشروق للطباعة والنشر التوزيع ، ط٢ ، ٢٠٠٩م : ٧٨ .

(٢) الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية : ٦٤٢ .

يقودها . وبذلك فالمجتمع يمنح الرجل قيمة اعتبارية على حساب المرأة[١]. وقد التفتت القاصة سناء شعلان لذلك ، فدخلت إلى عالم المرأة في بيتها ، واستعرضت تفاصيل العلاقة القائمة بين المرأة وزوجها ، ورصدت جوانب من حياتها ، فبينت في بعضها المعاناة النفسية التي كابدتها المرأة ، وضمَّنتها في بعض قصصها ، فأشارت في قصة (الحكاية النموذج) في مجموعة (ناسك الصومعة) إلى جانب من معاناة بعض النساء في مجتمعاتنا ، وما تتعرض له من ظلم سواء في بيتها أم في بيت زوجها ، فتقدم أنموذجاً للمرأة المضطهدة في المجتمع الذكوري ، الذي يفرض عليها كل ما يلبي رغبات الرجل ، وما عليها إلا الطاعة والرضا ، حتى وإن كان ذلك خارجا عن إرادتها ، فالقصة تذكر أنَّها ((**امرأة هي وفق كل معايير الذكورة والمجتمع الأبوي ، هادئة مطيعة ، لا تحتج ، لا تبكي ، لا تطلب ، تجيد فنون الطبخ والحياكة ، وتعد بأن تقدم نفسها شهية في كل ليلة بعد طبق الحلوى المفضل عنده ، وتوافق على الزواج به ؛ لأنَّها دجاجة أو عنزة بيتية مطيعة ، وتذهب زوجة مع الرجل الذي يريده والدها وأخوتها**))[٢].

وقضية طاعة المرأة وصمتها وقبولها بما يُفرَض عليها تعد القضايا الاجتماعية الشائكة ، وفيها شيء من الإجحاف والظلم في حالات كثيرة ، إذ إنَّها تدرك جيداً أنَّ الزواج هو المصير الوحيد المقبول لها اجتماعياً ، فيجب عليها أن تتزوج ؛ لأنَّ المجتمع لن يقبلها ولا يحترمها ، ولا يعدها امرأة صالحة ، إلا إذا كانت متزوجة ، مهما بلغت من الذكاء ، وتفوقت في عملها ، وقد أفسد عدد من الرجال مفهوم العلاقة الزوجية ، فمفهوم الرجولة أصبح يعني امتلاك القوة والهيمنة وسلب الزوجة حقوقها ، ويحاول أغلب الرجال أن يثبتوا رجولتهم حتى وإن مارسوا العنف والترهيب بحق

---

(١) ينظر : الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية : ٦٤١ .

(٢) ناسك الصومعة : ٤٤ .

زوجاتهم[١]. لذلك تبقى المرأة رهينة في بيت زوجها ، وقد تكون كأي سلعة يمكن استبدالها أو إتلافها وهو ما جسدته القصة المدروسة ، فقد عانت كثيراً في علاقتها مع زوجها ، الذي مزقته العقد النفسية والصراعات المحمومة ، ((**لكن الزوج رأى في عينيها أشباح فضيعة ، وابتسامة هازئة تندت من صمتها المخيف ، ولمح في غض بصرها قرفاً من عجزه ، وتلويحا بكشف ستره ، ومعرفة سبب فشله مع تلك الأجنبية الشقراء التي طلقته سريعاً ، وأخذت شطر ما يملك وجل كرامته**))[٢]. وهنا وقعت المرأة ضحية لعنف آخر وهو عقدة النقص ، التي كانت قد ولِدت بفعل عدم قدرة الرجل على إتمام متطلبات العملية الجنسية ، فالخلل في رجولته الذي عززته التجربة السابقة مع الشقراء الأجنبية . لذلك ما كان من المرأة إلا الرضا والقبول بما اختاره لها أهلها ، وما عليها إلا التسليم والانسجام مع الواقع الجديد مهما كان قاسياً ، وفيه تجاوز على مشاعرها وأحاسيسها وكيانها بشكل عام . وقد تطورت الأحداث المؤلمة إلى أن قام بتصفيتها جسدياً ، انتقاما لشخصيته العاجزة التي استولى عليها النقص والشك ، وغاب عنها الصواب والاتزان واحترام مشاعر شريكة عمره ، ((**كان عليه أن يسكتها إلى الأبد ، حاول أن يسكتها بالإشباع فأعياه عجزه ، حاول ذلك مراراً ولأيام كثيرة ، لكن دون فائدة ، غاضة صمتها، واستفز جسدها المثير رجولته الراكدة المتخاذلة ، فانقض عليها في لحظة غضب ، وقتلها ، ومزق عذريتها ورقبتها بسكين ؛ لأنَّه قرَّر أنَّها قد وهبت نفسها لغيره ، ولا أحد يستطيع أن يكذبه ، فهو الزوج الرب ، واذا قال صدق ، وما لأهلها إلا أن يأخذوا جسدها المكفن بالعار ، ويدفنوه بعيداً عن الزوج الفحل الشهم**))[٣]. وبذلك قد وصلت المرأة إلى مصيرها

---

(١) ينظر : الأنثى هي الأصل : ١٧٨ .

(٢) ناسك الصومعة : ٤٤ – ٤٥ .

(٣) م.ن : ٤٥ .

المحتوم الذي فُرِضَ عليها ، فحتى طريقة موتها كانت مرسومة مسبقاً ؛ لأنَّ التهم وأدلة الإدانة جاهزة ، ويمكن استخدامها في أي وقت ، وبمباركة المجتمع ، الذي يميل إلى الرجل ، ويعذره على أي فعل يقوم به حتى وإن كان القتل ، لذلك استغل الزوج العاجز (الغطاء) الذي وفره له المجتمع ، وأقدم على إعدام زوجته ، وإقصائها عن مسرح الحياة ، وما فعله يمثل وجهاً من أوجه ثقافة العنف الموجهة ضد النساء ((التي تجعل الناس يعتقدون أنَّ العنف ليس عنفاً ، وهي التي تسمي العنف بأسماء أخرى هي حماية المرأة أو تهذيبها ، أو الدفاع عن الشرف والعرض والخصوصيات الثقافية . فثقافة العنف هي التي تجعل النساء والرجال لا يعتبرون العنف عنفاً ، وهي التي تنتج احتقاراً مُنظماً للمرأة ولجسدها ، وحداً لحريتها وطموحاتها))[١]. فمادامت السلطة بيد الرجل بصورة مطلقة ، فذلك يعني أنَّه يمتلك الإرادة الكاملة في توجيه الأمور لصالحه ، وعلى وفق رغباته وميوله ، وقد ساعدت على ذلك التقاليد والأعراف الاجتماعية ، التي وضعت الرجل موضعا أعلى من المرأة ، ومنحته التحكم بمقاليد الأمور ، وفي ذلك كله شعور بأنها أقل مرتبة من الرجل ، إذ لا يحق لها الحديث عن القضايا المصيرية ، وتُحرم من الاستئناس برأيها ، وقد أسهم ذلك إسهاماً مباشراً في طمس كيانها ، وتغييب هويتها[٢] ، وإنهاء وجودها من الحياة في بعض الحالات ، سواء كان إنهاء مادياً عبر الموت أو إنهاء معنوياً عن طريق إقصائها عن مجرى الأحداث ، إذ يتعمد المجتمع الذكوري إبعاد المرأة عن صنع القرار والمشاركة في تطبيقه ، عبر جعل دورها مقتصراً على خدمة زوجها في البيت ، وتربية أبنائها . لذلك ((فالثقافة العربية

---

(١) بنيان الفحولة – أبحاث في المذكر والمؤنث ، د. رجاء بن سلامة ، دار بترا للنشر والتوزيع ، سوريا – دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٥م : ١٠١ .

(٢) ينظر : الأنثى بين التمرد والاحتجاج – دراسة تحليلية بلاغية في الشعر الجاهلي ، د. مشتاق طالب منعم ، و د. ياسين طاهر عايز ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، ج٢ ، عدد٢٨ ، ٢٠١٨م : ١١٥ .

والغربية تحيَّزت ضد المرأة ، وانتقصت من قيمتها جسداً وخطاباً))[١]. وأعلت من شأن الرجل ، إذ منحته حقوقاً وامتيازات لا حصر لها . لذلك فالمرأة في مجتمعاتنا غالباً ما تعيش أوضاعاً مزرية ، تخضع فيها لمؤثرات ثقافية أنتجها العقل الذكوري ((من ذلك تفوق الرجل على المرأة ، فهي أقل من الرجل قوة ، ونشأ من ذلك مجتمع ذكوري يستغل ضعف المرأة لفرض سيطرته عليها ، ويضعها باستمرار تحت طائلة العار والفضيحة ، إذ يتم تحقيرها وتبخيس كيانها مالم تكن في حماية رجل يكسبها إنسانيتها ، فتصبح من خلال خدمتها له محل اعتراف الجميع))[٢]. حتى أصبح الاضطهاد حالة ملازمة للمرأة ، فأرقها ذلك كثيراً ، وزاد من آلامها ومعاناتها . إذ ((إنَّ المرأة منذ فجر الحضارات الأولى في التأريخ كانت ضحية المجتمع الأبوي – البطريركي – الذكوري الذي قنَّن قيماً وأعرافاً وتقاليد جعلت المرأة أدنى من الرجل درجة ، وهو ما جعلها مضطهدة ، ومن يضطهدها هو الرجل ، مع أنَّ الحياة لا تكتمل إلا بهما))[٣]. وقد عبَّرت القاصة عن هذا الواقع المؤلم في مواضع قصصية مختلفة ، ومن ذلك ما يتعلَّق بتسلط الزوج تارة ، وخيانته لها تارة أخرى . ويتجلى ذلك في قصة (مقام الخيانة) ، في مجموعة (مقامات الاحتراق) ، التي كان عنوانها مؤشراً على ملامح الخيانة الزوجية ، فالقارئ قد وضع في حسابه ، وتهيأ لمعرفة شكل الخيانة التي تضمنتها القصة ، فيطلعنا فيها الراوي على الواقع المرير الذي عاشته المرأة مع زوجها ، وهي لا تعرف الأسباب التي تدفعه إلى ممارسة فعل الخيانة ، إذ إنَّه لا يتردد

---

(١) النسق المضمر في ديوان (النبية تتجلى في وضح النهار) لربيعة بلطجي – دراسة في ضوء النقد الثقافي ، مريم عزوبي ، رسلة ماجستير ، جامعة باتنة – كلية اللغة والأدب العربي والفنون ، ٢٠١٥م – ٢٠١٦م : ٧٦ .

(٢) تمثلات المثقف في السرد العربي الحديث – الرواية الليبية أنموذجاً دراسة في النقد الثقافي ، محمود محمد أملوده ، عالم الكتب الحديث – أربد ، ط١ ، ٢٠١٠م : ١٦٢ .

(٣) استلاب الأنوثة ، إبراهيم الحيدري ، الحوار المتمدن www.m.ahewar.org

في الإعلان عن أفعاله الفاحشة مع النساء ، غير مبال بمشاعر زوجته وأحاسيسها ، ولا يكترث لما سيصدر عنها من ردود أفعال على حماقاته ومغامراته الجنسية ، فما يهمه هو إشباع رغباته وملذاته الغرائزية ، وإرضاء شبقه ، فيسير خلف أهوائه وميوله نحو المتعة . فقد ((**انتصب أمامها كعملاق أعرج ، اتكأ على آلاف الحجج ، وعلل خياناته لها بمئات الأسباب ، برم شفتيه اللتين لاكتا شفاه معظم عاهرات المدينة ، ثم بصقتها بتقزز ، وقال : هناك يا زوجتي الكثير من الأسباب التي دفعتني لخيانتك**))[١]. فالقاصة هنا قد نقلت وصفاً لحال الزوج الخائن ، الذي لا يهتم بقدسية العلاقة الزوجية . ويبدو أنَّ اهتمام القاصة كان واضحاً بالوصف ، وهذا لا يأتي من منظارها فحسب ، بل من خلال منظار الشخصية التي تتعامل مع غيرها من شخصيات القصة ، الأمر الذي يساعد الحدث القصصي على التطور والنمو شيئا فشيئا ، حتى يصل إلى نهايته[٢]، فالزوجة كانت تعلم بخيانته ولم تقتنع بالتبريرات التي يسوقها في أكثر من موقف ، فقد ((**قالت بلا مبالاة ممزوجة بالسخرية وهي تلمّع أرض الكنيف : اعطني بالله عليك سببا واحدا من هذه الأسباب الكثيرة**))[٣]. فالمقطع القصصي يشير إلى حالة من التفكك التي تحكم العلاقة الزوجية ، إذ إنَّ التوجس وفقدان الثقة كانا الطابع السائد بين الزوجين ، فالزوجة غير واثقة بما يقول ، والزوج يحتال عليها ، ليبعد عنه الشك ، ويخلِّص نفسه من تبعات أفعاله القبيحة ، فـ ((**قال بثقة : وهو يذب لثاثته : لون صبغة شعرك التي اشتريتها لك على سبيل المثال لا يعجبني**))[٤]، وفي

---

(١) مقامات الاحتراق : ١٠ .

(٢) ينظر : المدخل إلى فن التحرير الصحفي ، عبد اللطيف محمود حمزة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٥ ، (د.ت) : ٤١٩ .

(٣) مقامات الاحتراق : ١٠ .

(٤) م.ن : ١١ .

موقفه هذا انعكاس لسلوكه الذي يبحث عن الأعذار الواهية ، لعله يهرب من الموقف الذي يكون عليه حينما يقف أمام زوجته .

ومن الجدير بالذكر فإنَّ الخيانة الزوجية تمثل قضية اجتماعية شائكة ومعقدة تهدد النظام الاجتماعي والأسري ، الذي من المفترض أنَّه يقوم على حسن العلاقة بين الزوج والزوجة ، ضمن إطار التعاون والتفاهم والوفاء والمحبة ، وربَّما يدفع المجتمع المرأة إلى الانحراف ، بفعل ممارسته القمعية ووسائل التهميش التي يتبعها في سبيل النيل من المرأة ، إذ ((لم يدر في خلد المجتمع الذكوري أنَّ تسلُّطه على المرأة ، وتعامله معها باعتبارها كائناً ناقصاً ، حال دون إفصاحها عن رغباتها ، فالتجأت إلى أساليب أخرى ، لتحقيق مقاصدها ، كما أنَّ المرأة الشديدة المضروبة عليها فرضت عليها استعمال آليات دفاعية متعددة ، وحيلاً مختلفة للوصول إلى بعض ما تصبو إليه))[١]، فيها نوع من التمرد والاحتجاج على قهر السلطة الذكورية . ومن ذلك توظيف الجسد الأنثوي في عملية التمرد ، بوصفه وسيلة إغرائية تجذب أنظار الرجل ، إذ ((إنَّ الجسد يمثِّل – في نظر المرأة – أفضل وسيلة للبوح عن مشاعرها . كما أنَّه أحسن أداة تمكنها من الانخراط في علاقة مع الآخرين ومع الكون))[٢]، بغض النظر عن طبيعة الموقف الذي تكون عليه المرأة ، سواء كان محرماً أم غير محرم .

وقد كانت قصة (دعوة زفاف) الواردة في مجموعة (الهروب إلى آخر الدنيا) شاهداً على خيانة الزوجة ، وانجرافها خلف نزواتها وأهوائها . من دون أن تراعي الضوابط الزوجية ، فوقعت في شباك أستاذها ، ((**لأول مرة يلتقيان دون خوف** ،

---

(١) الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية : ٦١٥ .

(٢) م.ن : ٥٣٣ .

دون أن يخشى من عين فضولية تشي لزوجها بعلاقتها مع أستاذها العتيد ، ودون أن يخشى من أن تفضحه الألسن ، وتلوك قصته الأفواه))[١]. ويبدو أنَّ هذا الحال قد استمر طويلاً من دون خوف أو وجل ، وبعيداً عن حسابات الزوج والمجتمع وغير ذلك ، حتى أصبحت تلك العلاقة المشبوهة شيئاً مستساغاً ، تتم ممارسته بصورة طبيعية ، إلى أن تطور الأمر ، فوجدت الزوجة الخائنة أنَّها قد وقعت أسيرة لإفرازات الواقع الجديد الحافل بمعاني الخيانة ، وأصبحت تمارس حياتها مع عشيقها ، وتستجيب لطلباته ، وتحاول إرضاءه بأي طريقة كانت ، فقد كانت ((**تلبس الأبيض الذي تحبه ويحبه ، وإن كان زوجها يبدي تبرما به، تغرز كوعها الصغير في زجاج الطاولة التي أمامها ، وتقرأ له طالع يومه في فنجان القهوة الذي تطلبه له قبل أن يأتي، وفي النهاية يكون في انتظاره ، بعد تحديق في قعر الفنجان الموشَّى بليل القهوة ، تقول له بابتسامتها : كالعادة في طريقك واحدة تلبس أبيض تحبك حد اللاحد ، وهي أمامك الآن تنظر في عينيك))**[٢] . فالمرأة الخائنة قد مارست مختلف الوسائل ، واتبعت أساليب متعددة ، من أجل إيقاع حبيبها في شراكها ، واصطياده ، ومن ذلك قراءة الفنجان ، الذي كان وسيلتها المثلى في إغرائه وجذبه نحوها ، وقد نجحت في ذلك ، ((**جاء إلى عالمها ، فنسف زوجها من قلبها ، ولم يبق منه إلا الاسم والجسد ، وجاءت إلى عالمه ، فأصبحت زوجته وبناته الثلاث خيالات تجوس في دنيا نورها الذي يغشاه))**[٣]. وهنا أصبحت الخيانة مرضاً اجتماعياً ، لم يقف عند حدود الزوجة الخائنة ، بل تعدى خطره ليشمل عائلة حبيبها ، الذي كان متزوجاً ولديه ثلاث بنات ، إذ لم يكترث لحقوق زوجته وبناته عليه ، وسار في طريق الخيانة

---

(١) الهروب إلى آخر الدنيا : ٣١ .

(٢) م.ن : ٣٢ .

(٣) م.ن : ٣٢ .

المحفوف بالمخاطر وما يترتب عليه من نتائج سلبية ومدمرة في الوقت ذاته ، فالخائنان ((**عاشا ملحمة طويلة من التخفي والهروب ، ولكن السر انكشف في النهاية ، طالبت زوجته بالطلاق ، فطلقها معتذراً لها ، وإن كان يعلم أنَّ الاعتذار لن يعيد لها السنوات الضائعة ، ولن يعوضها عن زوجها ، الذي هجر بيته ، وانزلق في حضن أخرى ، كان حزيناً ، وموزعاً ، لكن متأكداً من أنَّه لأول مرة يختار ولا يُختار له**))[١]. فالمشهد القصصي يشير إلى الواقع المؤلم الذي وصل إليه الزوج الخائن ، الذي تم اصطياده وجره إلى ممارسة فعل الخيانة ، أمَّا حبيبته فلم يكن حالها أفضل من حال حبيبها الخائن ، وكان فعلها وبالاً عليها ((**أمَّا هي فقد وُصِفت بالخيانة والغدر والتردي ، طلبت الطلاق ، فرفض زوجها المكلوم بكرامته وشرفه أن يفعل ذلك نكاية بها ، ولكنها أصرت على الطلاق على الرغم من تنكر عائلتها لها ، وتوجهت إلى المحكمة تطلب حكماً يرأف بقلب امرأة خانت أعراف المجتمع ، ولكنَّها وفت لمشاعرها ولحبها**))[٢]. وهذا يعني أنَّ الخيانة الزوجية تكون في بعض الحالات فعلاً مقصوداً ، بعدما ضاقت ذرعاً بقيم المجتمع وأعرافه وعاداته وتقاليده ، التي تمنع المرأة من البوح بمشاعرها ، واختيار شريك حياتها ، فكل شيء مفروض على المرأة في أغلب المجتمعات العربية ، ولا يحق لها إبداء رأيها ، والدفاع عن موقفها وميولها ، لذلك لم تنقطع عن حبيبها الذي اقتطعته من عائلته ، وقرَّرا أن يتزوجا ، ويكوَّنا عائلة جديدة ، ليمارسا حياتهما بعيداً عن ظلال الماضي .

((قال لها : هل أوصلك إلى البيت ؟

ردت بقلق : لا أخشى أن يكون زوجي بالقرب من البيت فيلمحني .

---

(١) الهروب إلى آخر الدنيا : ٣٣ .

(٢) م.ن : ٣٣ .

قال على استعجال وهو يضع الحساب في أحد الأطباق الفارغة :

إذن نلتقي غداً .

قالت بنبرة حالمة : نعم نلتقي غدا .

قال وهو يغادر : غدا سنتخيل أنك في مخاض الولادة تضعين مولودنا الأول.

ابتسمت، وقالت وهي تتحسس بطنها : لكن يجب أن نختار مكاناً بعيداً ومعزولاً كي ألد وأصرخ على راحتي))[1].

وعلى الرغم من أن المبررات التي ساقتها الزوجة ، تحت ذرائع الحرية ، إلا أنَّ ذلك يعد هدماً للعلاقات الزوجية ، والبحث عن سعادة موهومة ، تكون من خلال الرقص على جراح الآخرين الذين وقعوا ضحية لنزوات عاطفية .

وفي قصة (الزاي : زائر) نجد أنموذجاً قصصياً للمرأة المتسلطة على زوجها ، في ظل مفارقة قصصية تتعلق بشخصيات القصة ، فالزوج مسؤول أحد المعتقلات المعروف بأبي الفوارس ، وعلى الرغم من شدته وبطشه في تعذيب المعتقلين إلا أنَّه يبدو محتقراً ومهاناً من زوجته ، ويتجلَّى ذلك في المشهد الوصفي الذي يبيِّن طبيعة عمله ، فهو **((نذر نفسه لاستقبال زوَّاره من الحمقى الثائرين والسياسيين ، يجرِّدهم من ثيابهم ، ويوثِّقهم بذل ... فيسعد إلى حد الثمالة بصراخ ذكورتهم المذبوحة ، ورجولتهم المسلوبة في حربهم لاستردادها))**[2]. وهنا يكشف النص عن مدى الصراع النفسي الذي يعاني منه أبو الفوارس ، فهو يتلذَّذ بإيذاء المعتقلين عبر القيام

([1]) الهروب إلى آخر الدنيا : ٣٤ – ٣٥ .

([2]) تراتيل الماء ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان ، طبع بدعم من وزارة الثقافة الأردنية ، ط١ ، ٢٠١٠م : ٨٧ .

بأعمال لا أخلاقية ، وبعيدة عن القيم والأعراف الاجتماعية ، ولم يأخذ منها سوى الاسم فقط .

وتذكر أحداث القصة أنَّه يعاني من ضغوط نفسية كثيرة جعلته يقسو على الآخرين ، فهو بعد أن يقوم بتعذيب المعتقلين ((**يعود منتشياً إلى رئيسه الأعلى الذي اعتاد على أن يسافده في كل ليلة ، بعد أن يعرِّيه ، ويجلده ، ثم يدس في جيبه المال وفق متعته في تلك الليلة**))[١]. ويبدو أنَّ هذا التناقض في أفعال أبي الفوارس وممارساته قد ترك أثراً سلبياً على واقعه في البيت ، فافتقد احترام زوجته ، ليعيش معها ذليلاً حقيراً يتلقى الإهانات منها ، وقد صوَّرت القصة ذلك ((**ثم يعود أبو الفوارس إلى بيته لينزوي في زاوية منه ، ويبكي بحرقة من زوجته التي توسعه إهانة وتهميشاً ، وتجبره على تقبيل مداسها ، وتتجاهل بلؤم أنَّه أبو الفوارس !!!**))[٢]. وبذلك فقد الزوج رجولته التي يحاول دائماً أن يفرضها على المعتقلين ، وتحوَّل إلى ذليل أمام زوجته ، التي قامت بإنزاله من تعاليه ومركزيته ، ليعيش في منطقة الهامش .

---

(١) تراتيل الماء : ٨٧ .

(٢) م.ن : ٨٧ .

ثانياً / علاقة المرأة بأبيها

لقد اعتنت الكاتبة سناء شعلان في منتجها القصصي بعرض صورة المرأة في إطار الأسرة والبيت ، لاسيما في علاقتها مع أبيها وأمها ، وهي في الغالب تعاني من ظلم أسرتها وإهمالها لها ، لاسيما من جانب الأب في بعض الأحيان ، إذ إنَّ ((سلطة الأب متجذرة في نهاية الأمر في البنية التسلطية للمجتمع برمته))[١]. حتى أصبحت حالة متوارثة ، شاعت في مجتمعاتنا وانتعشت كثيراً ، بفعل عوامل متعددة (سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية) . ففي قصة (عروس مولانا الماء) في مجموعة (عام النمل) تبرز لنا الكاتبة معاناة المرأة ، فهي من يجب عليها أن تضحي في سبيل إنقاذ الآخرين ، وهو ما جسدته (البنت) من أجل تخليص أبيها من غضب الماء ، وقد صاغت الكاتبة رؤيتها الاجتماعية بعيدا عن الواقع ، فحلقت في عالم الخيال ، وغاصت في عوالم عجائبية بهدف خلق نوع من الإثارة التي بإمكانها إيصال رسالتها إلى المتلقي ، ودفعه إلى التفاعل والإقبال عليها . فمنحت الماء بعداً أسطورياً ، يثير الرعب والخوف في قلوب الناس ، وحذرت من غضبه ، فوصفته بقولها : ((**يغضب ويرعد ويزبد ويغور ويفور اذا ما حُرِم منها**))[٢]. أي الدماء ، فهو قد اعتاد على شرب دماء الناس ، ويغضب إن لم يجدها ، ويرضخ المؤمنون لمطالبه بتقديم دماء المجرمين والخارجين عنهم، من دون أن ينال منهم شيئا ، إلا أن هذا الحال لم يدم طويلا بعد أن نفدت الدماء فـ ((**استسلموا للعجز ، فغضب مولانا عليهم، وأمر البحار والأنهار أن تفيض وتغرق كل البشر ، فلبت البحار والأنهار ما أُمرت به ، وصبت غضبها ابتداء على الصيادين المساكين الذين قلبت قواربهم ، وأغرقتهم في الماء ،**

---

(١) الرجل والمرأة في العقل العراقي الريفي ، إشكالية الهيمنة المزمنة ، أحمد صالح أحمد داود ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، عدد ٢٦ ، ٢٠١٩م : ٣١٩ .

(٢) عام النمل : ١٠ .

وحاصرت رهطاً من الناجين منهم في الجزر وعلى أعشاش السواحل وهددت بإغراقهم والشواطئ إن لم يعط مولانا الماء بغيته من الدماء))[١]. وفي ظل هذه الظروف المؤلمة ، لم يبال أغلب الرجال بالأمر ، ولم يلتفتوا لهول المصيبة وعظم المأساة التي حلت بهم ، وتنصلوا عن مسؤولياتهم ، ولم يبادروا إلى فعل أي شيء يمكن أن يدفع عنهم خطر الماء المحدق بهم ، واكتفوا بالنظر إلى الخراب والدمار اللذين حلا بهم ، إلا أن المرأة كانت هي صاحبة المبادرة ، حتى وإن كانت حياتها ثمنا لبقاء الآخرين ، فخرجت البنت وقدمت نفسها من أجل إنقاذ أبيها ، ((**فتقدمت هي الحسناء السمراء الحافية من مولانا الغاضب ، وعرضت عليه جسدها وروحها ودماءها مقابل أن يرحم والدها الصياد العجوز الستيني ، ولا يغرق سنين شقائه في تلك الجزيرة القزم التي اعتصم بها))**[٢]. وبذلك أعطت المرأة صورة رائعة في التضحية والإيثار والوفاء ، وهو الأمر الذي عجز عنه الكثير من الرجال ، وقدمت مثالاً في كيفية التفاني وعدم الأنانية ، فلابد أن تستمر الحياة حتى وإن كلفها ذلك إراقة دمها . فهي تعي أنَّ ((ضياع الأب يوازي ضياع الأصل ، وضياع الذات ، وفقدان مصدر التلاحم والاطمئنان الذاتي وتوحد الكيان ، إنَّ الأب عنوان على الهوية المستقرة ، وضياعه عنوان على تشظي الذات وانشطارها))[٣]. وقد انتهت الأمور إلى أن يقبل الماء بالعرض الذي تقدمت به البنت ، وقام بقتلها وشرب دمها ، فـ ((**فكّر مولانا الماء قليلاً ، ثم وافق على عرض لِسمراء فعروض النساء الجميلات لا تُرفضَ ، وابتلعها بشهوة ، وامتص دماءها حتى النخاع ، ثم هدأ وركن إلى جلال صمته ، وفك حصاره**

---

(١) عام النمل : ١٠ .

(٢) م.ن : ١٠ .

(٣) الرؤية الفجائعية في الرواية العربية في نهاية القرن العشرين ، محمد المعتصم ، دار أزمنة – عمان ، ط١ ، ٢٠٠٤م : ١٢٧ .

المائي عن السواحل والشواطئ والخلجان والجزر ، وعلت صفحات ماءه زهوراً بيضاء حزينة))[١]. وهذا هو حال المرأة في بعض المجتمعات العربية ، التي يجب عليها أن تضحي دائماً من أجل راحة الآخرين ، وإرضاء أذواقهم وميولهم وأهوائهم ورغباتهم ونزواتهم ، من دون أن يكون هناك حساب لمشاعرها وحقوقها ، فهي مهملة ومغيبة بفعل الهيمنة الذكورية التي تتحكم بالنساء ، وتمتلك من السلطة ما يمنحها الحق في التعدي على حقوق المرأة .

وفي إحدى القصص الواردة في مجموعة (الجدار الزجاجي) القصصية تتضح صورة أخرى من معاناة المرأة البنت التي فقدت أمها ، وأصبحت تحت رحمة زوجة أبيها ، فتلقَّت هي وأخوها على يديها أشكالاً مختلفة من العنف والاضطهاد ، وكل ذلك كان يحدث بمباركة أبيهما الذي كان يعمل ما بوسعه من أجل إرضاء زوجته ، وعدم إزعاجها ، إذ أبدى ((**لا مبالاته بمصيرهما ما دام يستمرئ دفء جسد ... عايشة))**[٢]. فقد كان قاسياً في معاملته معهما ، ولم يرأف بهما يوماً ، بل جعلهما فريسة لزوجته ، التي كانت توسعهما ضرباً وإهانة وتعنيفاً مستمراً ، فتذكر القاصة ((**لطالما شاهد تعذيب عيشة التي بقيت من دون منديل منذ رحيل أمها ، تمنى أن ينقذها))**[٣]. وهنا يروي الأخ معاناة أخته على يد أبيهما وزوجته ، فهما قد وقعا تحت جحيمهما ، لذلك لم يكن بمقدوره إنقاذ أخته من تسلط أبيه ، وقسوة زوجته ، ورضخ للواقع المؤلم الذي عاش لحظاته المدمرة هو وأخته ، ((**ولكن الله لم يستجب**

---

(١) عام النمل : ١٠ – ١١ .

(٢) الجدار الزجاجي ، سناء كامل شعلان ، دائرة المكتبة الوطنية ، عمان – الأردن ، (د.ط) ، ٢٠٠٥م : ٨٧ .

(٣) م.ن : ٨٥ .

له ، ولو لمرة واحدة ، وبقي يشاهد تعذيب عيشة))[١] وبذلك عاشا معاً حياة قاسية مليئة بالوجع والحزن وشظف العيش ، من دون رادع يعيد لهما حقوقهما المهدورة ، **((بدأت تكتسي بجلد خشن كما جلد وزغة من كثرة العمل والشقاء ، كانت تتكور بذل إلى جانبه ، فيضم صباها المسكوب بدمعة رجل لا طفل ، ويعدها بالخلاص ، لكن الخلاص لم يأتِ))**[٢]. وقد تواصلت معاناة عيشة ، وازداد همها إلى أن اتخذت قراراً مصيرياً تنهي به مسيرة العناء والاضطهاد ، وتودع مأساتها مع أبيها ، فقررت الانتحار ، وطي هذه الصفحة المظلمة التي عاشتها ، فقد **((دلقت عيشة الكاز على نفسها من الوابور النفطي ، أحرقت بجسدها كل جدران الدنيا، وأطعمت نفسها للنسيان))**[٣]. وبذلك آلت الأمور إلى نهاية مأساوية تثير البكاء ، وتبعث على الحزن والألم ، فغادرت البنت عيشة عالمها المشوه المليء بالظلم والكراهية والعنف ، فكان رحيلها يمثِّل صرخة احتجاج على هذا التشوه ، لعلها تنقذ بنات جنسها ممن يعانين الظروف ذاتها في أمكنة وأزمنة مختلفة ، ويتعرضن للعنف ذاته . لذلك فأن العنف الموجه ضد النساء ليس ((فعلاً لا اجتماعياً منافياً للأخلاق السائدة ، بل قد يكون فعلاً مغرقاً في الاجتماعية ، وفي الانسجام مع الأخلاق السائدة))[٤]، التي هي من صنع الثقافة الفحولية ، وتوجهاتها الإقصائية بحق المرأة .

---

(١) الجدار الزجاجي : ٨٥ .

(٢) م.ن : ٨٧ .

(٣) م.ن : ٨٨ .

(٤) بنيان الفحولة ، أبحاث في المذكر والمؤنث : ١٠٦ .

ثالثاً / علاقة المرأة بإخوتها

يبدو أن معاناة المرأة لم تكن شيئا طارئا في إطار البيت والأسرة ، بل هو شيء شائع في مجتمعاتنا ، ولقد جاء نتيجة لظروف التنشئة الاجتماعية ، وتقسيم الأدوار في البيت ، إذ يتم تربية الولد على ممارسة السلطة الذكورية . وهي فرصة توفرها الثقافة لكي يتمكن الذكر من اكتساب خصائص الذكورة ، وحثه على ممارسة سلطته على الآخرين ، ويثبت قوته أمام الجميع ويتعزز لديه الشعور بفخر الانتماء إلى عالم الفحولة[١]. وقد أوردت الكاتبة في قصة (الحكاية الأم) في مجموعة (ناسك الصومعة) صورة مؤلمة من صور العنف الأسري ، والضحية الوحيدة في ذلك هي المرأة ، فقد طالها العنف على يد أخيها الذي كان قاسيا وظالما ، وقلبه يخلو من الرأفة والرحمة ، حتى وصل به الأمر إلى محو جسدها ، إرضاء لحالته النفسية المشوهة ، التي عشعش فيها الكبر والتعالي والغطرسة . والملاحظ في القصة أن الكاتبة قد أجرت تناصا مع الجريمة الأولى التي حدثت على هذه الأرض ، وهي إقدام قابيل على قتل أخيه هابيل . ويبدو أنَّ هذه النزعة العدائية لم تكن عابرة وانتهى أثرها ، بل أنها تتجدد في أماكن وأزمان مختلفة ، لذلك أقدم الأخ على قتل أخته ، رضوخاً لأهوائه الشريرة ، **((لا يستطيع الادعاء بأنه يحبها ، ولذلك سيقتل أي رجل يقترب منها، كما فعل أخوه قابيل الذي قتل أخاه هابيل ليخلو له قلب أختهم راحيل ، ولن يخدع نفسه ، فيقول أن أخته جميلة إلى حد لا يقاوم ، ولذلك يزعم كذلك أنَّه يريد أن يصطفيها لنفسه لأنها أثيرة أبويه ، أو صاحبة مال أو موهبة نادرة))**[٢]. والملاحظ في المقطع القصصي أنَّ الأخ امتلأ قلبه حقداً وبغضاً وعداوة لأخته التي لاحول لها ولا قوة ، وهي ترزح تحت سلطة أخيها الجائرة ، وإنَّ التبريرات التي قدمها لبيان سبب اقتدائه بأخيه

---

(١) ينظر : الاختلاف في الثقافات العربية الإسلامية دراسة جندرية : ٢٦٣ .

(٢) ناسك الصومعة : ٤١ .

قابيل ، والتحلي بالنزعة الإقصائية ، لم تكن مقنعة لشدة البغض الذي كان يملأ قلبه ومشاعره ، وينعكس على تصرفاته ، فذكر السبب الحقيقي الذي كان يثير غضبه ، **((لكنه يريد أن يحصل عليها كي يكسر أنفها الأفطس الذي يشبه أنفه تماماً ، ولا عجب فهي توأمه ، ولكنه يمقت أنفها المتعالي الذي كان يزحم عليهما المكان في رحم أمه حواء، وهو الآن معني بذل كبريائه ، ولو كبّده ذلك غضب الرب ، وفطر قلبي والديه آدم وحواء من جديد بعد مقتل ابنهما هابيل منذ دهور طويلة))**[١]. وهنا يبين الأخ الدافع الذي دفعه إلى القيام بجريمته النكراء ، وهو أنَّ الغيرة قد سيطرت على قلبه وعقله ، وبدا أسيراً لأهوائه العدائية ، ولم يعد قادراً على التخلص من شراكها ، وكان مصراً على ارتكاب ما يدور بداخله من رغبة نحو قتل أخته ، ويذكر الراوي ذلك فيقول : **((يتربص بأخته ذات الأنف المتعالي وعزة النفس المقيتة ، يحيك بمهارة خيوط المؤامرة ، ينقض عليها في سكون الليل وهي تسعى لقضاء حاجة في الخلاء حيث الخفافيش والعراء واللا أحد ، يستعدي عليها الأخوة الجاهلين فيحز رقبتها ، ويهشم أنفها الأبي بحجر باشتهاء واضح ، وينعاها لوالديه ، ويطعم جسدها للضواري والكواسر ، فهي قد أهدرت شرفها وفق زعمه ، فاستحقت الموت بعرف طقوس الدم المتوارثة))**[٢]. وهنا كشف الجاني عن هويته الإجرامية ، فمارس نوازعه وميوله القبيحة من دون أي مؤاربة أو تردد . وقد وضعت القصة اليد على الجرح الدامي الذي طال أغلب النساء في مجتمعاتنا ، وهو الغطاء الاجتماعي الذي يبيح قتل المرأة تحت ذرائع حماية الشرف ، فهي من تجلب العار لأهلها ، لذلك فهي في نظر المجتمع تبقى عورة ، ومصدراً للفضائح الأخلاقية ، ويبدو أنَّ هذه العادات والتقاليد كانت عوناً للرجل في استباحة جسد الأنثى ، وإقصائه من الوجود ، وفي الوقت نفسه

---

(١) ناسك الصومعة : ٤١ .

(٢) م.ن : ٤١ – ٤٢ .

كانت ومازالت سيفاً مسلطاً على رقاب النساء ، وذريعة يتحجج بها الرجل ليمارس نواياه الشريرة .

وفي قصة (الحكاية النموذج) يتكرر مشهد العنف الذي يمارسه الأخ بحق أخته الضعيفة ، التي لا تملك من أمرها شيئا في ظل وصاية أخيها صاحب القلب الأسود ، الخالي من أية مشاعر إنسانية ، فقام بقتلها لمجرد أنها وقفت بوجهه ، وعارضت حماقته وأطماعه المادية ، فقد ((**احتاج إلى مبلغ من المال ، فسطا للمرة الألف بقوة الذراع ودم الأخوة المزعوم على مالها ، وعندما قررت أن ترفض استتراقه المقيت لها ، وقالت لا ، عاجلها بطعنة سكين بقرت بطنها ، واخترقت أشلائها ، فانزلق جنينها أرضاً بين قدميها مطعوناً بطعنة أمه التي دفعت حياتها ؛ لأنها قالت لأخيها الظالم لا**))[1]. وهنا فقد صورت القصة مشهداً مروعاً لامرأة فقدت حياتها ، وحياة جنينها الذي لم يكن له ذنب بما حصل له ولأمه ، من دون أي مسوغ قانوني أو شرعي أو إنساني ، فما قام به الأخ من جريمة نكراء لا تمت بأي صلة للقيم والمبادئ السماوية والأخلاقية ، التي نادت بها السماء كثيراً ، متجاوزاً كل الدعوات التي تنادي بحقوق المرأة ، وحمايتها من العنف التي أوجبها الدين الإسلامي في مناسبات كثيرة ، وحرص على تطبيقها على أكمل وجه ، وبقي يسير خلف بعض الأوهام التي تسربت من الموروث الثقافي الذي عززته مجموعة من العادات والتقاليد البالية والخاطئة ، وذات النظرة القاصرة تجاه المرأة ، فأباحت له ممارسة جرائمه ، ومكنته من تنفيذ جريمته بتهمة غسل العار لا لشي إلا لأنها امرأة ، أريد لها أن تعيش على هامش الحياة ، تعاني الحرمان والإقصاء والتهميش ، ((**ولأنَّها امرأة وصمت العائلة بوصمة العار المزعومة ، وأهدرت شرفها ، كما قال خاله في محاضر التحقيق الجنائي ، فصدقه**

([1]) ناسك الصومعة : ٤٢ .

الناس والقانون ، وكذبوا الجنين المطعون))[١]. والمؤلم في هذا الأمر أنَّ المرأة تُركت تواجه الظلم والاضطهاد لوحدها ، وكأنَّها من كوكب آخر وليس كائنا بشريا له مشاعر وأحاسيس وأحلام وأمنيات وتطلعات لا تختلف كثيراً عمَّا يتمتع به الرجل ، حتى أصبحت فريسة سهلة يمكن اصطيادها في أية لحظة ، في مجتمع ذكوري قد تخلى عن إنسانيته ، وعمل على تسيير الأمور لصالح الرجل ، حتى القضاء الذي يفترض أن يكون عادلاً ، ويطبق القوانين ، إلا أنَّه أخذ يسير خلف المد الذكوري ، واصطف إلى جانبه ، وحكم ببراءة الجاني ، وأدان الضحية وجنينها ، تحت غطاء حماية الشرف ، وصيانته من الاهتزاز حتى وإن كان ذلك مبنياً على الكذب والتدليس وتزوير الحقائق وإخفائها . وبذلك فقد تعرضت المرأة لأنواع مختلفة من الاضطهاد ، منها ما هو نوعي يتمثل بشيوع تفوق الرجل على المرأة وسيادته عليها ، من أجل تحقيق مصالحه الخاصة والعامة ، التي أدت إلى طمس شخصية المرأة والتقليل من أهميتها واستلابها ، ومنها ما هو اضطهاد أبوي بطريركي يكون في سيطرة الذكر على الأنثى في العائلة والمجتمع والسلطة ، ويتم ذلك عبر تسلط الأب على العائلة ، ممَّا يوجب خضوع الأم والأولاد وطاعتهم له طاعة كاملة ، وسيطرة الولد على البنت حتى لو كانت أكبر منه سناً .

وفي قصة (الحاء : حالته) في مجموعة (تراتيل الماء) نجد فيها مثالاً على ظلم الأخت في قبل إخوتها ، وقد جسَّدت القاصة واقع المرأة ضمن ثنائية رمزية تمثَّلت بـ (النور والظلام) ، النور في ظل والدها ، والظلام في عهد إخوتها بعد وفاة أبيها ، فتذكر القاصة ذلك بقولها : ((**دلَّلها والدها كثيراً ، ووثق بها ، فاعتادت على أن تكون في النور ، وأن تفعل كل شيء في النور**))[٢]. ويبدو أنَّ ذلك لم يدم طويلاً ،

---

(١) ناسك الصومعة : ٤٢ .

(٢) تراتيل الماء : ٨٥ .

فانتقلت من حالة النور المتمثل بكونها عاشت مدللة في كنف أبيها ، إلى حالة الظلام والبؤس والشقاء بعد وفاة أبيها ، لتصبح تحت وصاية إخوتها الذين لم يرأفوا بها ، فأظهروا غيضهم وحقدهم عليها ، وكأنَّها لم ترتبط معهم بعلاقة الأخوة ، وقد وصفت القاصة ذلك بالكفر بقولها : ((**فجاء عهد الكافرين بها ، أسموهم أخوة ، لكنَّهم يحفظون طقوس الشيطان ، ويبرِّون بقسمهم له ، كرهوها ، وكرهوا تدليل والدهم لها ، بقدر ما كرهوا قبس النور الذي تعيش متنسكة في قدسيته**))[١]. وهذا المقطع القصصي تجلَّى العداء الأسري بأبهى صوره وأدق تفاصيله ، والمتضرر الوحيد فيه والمهمش هي المرأة ، والمتعالي هو الرجل ، وكأنَّ هناك لعنة تطارد المرأة ، ويُستكثَر عليها الفرحة والحياة الهانئة ، وأُريد لها أن تعيش في البؤس والشقاء ، فغابت الرحمة ، وحلَّ مكانها البغض والكره ، وهو ما تجسَّد في أفعال الأخوة مع أختهم ، فيشير أحد مشاهد القصة إلى أنَّهم ((**جلدوها وجوَّعوها وربطوها في قبو بيتهم ، لكي يسجنوا فضيلتها خلف الأسوار ، فهي برأيهم من تصنع شرف المرأة ، ولأنَّهم غير مسجونين خلفها ، فقد كانوا يقتاتون على شرف الآخرين ، ويدفعون من عزيز مالهم ووقتهم كي يستمتعوا بدم الشرف المسفوك**))[٢]. وبذلك كشفت القصة عن قيام الأخوة بإسقاط ما يعانون منه في المجتمع على أختهم ، فتكون ضحية فقدانهم للعفة والشرف والأخلاق ، بوصفها العنصر الأضعف في العلاقة الأسرية كما وصفت أحداث القصة .

أمَّا النوع الثالث فهو الاضطهاد القانوني الذي ينبثق من الاضطهاد الأخوي ، فينعكس في القوانين الوضعية والعرفية التي تضطهد المرأة في حقوقها الاجتماعية

---

(١) تراتيل الماء : ٨٥ .

(٢) م.ن : ٨٥ – ٨٦ .

والاقتصادية والسياسية [١]. الأمر الذي جعل المرأة تعيش في الهامش ، وهي محاطة بقيود اجتماعية وثقافة فحولية صارمة . ففي قصة (الخرافة الأولى) في مجموعة (عام النمل) نجد أنَّ العنف هو الحاكم على العلاقة بين الأخت وأخيها ، الذي لم يتورع عن ممارسة أي فعل يسيء إلى أخته ، والنص التالي يوضِّح ذلك ، ((**طيبة كدمعة طفل ، قائمة كخيمة ، لم تحلم يوماً بثوب جديد ، ولا بحذاء أنيق ، ولا بدمية جميلة ؛ لأن دخل العائلة بالكاد يكفي للأكل وحاجات الحياة الأساسية بالمتبقي بعد إرسال نفقات دراسة الأخ الكبير الذي يكابد قدراته الإدراكية المتواضعة ، وصعوبة تعلم لغة جديدة في بلاد الصقيع والبرد كي يعود بلقب مهندس فتفخر به الأم ، ويحمل عبء الأسرة الكبيرة عن كاهل والده المعنى**))[٢]. وهنا سلطت أحداث القصة على بساطة المرأة ومدى تضحيتها ، فهي تحترم قرارات العائلة ، ولا تعترض عليها ، وقررت تأجيل أمنياتها وأحلامها إلى أن تنتهي مهمة أخيها ، إلا أمنية واحدة كانت تسعى إلى تحقيقها ، فهي ((**تحلم بسن ذهبية يفتر عنها فمها القرمزي الدائري كخاتم سحري ، وقلَّما يسمح لها أخوها الثاني بالترتيب أن تبتسم ، إذ ابتسامتها تذكره قهراً بضحكات العاهرات اللواتي يسافرن بالسر في ملهى المدينة**))[٣]. ومن هنا بدأ الصراع بين الأخت وأخيها ، الذي لم يكن يرعى أخته ، ويسمح لها بتحقيق أحلامها ، لذلك وقف حجر عثرة في طريقها ، وبدا غاضباً لا يطيق رؤية أخته تعيش في أجواء الفرح والمسرة ، حتى أنَّه استكثر عليها الابتسامة ، ثأراً لضحكات العاهرات اللواتي كان يمارس معهن الموبقات سراً في أحد الملاهي ، لذلك كان يثيره أي مظهر

---

(١) ينظر : النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب ، إبراهيم الحيدري ، دار الساقي – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ : ٣٠٢ .

(٢) عام النمل : ١٢٢ .

(٣) م.ن : ١٢٢ .

من مظاهر الابتسامة . واللافت للنظر في ذلك أنَّ هذا التبرير لم يكن مقنعاً ، ويعطيه الحق في محاربة ابتسامة أخته البريئة .

وفي تتابع أحداث القصة تتَّضح صورة العداء والعنف ، فبعد أن بادرت إلى ((**أن تلتَبس أحدى أسنانها بقشرة من ذهب ، ونجحت بأن تقنع والدها بأمنيتها التي تحققت على يدي أول غجري مرَّ بالحي ، فدفع والدها بعض المال له ، وتحمَّلت هي ألماً جباراً ، وحصلت أخيراً على سنها الذهبية ، واختالت بها ، قبل أن يقبض عليها أخوها بجريمة الابتسام ، فيضربها ، ويكسر سنها الذهبية ، ويفرمها ثلاث أسنان أخرى عقاباً على فرحتها**))[١]. فالنص يجسِّد حالة التسلط والهيمنة التي يتمتَّع بها الأخ تجاه أخته ، ومن دون أي رادع يردعه ، فيمارس أي شيء يمكن أن يسيء إليها ، فقد انصاع لرغباته ، التي تستمد مشروعيتها من إرادة ذكورية اجتماعية ، لذلك فإنَّ ما حدث مع هذه المرأة لم يكن شيئاً غريباً ، بل كان أمراً طبيعياً في نظر الثقافة الفحولية المهيمنة على واقع الحياة . لذا فإنَّ ما لحقها من أذى قادها إلى أن تعيش حالة من الحزن والألم ، وقد آلت على نفسها أن تبتعد عن الأحلام والأمنيات ، امتثالاً لإرادة قاهرة ، سلبتها حقها في الحياة ، هي إرادة أخيها ، لذلك استولى عليها الحزن ، ((**وما عادت تحلم أبداً ، وإن كانت تسعد سراً بمراقبة أسنان أخيها تتساقط الواحدة تلو الأخرى ؛ بسبب مرض عجيب أصابها ، فيهزل من قلة الأكل الذي لم يقدر على ابتلاعه ، ويحرم على نفسه الابتسام ، كي لا يكشف عن غور فمه الأجرد**))[٢]. فحتى سعادتها لم تكن مكشوفة ، بل كانت تجعلها سرَّاً ، وبعيدة عن الأنظار ، بما يؤكِّد كثافة القهر والقمع ، اللذينِ أدَّيا دوراً كبيراً في تحطيم واقعها النفسي ، وتحويلها إلى كائن هامشي يئن تحت وطأة الحزن والألم .

---

(١) عام النمل : ١٢٢ .

(٢) م.ن : ١٢٢ .

المبحث الثاني

علاقة المرأة بالآخر البعيد

يبدو أنَّ طبيعة الكبت الذي تعاني منه المرأة في بعض الحالات ، قد يدفعها إلى إقامة علاقات مشبوهة مع بعض الرجال ، تكون مخالفة للعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية ، والقيم الدينية والأخلاقية ، إذ تدخل المرأة في ميدان الخيانة ، فتقيم علاقات مشوَّهة ومحرَّمة ، تنتهي بممارسة الجنس بصورة غير شرعية ، وهذا الأمر لا يحدث اعتباطاً ، وإنَّما له بواعثه الخاصة ، وتداعياته الخطيرة . وفي بعض الأحيان تكون ((الذات الإنسانية في حالة بحث دائم عن كوامن الجمال الحسي ، لتعويض النقص الذي يعتريها ، ويثير خمولها ، فتغدو بحالة نشوة وارتياح نفسي))[١]. فالبرود والجمود في العلاقة الزوجية ، قد يدفع أحد الزوجين إلى البحث عن علاقة جديدة قد تكون لا أخلاقية .

وفي المقابل فإنَّ حالة العشق ، وسلطة الهوى لهما تأثيرات كبيرة في قيام علاقات اجتماعية تتَّسم أحياناً بالعفَّة والنقاء ، تكون مقدمة للزواج ، وتكوين أسرة سعيدة ترتكز على الحب والانسجام .

وبعد الاطلاع على النتاج القصصي المدروس وجدت الدراسة أنَّ هناك صوراً متعددة لعلاقة المرأة مع الآخر / الرجل البعيد ، الذي لا ترتبط به بأية صلة قرابة . وما يتبع ذلك من أحداث قد تكون سلبية ويشوبها التشويه تارة ، أو إيجابية تنتج محبة

---

(١) الأنساق الثقافية في شعر الفقهاء (٢٤٧ – ٦٥٦ هـ) ، أطروحة دكتوراه ، زينب علي حسين الموسوي ، كلية الآداب – جامعة القادسية ، ٢٠١٧م : ٣١ .

تزيد من أواصر الانسجام والتقارب تارة أخرى . الأمر الذي سنقوم بدراسته عبر محورين هما : (العلاقة البريئة) ، و(العلاقة المشوَّهة) .

أولاً / العلاقة البريئة

ممَّا لاشك فيه أنَّ العلاقة التي تقيمها المرأة مع الرجل البعيد الذي لا تعرفه ، قد تكون أمراً طبيعياً مبنياً على النوايا الحسنة والحب العفيف ، وبعيدة عن المتعة الجسدية ، والنزوات الفحولية . ففي قصة (صديقي العزيز) في مجموعة (الجدار الزجاجي) ، يتجلَّى البُعد الشفاف ويطغى على علاقة المرأة بالرجل ، فبطلة القصة التي تعمل رسامة ، قد تعرفت على أحد الأشخاص الذي كان عونا لها ، إذ عمل على تأمين احتياجاتها المالية والمادية ، وكان يساعدها كثيرا في سبيل تخطي الصعاب التي تواجهها ، وتعترض طريقها ، فابتدأ الأمر بالصداقة ، إلا أنه تطور إلى أن وصل إلى الإعجاب والحب ، وشعرت بحاجتها إليه وعدم قدرتها على الابتعاد عنه ، فوجدت فيه الشخص المنقذ الذي يخلصها من هموم الماضي ومراراته ، لاسيما ما يتعلق بتجاربها المريرة مع أشخاص تعرفت عليهم ، لكنهم لم يكونوا على قدر المسؤولية . وقد ذكرت في أحد مقاطع القصة جانبا من أبعاد شخصيته ، إذ تقول : ((**فهو قوي ، لا يُخشَى عليه لنقل إنَّه أقوى رجل رأيته في حياتي ، دون أن ينبس ببنت شفة ، أو تنهيدة احتجاج ، يبتسم وكأن شيئا لم يكن ، ودمعة سخية تتلألأ في عمق محجر عينيه ، ولا مزيد ثم يولي قافلاً**))[1]. ويبدو أنَّه قد أعجبها ، ووجدت فيه أفضل شخص يمكن أن تنسجم معه ، ويحقق أمنياتها ، بما يتمتع به من صفات قد جذبتها ، وأثارت مشاعرها ، حتى أصبحت تفكر به ليلاً ونهاراً وتتأمل كثيراً مع نفسها ، ((**من جديد تقلبت في فراشها وقالت : ولكني أحتاج اليه ، أحتاج إلى عونه ، والى مساعدته ،**

([1]) الجدار الزجاجي : ١١٨ .

أحتاج إلى كلماته تضع حلولاً لأشواقي ، أحتاجه ليؤازرني وأنا أستقبل حباً جديداً ، أحتاجه لينزل معي إلى الأسواق لأشتري هدية لرجل ما أشتهي أن يدخل إلى عالمي ، وأحتاجه وأنا أودع حبي المأمول ، هو الوحيد الذي يحتضنني باكياً لبكائي ، حزيناً لأحزاني و يضمني دون أن يوبخني ، دون أن يلومني ، يداعب شعري ويقول : يا لكِ من صغيرة))[1]. يُظهر المشهد القصصي مدى الإعجاب الشديد الذي طرأ على مشاعر المرأة ، وأخذ يسيطر على مشاعرها ، وبدأت تقتنع كثيراً به ، لعله يزيل عنها ترسبات الماضي ، ويخرجها من واقعها المليء بالانتكاسات والعذاب ، فهي تبحث عمن يعيد إليها الأمل ، ويجعلها تعيش حياة جديدة مليئة بالتفاؤل ، وخالية من الفشل والعوز المادي والاختيار الخاطئ ، لذلك وجدت ضالتها في هذا الشخص الذي فيما يبدو قد كان هدفها الذي سعدت كثيراً بتحقيقه والحصول عليه ، فلا يفارق خيالها لحظة ، فهي دائما مشغولة به وتحاور نفسها بعبارة (أين هو؟) وعلى الرغم من حاجتها للمال الذي تنتظر وصوله **((من تاجر العاصمة الذي تتعامل معه ، ولكنَّها ضربت صفحاً عن ذلك ، فعلى الرغم من حاجتها الحقيقية إلى المال ، وأنَّها هذه المرة بالذات ، ودون سابق إنذار ، وبعيداً عن أنانيتها المفرطة ، وشذوذاً عن كل رغباتها التي تدور حول حاجاتها ومصالحها ، فهي في حاجة إليه دون الحاجة إلى مساعدته ؛ لأنَّها تشعر بأنَّه في حاجة إليها))**[2]. لقد سارت المرأة في مسار يقربها أكثر من صديقها الذي أعجبها كثيراً ، ودفعها ذلك إلى أن تتناسى حاجاتها ورغباتها بالحصول على المال فهو في نظرها أهم من الأموال ، فالشعور الذي غزا قلبها قد قادها إلى أن يزداد طموحها ، وبدأت تفكر تفكيراً مختلفاً ، فهي بحاجة إلى شخص يعينها على مغادرة همومها وواقعها المؤلم . فقد كبر حلمها ، فهي **((تريد أن تقف**

([1]) الجدار الزجاجي : ١١٨ .

([2]) م.ن : ١٢٠ .

قبالته ، ولا تعرف أي الكلمات ستقول له ، لعلها ستقول له كلماتها المعتادة التي تقولها له مازحة كلما شعرت أنها أغضبته أتحبني ؟ فيجيبها بنبرة ساخرة لا تنجح في إخفاء صدق مشاعر صاحبها : أموت فيك))[1]. وهي بذلك تعيش حالة من الاضطراب العاطفي وتذبذب المشاعر وعدم استقرارها ، فهي تمر بشيء من المخاض الذي سينتج حباً جديداً ، فتارة تقتصر مشاعرها على الإعجاب ، وتارة أخرى تقفز إلى الحب ، لذلك كان ذلك بداية تجربة شعورية جديدة ، يمكن أن تثمر وتؤتي أُكلها في المستقبل . وتشير مجريات الأحداث في القصة إلى أن حالة الاضطراب التي تعيشها البطلة قد انعكست على تصرفاتها ، الأمر الذي قادها إلى السفر بعيداً عن صديقها، لعل ذلك يخفف عنها ألم فراقه ، إذ اختفى من حياتها فجأة ، مما أصابها بشيء من الانهيار النفسي و التأزم العاطفي ، فاضطرت إلى السفر إلى شمال الولاية ، على الرغم من قلة الأموال التي بحوزتها ، إلا أنَّها أقدمت على ذلك ، وحجزت تذكرة في أحد القطارات وفي أجواء السفر عاشت حالة من الاكتئاب والحزن ، ((**أمَّا هي فكانت تشعر أنَّها وحيدة ، لم تكن تعلم أنَّ لصديقها هذا الحجم في حياتها ، لا تنكر أنَّه إنسان رائع ، ولا تستطيع أن تنسى أنَّه هو من دعمها مادياً ومعنوياً ، وتوسط لها بعلاقاته المحدودة لكي تقيم معرضها الأول ، وهو أيضاً من قام بشكل أو بآخر بالتوسط لها عند أحد أكبر دور العرض في العاصمة لكي تعرض لوحاتها للبيع))**[2]. يبدو أنَّ البطلة وقعت في حب صديقها ، واستسلمت لقدرها ، إذ لا يمكن لها الخروج من شراك حبه ، وقد ازدادت معاناتها في القطار ، وشعرت بالجوع والقلق والخوف ، فلا تملك من المال شيئا تسد به رمقها ، وتدفع أجور تذكرة السفر ، فعاشت مغتربة حزينة ، ((**سبت في داخلها تهورها وقراراتها غير المدروسة ، استأذنت بعد**

([1]) الجدار الزجاجي : ١٢٠ .

([2]) م.ن : ١٢١ .

تفكير مطول الشرطي المناوب في المحطة لتجري اتصالاً واحداً لا غير ، وافق على مضض ، وثم بعد بضع رنات جاء صوت صديقها ، فرحت به كفرح من وجد كنزاً ، قالت له : أين كنت مختفيا طول الأيام الماضية ؟

– قال بفخر فارس أسطوري : لقد اقتفيت آثار ذلك المهاجر اللعين إلى أن أهتديت إليه

– قالت بدهشة : ولكن لماذا ؟

– كي أسترد منه اللوحة التي سرقها منكِ وها قد أعدتها معي .

صمتت بتعب مهر بري أنهكه الهرب ، وقالت : أنا مفلسة في محطة ١٠٧ في شمال الولاية ، هل يمكنك أن تأتي لاصطحابي ؟

– قال بحماس : بالتأكيد انتظريني ...))[1].

وبذلك تعالت أمنياتها فعملت على تحويل صداقتها معه إلى حب حقيقي ، يمكن أن ينتهي بالزواج ، فتزول – بذلك – حالة القلق وعدم الثقة التي عاشتها مع أصدقاء آخرين . وبعد أن انقطع الاتصال بحبيبها هاجت مشاعرها ، وانهالت عواطفها ، ولم تعد قادرة على كبح جماح انفعالاتها المتزايد ، وقد بدا ذلك حينما سألها شرطي المحطة قائلاً :

((هل هو آت ؟

فاجأها السؤال ، وأجابت تلقائيا : نعم ... هو آتٍ

قال بفضول : أهو زوجك ؟

قالت وهي تنزلق في الكرسي المجاور متعبة جائعة ، ولكن تملك يقينا يقول : إنَّ الحبيب المنتظر هو صديقها : لا ... هو حبيبي ...

([1]) الجدار الزجاجي : ١٢٤ .

أقصد هو حبيبي العزيز ... وهو آت))[١]. وهنا كشفت طريقة إجابتها ، والانفعال الذي ظهر على تصرفاتها ، عن وصولها إلى الإعجاب التام بصديقها ، ووقوعها في حبه ، إذ لم تكن باستطاعتها إخفاء مشاعرها وأحاسيسها ، فأفصحت عما يدور في قلبها، وعمدت إلى إبراز مكنونات نفسها من دون أي تردد أو إبطاء ؛ إذ إنَّها قد استسلمت تمام الاستسلام ، وانقادت لمشاعرها ، فارتقت درجة العلاقة إلى مستوى العشق والهيام .

فيما كانت مجموعة (عام النمل) – وفي إحدى قصصها – شاهداً على عنفوان العشق ، وتحطيمه مختلف القيود الاجتماعية ، التي كانت نتاج التمايز الطبقي فقد قامت المرأة العاشقة بتمزيق تلك العادات البالية ، التي صنفت أبناء المجتمع إلى سادة وعبيد بعد أن شعرت أن قانون الرق لا ينطبق إلا على الجسد ، أما القلب المليء بالمشاعر والأحاسيس فلا يمكن لأي قوة أن تحكمه ، وتتحكَّم بقراراته . تروي القصة ما حصل مع ابنة الوالي ، بعد شغف قلبها بأحد عبيد والدها ، فهامت به عشقاً ، فهو **((يمرُّ في كل يوم من أمامها ، فيطير شيء يخضور من قلبها ، حلو المذاق ، هلامي التفسير ويهبط على قلبه المقيد بالعبودية ، فيهش عليه بيده ليطيره بعيداً إلى قلب حر ، فالحب يريد قلوباً حرة لا قلوب تُضَرب بالسوط غدوة وعشية ، فيعود الطائر الحزين كسيفاً لينام في ضلوعها التي أورقت زهوراً ندية غصنة منذ أن وقعت عيناها عليه))**[٢]. وهنا قرَّرت المرأة / العاشقة أن تقتلع الأشواك من طريقها ، وأن تتمرد على واقعها الاجتماعي ، وتعلن رفضها التام للعبودية واستغلال الإنسان ، لذلك أصرت على أن تخلص ذلك العبد المسكين من أغلال الرق ، وتحرير قلبه من براثن الكبت والقهر ، والانطلاق به نحو فضاء العشق والحرية ، بعيداً عن قتامة تكبيل

---

(١) الجدار الزجاجي : ١٢٤ – ١٢٥ .

(٢) عام النمل : ١٠٤ .

الحريات التي حطمت رقة المشاعر والأحاسيس الإنسانية ، فتذكر القصة ((**كم أتعبها السير كل يوم إلى حقول الذرة والسمسم كي تحظى بمتابعته من بعد ! وكم أشقاها عندما صدها ! وألقى بحبها بعيداً ، قائلاً : إنَّ الحب للأحرار لا للعبيد**))[١]. وهنا وجدت المرأة / العاشقة أنَّ لا سبيل أمامها للظفر بحب العبد إلا أن تقوم بعتق رقبته ، وشراء حريته فيكون أكثر قدرة على ممارسة دوره الإنساني في التعامل مع الآخرين، والقيام بواجباته بصورة طبيعية ، إذ إن آثار الرق المدمرة قد أخذت مأخذا كبيرا من حالته النفسية ، و حولته إلى ركام ، خال من المشاعر والأحاسيس . لذلك عمدت إلى القيام بخلع ثوب العبودية الذي أرقه كثيراً ، بعدما أعياها إحجامه عنها ، فـ ((**حاولت طويلاً أن تجد من نفوره منها مسوغاً لهجره قبل وصله ، لكن تلك النظرات في عينيه ما كانت تخطئ معناها أي أنثى ، وكي تتأكد من حقيقة ما قرأت في عينيه اشترته من والدها الوالي ، وادَّعت أنَّها ستسخره لقيادة دابتها في طريق عودتها إلى مزرعة زوجها الذي يعدها من بين ممتلكاته ، وفي الطريق مزَّقت صك ملكيتها له ، وأرخت رأسها على زنديه ، وأغمضت عينيها ليسرقها إلى دنيا أخرى بعد أن تحرَّرا**))[٢]. وبذلك فإن ابنة الوالي لم تغتر بمركزها الاجتماعي ، ولم تلتفت إلى واقعها الأرستقراطي ؛ لأنَّها لم تجد فيه ما يسعدها ، ويحقق رغباتها في العيش مع من تحب ، وعلى الرغم من أنَّها كانت متزوجة ، إلا أنَّها لم تذكر شيئاً عن زوجها ، لكن تعلقها الشديد بالعبد الذي ملكته يشير إلى أنَّها كانت تعاني من فقر شعوري ، وجفاف في علاقتها معه ، لذلك بحثت عن سعادتها بعيداً عن إرادة المجتمع وتوجهاته ، واختارت لنفسها من يمنحها الحب و الحنان ، ويعيد لها طعم الحياة الجميل .

---

(١) عام النمل : ١٠٤ .

(٢) م.ن : ١٠٤.

وبناء على ذلك فالقصة تشير إلى أمر هام ، وهو علاقة المرأة بالآخر المركزي الذي يمثِّل قيد التقاليد والالتزامات التي تخضع إليها دون إرادة منها ، ذلك المركزي هو والدها الوالي وزوجها ، إلا أنَّها وجدت حياتها مع الآخر المهمش العبد ، فهي لم تعتق رقبته وتشتريه فحسب ، بل عتقت نفسها من قيودها عندما مزَّقت صك ملكيتها له ، وأخت رأسها على زنديه ، وأغمضت عينيها ليأخذها إلى دنيا أخرى بعيداً عن العوائق والقيود .

وفي مجموعة (أرض الحكايا) وفي قصة (الخصي) تبرز لنا صورة المرأة المدافعة عن عشقها وحبيبها ، على الرغم من القيود وقسوة الظروف ، بعد أن اشتراها السلطان بآلاف الدراهم ، وجيء بها إلى قصره الكبير ، فتذكر القاصة أنَّه ((**شُغل القصر بجمالها لأيام ، وشُغلت الإماء بتطييبها وتجهيز مخدعها لأيام آخر ، واعتزل السلطان لأسبوع عن نسائه ومحظياته ؛ ليكون لها في ليلة اكتمال البدر ، وليفترعها بشوق المحروم**))[١]. إلا أنَّها لم تذعن لسلطته وجبروته ، ولم تستطع مختلف الإغراءات أن تنال من قلبها ، فتبعدها عن حبيبها ، لذلك عمدت إلى الهرب بمساعدة أحد العبيد العاملين بخدمة السلطان ، بعد أن أخبرته بحقيقة عشقها مع الفتى الذي تحبه ، وكيف آلت الآمور بينهما إلى الفراق والبعد ، فتذكر القاصة أنَّها ((**كانت عاشقة لفتى ما ، وقد حالت الأسوار ما بينهما ... رجته أن يساعدها ، فوافق مكلوماً**))[٢]. وبذلك فإنَّ عنصر الوفاء لحبيبها قادها إلى أن تتخطى الصعاب ، وتتمسَّك بالأمل ، غير مبالية بما سينالها من السلطان إذا علم بما تعتزم القيام به ، وهو الذي ينتظر الوقت للدخول عليها ، وقد ذكر القصة في نهايتها أنَّها نجت منه ،

---

(١) أرض الحكايا ، مجموعة قصصية ، سناء شعلان ، نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي ، عمان ، (د.ط) ، ٢٠٠٦م : ٢١ .

(٢) م.ن : ٢١ .

وعادت إلى موطنها ، ((**في الليلة المشهودة التي أرادها السلطان مع جاريته ، كان قد دبَّر أمر فرارها لتكون مع فتاها الحبيب**))[١]. وبذلك استطاعت المرأة العاشقة أن تكسر القيود والسلاسل ، وتفلت من قبضة السلطان ، فرفضت حياة العز والدلال التي تنتظرها في قصره ، فأصرَّت على العودة إلى عشيقها الذي لم يغب عن بالها ، وتحقَّق لها ما أرادت .

---

(١) أرض الحكايا : ٢٢ .

ثانياً / العلاقة المشوّهة

لقد أشارت القاصة وفي مواضع مختلفة إلى علاقات اجتماعية تقيمها المرأة في بعض الأحايين اضطراراً ، لاسيما إذا تعرَّضت للكبت والحرمان والتضييق على مشاعرها وأحاسيسها ، وربَّما يكون إقدامها على ذلك فيه نوع من التمرد على المجتمع ، فتعمل على إدانة الظلم الذي يقع عليها ، إذ ((لم تجد المرأة أمام ما تراه من قيود تُفرَض عليها من المجتمع وعاداته وتقاليده التي تراها جسداً ملغماً بلا أحاسيس أو مشاعر إلا التنصل عبر ما تراه حرية لها . لذلك كثيرا ما جاء خطاب المرأة مفعما ومليئا بكل صرخاتها للحرية))[١]. ونجد في قصة (حيث البحر لا يصلي) التي تضمنتها مجموعة (الذي سرق نجمة) جانباً من علاقة المرأة بالرجل خارج سياقات العفة والشرف ، فهي علاقة يحكمها قانون الهوى ، وليس قانون الأخلاق والقيم السماوية والأعراف الاجتماعية ، فتذكر المرأة العاشقة أنَّ ((**الصلاة كانت على وقتها كانت فرضا علينا في صغرنا ، ثم أصبحت ريحانة نفسي عندما كبرت ، كنت أخالها الأجمل حتى ذقت قبلة العشق ، فعرفت حينها أن القلب يجيد صلوات أخر ، وعندما صليت في محراب جسد ذلك الصحراوي البري الباذخ الرجولة ، أدركت أن للعاشق ألف صلاة لا يعرفها غير من ذاق صلاة الإيمان بالهوى**))[٢]. فالمرأة هنا بدت متحررة من القيم والأعراف والتقاليد ، ولا يهمها سوى قلبها الذي قادها إلى الوقوع في الخطيئة ، إلا أنَّها كانت راضية وغارقة بالمتعة واللذة ، وكأنها تعيش في عالم آخر ، لا ترى فيه إلا حبيبها ، الذي تسبح معه في بحر الهوى ، غير مبالية بما يراه الآخرون من أنّ الممارسة الجنسية هي نزوة عابرة لا تدوم إلا لحظات ، ((**يقولون إن العشق البشري فانٍ بفناء اللحظة ، ولكن الحقيقة أنه ممتد لا يعرف موتا أو رحيلا ، وهو**

---

(١) الرواية النسائية العربية وخطاب الذات ، سعاد طويل ، مجلة المخبر ، عدد٦ ، ٢٠١٠م : ٨ .

(٢) الذي سرق نجمة : ٢٣ .

طاقة لا تفنى ، ولكن تتحول من شكل إلى آخر، وأجمل أشكالها هو ذلك الوجيب الذي يخفق في أحشائي منذ أسابيع ، هو معجزة حبنا العظمى ، هذا الجنين المستلقي في غياهب قرار مكين هو الشهادة الوحيدة على أن عشقنا قد ذاق جسدينا))[١]. وحتى الحمل غير الشرعي ، والمخالف للسنن والعادات المتعارف عليها ، لم تر فيه عيبا أو خطيئة ، بل وجدت فيه دليلا وشاهدا على بلوغها درجة متقدمة من العشق ، فرضخت مع حبيبها لقانون العشق السامي في نظرهما، لذلك لم يشكل الجنين الذي تشكل بعد أن حصلت المضاجعة الجسدية بينهما ، أي عبء عليهما ؛ لأنَّه جاء على وفق أعراف الهوى وسلطته. لكن ذلك لم يكن أمراً سهلاً ، إذ اصطدم بالمجتمع وقيوده الصارمة ، ونظرته إلى العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة ، لذلك شعرت المرأة بخطر ذلك ، والآثار المترتبة عليه ، وبدأ يساورها القلق ، فهو في نظرها كما تروي قد ((**جاء سريعاً قبل أن نرتب أمور زواجنا أو نحمل أوراقاً شرعية تجهر بشرعية علاقتنا . جاء قبل أن يخطبني أبوه من أهلي كما وعدني ، وقبل أن تزغرد أمي وهي توزع حساء الحريرة والسكاكر في الحمام المغربي ليلة زفافي))**[٢]. فحالة الفرح والانتشاء العاطفي التي غمرت العشيقين معاً لم تدم طويلا ، وبدأ العامل النفسي يأخذ دوره في تغيير مجرى الأحداث نحو القلق والاضطراب والتأزم والضيق ، وظهرت بوادر الخوف ، فـ ((**هذا الجنين العاجز المتواري خلف أسابيع قليلة من الوجود أفسد فرحتنا بعشقنا ، ووصم أمه بالزنا ، وكبَّل أباه بكلمة الفاجر ، وألَّب الأهلين علينا ، وحاصرنا بالقتل ، فهجرنا بعيداً عن الجبل الذي يكفر بالحب وبالعشق وبالجسد ، ولا يؤمن الا بالأوراق الشرعية وبالمأذون وبالزواج ، ويصلي الصلوات على وقتها ،**

---

(١) الذي سرق نجمة : ٢٣.

(٢) م.ن : ٢٣ .

ويلعن العاشقين جهرة وخفية))[١]. وفي ظل أجواء الرفض لما جرى من خرق لقانون الزواج والإنجاب ، فقد قرر العشيقان المغادرة والهرب إلى مكان آخر ، يسمح بالعشق وتكون السيادة فيه للهوى ، ((**ولذلك اخترنا أن نهرب من هذه الأرض التي تئد أبنائها بخطيئة الحياة إلى أرض النور وميعاد الحياة ، هناك سنتزوج ، وهناك سألد طفلي ، وهناك سنكون إيّانا ، وهناك سنصلي الصلوات جميعها على وقتها ، فأنى كان البحر فهناك صلاة))**[٢]. وقد قررت الهرب مع حبيبها إلى إسبانيا عن طريق البحر ، في رحلة شاقة مليئة بالصعاب ضمن ما يعرف بالمهاجرين غير الشرعيين ، لعلهما ينجوان من نظرة المجتمع ، ((**لكننا لم نصرح بحلمنا ؛ لأنَّ إسبانيا لن تسمعنا ، ومن له أن يسمع مناجاة امرأة ورجل هاربين بعشقهما من الأهل والوطن والذات؟ وحدهم عصابات هذه المدينة من لهم السطوة علينا لمفاوضتنا على أحلامنا))**[٣]. وقد عاشا في ظروف صعبة، في ظل رحلة تديرها العصابات وتجار الهجرة غير الشرعية وقلة المال، وصعوبة السكن في اسبانيا، وتوفير الغذاء والشراب، وقد شاءت الأقدار أن يسافر كل منهما بقارب منفرد، ((**فاخترنا أن أسافر أولا في القارب الأول لأنتظر رجلي على الشاطئ الآخر يوافيني بعد ساعات لا غير في القارب الثاني))**[٤]. ومن هذا الموقف بدأ العذاب والألم بعد أن فقدت حبيبها ، الذي اضطرت للهرب معه، لكي تحقق أحلامها ، وتذوق طعم السعادة في بلاد الغربة ، إلا أنَّ الأقدار قد عاكستها وخذلها الحظ ، فعاشت في الشقاء والحزن ، وهي في حيرة من أمرها ، لا تعرف مصير حبيبها ، بعد أن تعددت الروايات في سبب عدم وصوله إليها ، ((**والنتيجة**

---

(١) الذي سرق نجمة : ٢٣ .

(٢) م.ن : ٢٤ .

(٣) م.ن : ٢٥ .

(٤) م.ن : ٢٦ .

كانت الانتظار الموصول لرجل لا أعرف أهو من خذلني أم أن البحر غرر به ، وابتلعه على حين غرة ، ثم طواه في النسيان ليورثني سؤالاً لا يفتر ولا يموت وهو : أين اختفى الرجل الذي أعشقه؟))[١]. وفي ظل الضياع الذي عاشته المرأة في بلاد الغربة ، ازدادت هواجس الخوف والقلق ، وهيمنت عليها مشاعر الوجع والألم ، وهي وحيدة بلا معين ، يشاركها همومها وأحزانها ، ويخفف عنها آلام الغربة بعيداً عن الأهل والأحبة ، وعندئذ تبددت أحلامها ، وفقدت الأمل بحياة آمنة ، تنسيها أهلها الذين فارقتهم ، فبلاد إسبانيا التي وصلت لها على الرغم من جمالها ، إلا أنَّها لم تكن رحيمة بها ، ((**هذه الأرض الجميلة أم حنون على بنيها ، ولكنها زوجة أب شريرة على الغرباء ، هنا يهللون لحرية الجسد ، ويبكون عندما يسكرون ؛ لأنَّهم يفتقدون العشق الحقيقي ، هم لا يبالون بأوراق الزواج الشرعية ، ولكنهم يحرقون الغرباء بالمطاردة والتضييق عليهم في أحوال حياتهم ومعاشهم جميعها في سبيل أوراق إقامة رسمية ، الحصول عليها أصعب من ركوب العنقاء ، هذه الأرض لم تهلل بي ، ولم تمد يديها لتلقف صغيرتي وهي تنزلق وحيدة على بلاط جحيمها الموشى بروائح نفاذة))**[٢]. وقد باءت محاولاتها بالفشل ، في أن تجد لها عملاً ، أو سكناً في إسبانيا ، لأسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية كثيرة ، فحاصرها شظف العيش ، واضطرها إلى أن تعرض جسدها للبيع ، وعرضه أمام الباحثين عن الجسد الأنثوي ، ((**الكل تخلى عني في هذه الأرض ، اسبانيا وأهلي وحبيبي وأحلامي وعشقي وحريتي وإبائي ، حتى عفافي قد تخلى عني ، قالت لي رشيدة الوادي مديرة بيت الدعارة في مدينة ملقا أنَّ المعدة الخاوية لا تبالي بالجسد العاري ، عندها سببتها وطردتها من حجري**

---

(١) الذي سرق نجمة : ٢٩ .

(٢) م.ن : ٢٩ .

حيث آوي مكرهة وحيدة))[١]. لكنها لم تدم طويلاً على هذا الحال ، وهو التشبث بعفافها وإبائها وشرفها وحبها وجنينها ، إذ إنَّ شظف العيش ، وانعدام مصدر الرزق الحلال ، قد دفعها أن ترضخ للرذيلة ، وتنخرط مع بقية النساء اللواتي يعرضن أجسادهن أمام الرجال ، فالجسد هو ((ضحية استثمار من قبل المجتمع الذكوري ذي النظرة الاستهلاكية ، تغيب فيه نظرة الاحترام لهوية الجسد ؛ لأنَّه يرى فيه ممارسة جنسية لمتعة حسية ؛ لأنَّ النظرة إلى الجسد ليست نظرة فردانية تحدها الشروط الفردية وحدها ، بل هي نظرة عامة تتبناها الحضارة أو الثقافة وتشيعها إلى الناس ، بحيث يكون للمجتمع ككل نظرة موحدة للجسد بصرف النظر عن اختلاف ظروف الأفراد))[٢]. لذلك شعرت المرأة المهاجرة بنظرة المجتمع إلى الجسد الأنثوي ، ورضخت لها ، ((**ولكنني بعد أيام قليلة من الجوع كنت أسلمها جسدي المهزول المتفتق عن بطن متكور على حمل في أشهره الأخيرة**))[٣]. لم تبالي بالنتائج المترتبة على فعلها هذا ، بعد أن يئست من العيش الشريف ، بعيداً عن الانحطاط الأخلاقي ، فرضخت لمطالب صاحبة بيت الدعارة ، ووافقت على شروطها الظالمة فتقول : ((**لم أفاوضها في ثمن جسدي ، فمهما دُفعَ فيه يظل المدفوع زهيداً ، ولكن مع أول يد تجرد الجسد من ستره ، وتطرحه في فراش العهر يغدو رخيصا لا قيمة له أو ثمن ، أصبح جسدي دنساً ، وكلما انتهت مهمته الكريهة أسدر في ضحك هستيري لا ينتهي إلا جبراً ، من أجل أن يقدم خدماته الإبليسية من جديد لزبون آخر مقابل حفنات من الأوراق**

---

(١) الذي سرق نجمة : ٣٠ .

(٢) رواية مثلث الرافدين دراسة سيميائية سردية ، عبد الناصر مباركية ، محاضرات الملتقى الدولي الخامس للسيمياء والنص الأدبي ، منشورات قسم الأدب العربي – بسكرة ، نوفمبر – ٢٠٠٨م : ٤٥ .

(٣) الذي سرق نجمه : ٣٠ .

النقدية مسبقاً لرشيدة))[١]. وبذلك قادت الظروف المريرة هذه المرأة لتكون مومساً ، وتمارس الرذيلة مع الآخرين ، فتقدم جسدها لهم ليستمتعوا به . فهي ((ليست إلا ضحية مجتمع ذكوري طبقي مزدوج القيم والأخلاق ، ولم يدفعها إلى هذا العمل إلا المجتمع نفسه ، والرجال أنفسهم ، والفقر نفسه))[٢]. فيتنصل المجتمع عن مسؤولياته في لجوء المرأة إلى هذا السلوك المنحرف ، إذ لا يُدان الرجل على فعلته ، بل توجه سهام الاتهام للمرأة ، وتصبح في دائرة اللوم والعتاب ، فهي من تدفع الثمن ، وتؤدي الضريبة ، وتتحمل تبعات العار والهوان ، وقد ينالها العقاب ، ولذلك فإنَّ هذا النوع من النساء اللواتي يطلق عليهن المومسات ، لسن إلا حالة اجتماعية تعكس وجها من أوجه الحضارة الذكورية القائمة على الأبوية ، وما كان على المرأة إلا أن تكون كبش فداء لهذه الحضارة ، من أجل أن تقوم وتزدهر وتستمر[٣]. لذلك فإنَّ موضوع الجنس يعد عنصراً من عناصر كتابة الهامش والاختلاف ، يُراد به تصوير واقع المجتمع ومستوى اختلاله ، بهدف فضحه ، بما يمكِّن المهمش من التمرد عليه ، وينهض ضده ، محاولاً تغييره[٤]، واستبداله بواقع جديد تبتعد فيه المرأة عن الهامش .

وفي مجموعة (الضياع في عيني رجل الجبل) تبرز هيمنة الأداء الشبقي على علاقة الرجل / العاشق والمعشوق بالمرأة / العاشقة والمعشوقة ، إذ نجد أنَّ خطاب الجسد هو المسيطر عليهما ، فجاء في أحد المشاهد القصصية على لسان المرأة ((**كنت عارية إلى جانبك ، وكنت عارياً تماماً إلى جانبي ، مسَّدت عليَّ ، لمستني ،**

---

(١) الذي سرق نجمة : ٣١ .

(٢) الوجه العاري للمرأة العربية ، نوال سعداوي ، دار ومطابع المستقبل – القاهرة، ط٣ ، ١٩٩٤م : ٢١١ .

(٣) ينظر : الأنثى هي الأصل : ٢١٠ .

(٤) ينظر : الهامش الاجتماعي في الأدب – قراءة سوسيو ثقافية : ٢٣٦ .

مال جسدك نحوي ، شممتك على مهل واشتهاء ، كنتُ أدرك أنَّني في فسحة من أمري ، وأنَّك تهبني كل ما أشاء من فرحة بجسدك العاري مثل جسدي العاري))[١].

وهنا لم تستطع المرأة العاشقة إخفاء البعد الغريزي الذي اجتاحها في أوج لحظات العشق والهيام ، فكانت تتلذَّذ بالالتقاء الجسدي مع حبيبها ، وتعيش في أجواء الفرح والسعادة ، وكأنَّ ذلك هو مرادها وغايتها ، وقد حقَّقتهما . فكان جموحها مسيطراً عليها ، ولم تكتفي بذلك ، بل أعلنت عن رغبتها بالممارسة الجنسية ، بما يطفئ لهفتها وشوقها لذلك ، فنجد في أحد المقاطع القصصية أنَّها تعلن عن ذلك صراحة ، فتذكر القاصة على لسانها ((**أنا أريد في هذه اللحظة أن تكون رجل غابة متوحش بربري ، لا تعرف لغة أو منطقاً أو مقدمات ، أريد أن تعرِّيني دون أن تنبس بكلمة ، لتحتلني إلى الأبد ، ما قيمة الأجساد العاشقة إن لم تكن أرضاً محتلة))**[٢]. وبذلك أصبحت الرغبة الجسدية هي الطاغية على المشهد القصصي ، وغابت الأصوات الأخرى ، ليعلو صوت الجسد ، بعيداً عن قيم البراءة والعفة والشرف ، ممَّا أدَّى أن تكون علاقة العشق هنا علاقة مشوَّهة .

---

(١) الضياع في عيني رجل الجبل ، مجموعة قصصية مشتركة ، سناء شعلان ، فضولي للطباعة والنشر ، العراق ، ط١ ، ٢٠١٢م : ٩ .

(٢) م.ن : ١٤ .

الفصل الثالث

قضايا المرأة

توطئة

تعيش الكاتبة سناء شعلان في البيئة العربية التي تعاني من أزمات وصراعات كثيرة ، جلبت لنا الهزائم والانكسارات والآلام والمعاناة ، لا سيما الصراع العربي الإسرائيلي والأطماع الدولية والإقليمية في البلدان العربية ، وكل هذه الأحداث قد انعكست سلباً على الواقع العربي ، الذي تأخر كثيراً عن أغلب دول العالم الأخرى في ميدان التنمية البشرية والعلمية ، فضلاً عن الإرباك السياسي ، والتخلف الاجتماعي ، فغابت حقوق الإنسان ، وفقدَ الإنسان العربي حريته ودوره في الحياة السياسية والاجتماعية ، وقد كانت المرأة العربية من أكثر طبقات المجتمع تأثراً بالأوضاع التي عاشها العرب ، لذلك لم تكن الكاتبة بمنأى عن كل ما يحصل من ظلم وإقصاء تجاه النساء ، جراء الانحياز الثقافي الذي ((أعطى امتيازاً للرجل على المرأة ، وجعلها في وضع قاصر جسداً وعملاً ودوراً))[١]. فعمل على ((اختزال الكيان الأنثوي في وظيفتين : جنسية في خدمة الرجل ، وأمومية في تربية أطفالها))[٢]. الأمر الذي جعل الكاتبة تتصدَّى لمناقشة قضايا المجتمع ، وبيان أثرها على المرأة ، فكانت معاناتها وآلامها وتطلعاتها وأمنياتها من أهم القضايا التي عالجتها بأسلوب سردي مثير ، فهي تملك رؤية خاصة لصورة المرأة ، وترى أنَّ ((حرية المرأة الحقيقية هي قدرتها على أن تعرف واجباتها ، وتقوم بها قبل أن تفكر في أخذ حقوقها دون أن تعير اهتماماً لوظيفتها الإعمارية في الحياة ، وهي وظيفة مقدسة ، عليها أن تقدم بكل صدق

---

[١] مضمون الأسطورة في الفكر العربي ، د. خليل أحمد خليل ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٠م : ٩٠ .

[٢] الأنوثة بين الرجل والمرأة ، د. عدنان حب الله ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، عدد٢٣ ، ١٩٨٢م – ١٩٨٣م : ٨٧ .

وإخلاص ، وإلا فإنَّ العالم سيؤول إلى الفساد والخراب والانتهاء))[١]. لذلك فالقاصة تعتقد أنَّ للمرأة رسالة عظيمة لا بد أن تنهض بها ، فلا تقدم ولا ازدهار في المجتمع ما لم يكن للمرأة دور كبير في قضاياه المختلفة (الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية) ، وتنتظرها مهام ومسؤوليات كبيرة ، فما ((يجب على المرأة القيام به هو تفكيك وعي ، وتقويض بنية نفسانية وفكرية ومعرفية وسلوكية متجذرة في لا وعي المرأة وأطراف الصراع الأخرى : الرجل ، والذات ، والمؤسسة الاجتماعية))[٢]. ومن هنا فقد ركَّزت سناء شعلان على قضايا كثيرة تتعلق بحقوق المرأة وواجباتها والمسؤوليات التي تقوم بها .

---

[١] هذه مشكلة العشاق في العالم العربي ، حوار مع د. سناء الشعلان ، محمد جمال قندول ، مجلة حكايات ، العدد ١٦٨٥، ٢٠١٢م ، السودان : ٧ .

[٢] المرأة والسرد : ٢٢ .

المبحث الأول

القضايا الاجتماعية

بعد الاطلاع على المنجز القصصي للكاتبة سناء شعلان وجدنا أنَّها اهتمَّت كثيراً بالمرأة ، وأبدت انحيازها التام لقضاياها المختلفة ، لا سيما في التعلم والزواج والعمل ، وهي تعتقد أن المرأة العربية ((تعيش مأزقاً على كل مستويات التحقيق والإنجاز ، وهي في الوقت نفسه تبذل جهودها لتكريس نفسها ، وتحقيق إنسانيتها إلا أنَّ التحديات كبيرة))[١]، ووقفت عند الدور الكبير الذي أدَّته المرأة في سبيل نيل حقوقها ، وممارسة نشاطاتها المختلفة بعيداً عن ضغوط الرجل والأسرة والمجتمع . فأفادت من التطور الكبير والمتسارع الذي طرأ على المجتمع ، واستطاعت أن تحقِّق بعض أهدافها ، فكانت هموم المرأة العربية ومعاناتها وأحلامها قيمة أساسية في مدونتها القصصية . ويمكن أن نعد ما قامت به المرأة العربية نوعاً من التحدي ، ورفض الاستسلام للثقافة الذكورية التي كبلتها لقرون كثيرة ، ((وإذا كانت المرأة العربية قد نجحت إلى حدٍ ما ، في كسر الطوق الذي يؤطر علاقتها بالرجل ، فإنَّ هذا لم يحقِّق لها ما تصبو إليه ، ولم يضعها في المكان الذي تستحقه ؛ لأنَّ الماضي بقي حياً يتدخَّل في جزئيات يومها ، ويمارس تأثيره المعرفي في تفكير الناس ، فاستمر الحظر على كيان المرأة والمساومة على إنسانيتها ، وظل المجتمع العربي ينظر – ولو بدرجة متفاوتة – إلى المرأة على أنَّها الضلع القاصر ، والجنس الأضعف في عملية بناء المجتمع العربي ، ويجب ألا يتعدَّى حضورها مساندة الرجل في عمله وحياته ، وهذه النظرة خلقت حالة

---

[١] الأدب الذي تنتجه المرأة في المشهد العربي يشبه حالها وفكرها وتكوينها وظرفها ، حوار مع الأديبة الأردنية سناء الشعلان ، وليد شموري ، مجلة الشاهد ، عدد٧٠٧ ، ٢٠١٤م ، الجزائر : ١٨ .

من الغبن تجاه المرأة في قوانين الأحوال الشخصية العربية ، وفي المواقف الاجتماعية السائدة في الواقع المعيش))[١]. ومن أبرز القضايا التي عالجتها الكاتبة سناء شعلان هي :

أولاً / عمل المرأة

يُعد عمل المرأة من القضايا الاجتماعية الهامة التي شكَّلت مادة أساسية في أعمال سردية كثيرة ، بوصفها قضية جدلية ، إذ إنَّ ممارستها العمل لم يكن أمراً يسيراً ، بل كان يصطدم بعوائق كثيرة ؛ لأنَّ ((عمل المرأة يوفر لها نوعاً من الحرية الشخصية ؛ لأنَّ اعتمادها على الرجل يجعل موقفها ضعيفاً فتكون تابعاً له ، فلا تستطيع مخالفته أو الخروج على سلطانه ؛ لأنَّه هو الذي يعمل على استمرار حياتها وحياة أطفالها))[٢]. ولم تجد المرأة الرضا من المجتمع فيما يتعلق بمسألة ممارسة العمل ، ومنافسة الرجل ، ((ولهذا يسمح المجتمع للمرأة العاملة بحريات معينة ويحرمها من حريات أخرى . إنَّه يمنعها من التطور الفكري المستمر أو الوعي المتزايد وإلا اكتشفت الظلم الواقع عليها))[٣]. لكن حينما يكون العمل شاقاً ومتعباً لا يتناسب مع تركيبتها الفسيولوجية والنفسية ، فإنَّ ذلك يصبح وبالاً عليها ، ويدخل ضمن حالات امتهان المرأة وإذلالها ، فضلاً عن ذلك فإنَّ المسؤوليات التي تنهض بها المرأة ، والأعمال التي تؤديها في البيت ، تحتّم على الرجل التخفيف عن كاهلها ، وعدم إقحامها في ميادين العمل المرهقة والصعبة ، فما تتَّسم به المرأة من رقَّة ومشاعر شفَّافة ، تجعل من المناسب أن يتم اختيار العمل الذي يوفر لها قدراً كبيراً من الاحترام

---

[١] المرأة العربية في منظور الدين والواقع دراسة مقارنة : ٢٧٨ .

[٢] صور المرأة في روايات سحر خليفة ، وائل على فالح الحمادي ، دروب للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، (د.ط) ، ٢٠١٠م : ٤٢ .

[٣] الأنثى هي الأصل : ١٦٥ .

والعيش الكريم . إلا أنَّ قسوة بعض الظروف ، وحاجة المرأة إلى العيش ، وإعالة أسرتها ، قد يدفعها إلى القبول بعمل قد لا تطيق تحمله ، لكنها تضطر إلى الصبر وتحمّل الشدائد والصعاب . وفي الآونة الأخيرة ، وبفضل ما شهدته البلدان العربية من تطور كبير ، ومحاولتها اللحاق بركب الدول المتقدمة وازدهار سوق العمل ، وفَّر ذلك عدداً كبيراً من الوظائف التي أصبحت متاحة أمام المرأة ، فبادرت أغلب النساء إلى مشاركة الرجال في ممارسة أعمال ومهن كثيرة .

وعند مطالعة النتاج القصصي المدروس وجدنا صوراً متعددة لعمل المرأة ، وقد تنوّع بحسب الظروف المحيطة بها ، ومن ذلك ما تجلَّى في قصة (أجيرة) ، التي ظهر فيها ما تعانيه المرأة الفلسطينية من شقاء وبؤس ، بفعل ممارسات الاحتلال الإسرائيلي التي أوصلت الشعب الفلسطيني إلى حالة مزرية من شغف العيش والعوز والفاقة ، فالمرأة ((**تجوب الحقل بثوبها الفلسطيني المهترئ الذي نجا وحده من محرقة الاحتلال الصهيوني التي اجتاحت أرض قريتها ، فسلختهم عن حياتهم وكرامتهم وصفو عيشهم وحنون جمعتهم ، وألقت بهم لاجئين ضائعين في دروب الدنيا**))[١]. وهنا لم تسلم المرأة الفلسطينية من السياسات العدائية التي يتبعها المحتل الصهيوني ، فوقعت ضحية لتلك الممارسات ، وأُجبرت على العمل الشاق الذي لا يُؤمّن لها العيش الكريم ، ويحفظ كرامتها ، وقد رمزت القصة إلى عفتها وشرفها عبر ثوبها المهترئ الذي لم يحترق بنار المحتل .

وفي مقطع آخر من القصة تذكر القاصة ((**الآن هي تعمل أجيرة مستعبدة في قطف ثمار الطماطم في حقل ذلك الجلف النحيف ذي الأصداع المُطبَّقة ، والصدر الذي مُطَّ باتجاه تجويف البطن ، ودفع أضلاعه يابسة مشينة مسيئة لعيني كل ما**

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ١١٢ .

يلقى نظرة عليه ، هو جثة متعفّنة منتصبة على قدمين))[١]. فأحداث القصة تكشف عن مدى قوة المرأة الفلسطينية وصلابتها في مواجهة الاحتلال ، وعدم الإذعان للظروف القاهرة التي فُرضِت عليها ، من أجل توفير لقمة العيش لعائلتها ، فهي ((**لا تبغي من هذا العمل المهين إلا أن تؤمّن الخبز والماء النظيف وبعض الخضار والأرز لزوجها المقعد وحماتها المُسنَّة وأطفالها الكثر ، تعمل من شروق الشمس حتى غروبها مثل ثور مربوط العينين بساقيه ملعونة لا تتوقّف عن الدوران ، اللجوء القسري حوَّلها من صاحبة أرض ميسورة الحال مصونة الكرامة إلى لاجئة فقيرة معدمة تخشى أن تُطرَد من عملها ، فيموت زوجها وأولادها وحماتها جوعاً))**[٢]. فالمرأة الفلسطينية تحمل رسالة إنسانية كبيرة ، فهي مثال للمرأة المناضلة في سبيل عائلتها ، والمتحدية للمصاعب ، إذ لم تعبأ بالواقع المؤلم ، فنهضت ووقفت على قدميها ، لتعلن عن قيامها بأمر العائلة ، وتوفير متطلباتها ، على الرغم من المعاملة السيئة التي كانت تتعرَّض لها من صاحب الحقل الذي تعمل فيه ، ((**ذلك الرجل الجيفة صاحب الأرض يريد أن يهتك عرضها إلى جانب استحواذه على عرق جبينها ، وكدّ جسدها ثمناً لقروشه القليلة ، يطاردها في أرضه ليل نهار ، ويحاول أن يستفرد بها بأي شكل من الأشكال كي يسلبها عزيزها ، ترفض ذلك وتسبّه ، تمسح عرقها بردني ثوبها القديم ذي الحرير الأخضر المهترئ ، وتقرِّر أن لا تخضع له حتى ولو ماتت أسرتها كاملة جوعاً في سبيل أن تدافع عن شرفها ، فهو ليس للبيع ولا ثمناً لحياة أحد))**[٣]. فكل محاولات الضغط وحالات الإكراه التي مُورست ضدها ،

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ١١٢ .

[٢] م.ن : ١١٢ .

[٣] م.ن : ١١٣ .

لم تنل من عزيمتها وإصرارها على العمل الشريف ، والعيش بكرامة وعزة نفس ، بعيداً عن الانزلاق في الرذيلة والفحشاء .

وفي نص قصصي آخر نجد المرأة التي تعمل راقصة ، وقد تجلَّى ذلك في قصة (راقصة الطاغية) ، إذ إنَّ بطلة القصة كانت على درجة كبيرة من الوعي والالتزام ، فهي امرأة محافظة ، على الرغم من أنَّها تعمل راقصة ، فكانت تمتلك من الهيبة ما يجعلها بعيدة عن الابتذال والسقوط في هاوية المحرَّم ، فأعطت صورة مختلفة عمَّا هو شائع في أذهان أبناء المجتمع عن الراقصات ، إذ ((**تسمح بأن تُستباح في أي شيء إلا في رقصها ، لا شيء عندها يتصف بالقداسة إلا تلك اللحظات الهنية الشهية التي ترقص فيها ، جسدها عندئذ يُحار في حركات علوية متصلة مع عالم روحي لا يعرف لحظة حزن أو خذلان أو مذلة أو تواطؤ ، إلا مع موسيقى خفيضة تخضعه بحنان غنج سرعان ما يرخي قبضته المتشبثة بها ، ليجري مرحاً نحو رياض وزهور ونشوة لا تنقضي**))[١]. وهنا جعلت من الرقص مهنة تجلب للروح السكينة والطمأنينة بعيداً عن التعرَّي وإثارة نزوات الآخرين . فالرقص عالمها السحري الذي تُحلّق فيه إلى مديات واسعة تقترب فيها من عالم الصوفية ، لذلك فإنَّ ما يهمها هو أن تؤدي عملها على أكمل وجه ، غير مكترثة بما يصدر عن الآخرين من ردود أفعال ، قد تكون محكومة بالرغبة الجنسية ، فبعد أن ينتهي العزف الموسيقي المرافق للرقص ((**كأنَّها استيقظت من دروشة صوفية فجرية ندية ، تغادر حلبة الرقص كحصان بري فتي يجري دون تعب ، ويجفل حتى من خياله ، وخصال شعرها الفضية تغيُّب ملامحها الحادة المعجونة بتحدٍ هو طبع أصيل فيها ، وتظل عيون الرجال الحاضرين متعلقة بجسدها المعروف بترياق الفتنة ، وهي تبتعد تحجل ككائن بري**

---

[١] الذي سرق نجمة : ٨١ .

يكتشفه الرجال الجائعين في صحراء جوعهم الأزلي))[١]. كانت امرأة عنيدة ذات شخصية جادة ، تملك زمام نفسها ، لا تسمح لأحد من الرجال أن ينال منها ، استجابة لرغباته الذكورية ، فهي بعيدة عن الضعف والانهزام والانكسار ، ولا تنال منها عبارات المدح والثناء ، أو الإغراءات ، إذ ((**لا تسمح بيد لامس بأن تهبط على جسدها . ولا تتريَّث عند كلمة إطراء أو نظرة إعجاب ، ولا تستوقفها يد واهبة أو كيس عطاء ، تكتفي بأجرتها المُتفق عليها مع صاحب الليلة ، وتغادر المكان مع فرقتها قانعة بلذتها التي تملأ نفسها بقشعريرة تستنفر حواسها ومداركها جميعها))**[٢]. والملاحظ أنَّها بعيدة كل البعد عن عالم الملذات والثراء ، واستغلال الآخرين من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من الأموال ، فهي لا تجعل من جسدها بضاعة تعرضها أمام المستهلكين ، فما تفكر به ، وما تريد الوصول إليه يجعلها تختلف عن النساء الأخريات اللواتي غالباً ما يوظفن أجسادهن في سبيل استدراج الرجال الأغنياء وأصحاب السلطة والجاه ، فـ ((**شرطها الوحيد لكي تُكترى أن تنظر في عيني من يكتريها قبل أن تقبل بالرقص في ليلته ، دائماً تبحث عن شيء ما ، أو تخشى من شيء مجهول ، عندما لا تلمح في عيني من يريد أن يكتريها ما تخشاه ، توافق على الرقص له ولمن معه ، وتفرض شروطها المتلخصة في مكان مغلق ، وموسيقى محددة ، وحلقة مفرغة لها لا يقترب منها بشر ، دون طرح الأكل والشراب والألعاب في حضورها حتى ينتهي عرضها الراقص ، فيوافق المكتري لها على شروطها طائعاً بعد ان باتت شروطها معروفة عند الجميع ، وحضورها لأي حفل يضفي عليه أبَّهة وبهرجة ، ويصفه بالبذخ والذوق والخلوة لأهل الصفوة والنخبة**

---

[١] الذي سرق نجمة : ٨١ .

[٢] م.ن : ٨٢ .

وعلية القوم))[١]. والمفارقة في عمل هذه المرأة أنَّها تقضي أغلب أوقاتها بالعبادة والتهجد ، فالرقص لم يخلعها من واقعها ، فما أن تنقضي من الرقص حتى تعود إلى ممارسة طقوسها العبادية ، فيذكر الراوي ذلك : ((**لا يعرف أحد شيئاً عنها سوى بعض القصص الشائعة عن قيامها الليل صلاة وتعبداً في معظم ليالي السنة . واستضافتها لحلقات رقص الصوفية ، وانقطاعها في أوقات فراغها لحفظ أسفار الصوفية والنساك والعباد والمجذوبين ، وبعض قصصها عن الإحسان لمن تمر بهم من الأيتام والأرامل ، وولعها الكبير بالحمام الزاجل ، وتربيتها له في أسراب عملاقة في أبراج بيتها الفسيح الذي لا تنطفئ ناره ، ولا تغلق أبواب تكيته ، ورفضها للرقص في بيوت من اشتهروا بالظلم والفساد . ولو وزنوها بالذهب ، وقايضوا رقصها بالفضة والعنبر والمسك))**[٢]. ومن هنا فإنّ ما تتمتَّع به هذه المرأة من صفات جليلة ، وما تقوم به من ممارسات عبادية ، وإغراق نفسها في عوالم التصوف ، جعلها مهُيأة للقيام برسالة كبيرة تهدف إلى تطهير النفوس ، وتخليصها من ذل الرغبات والشهوات ، فضلاً عن تحطيم نسق الغلواء والجبروت في نفس الحاكم الطاغي ، فمهمتها تحرير البلاد والعباد من تسلطه وجبروته وظلمه ، عبر كبح جماح نزوعه نحو الهيمنة والتسلط بشتى الوسائل . وقد أُجبرت على الرقص أمامه بعد أن تعرَّضت لأنواع مختلفة من التهديد والتضييق ، فهي ((**ما كانت لتقبل بأن ترقص في حفل ذلك الطاغية ، لولا تلك التهديدات التي تلقتها مبطنة بلطف صفيق دبق من قائد حرسه الخاص ، تعترف بأنَّها خافت منه ، وأخذت هذه التهديدات على محمل الجد ، فسيرته الملطخة بقصص القتل والخطف والتعذيب والفتك والاغتصاب والتزوير والتآمر والانقلابات والاغتيالات ، تجيز له أن يفتك براقصة جميلة إن استفزَّته ولو**

---

[١] الذي سرق نجمة : ٨٢ .

[٢] م.ن : ٨٢ – ٨٣ .

كانت شهيرة))[١]. وقد رضخت للتهديدات على غير عادتها ، فبعد أن كانت هي من تفرض شروطها على من ترقص أمامه ، فقد تغيَّر الأمر ، وأصبحت منقادة لمن يملك السلطة وباستطاعته البطش بمن يشاء ، واستجابت لقدرها المحتوم ، وانصاعت لأوامر الحاكم الطاغي ، ورقصت في حضرته ، وأمام ناظريه ، وهي تعيش حالة من التشتت والضياع والإرباك ، حتى أنها بدأت تفقد صلتها بربها ، بعد أن أخذ يدقق بجسدها الراقص ، ويبحث فيه عمَّا يشبع جنوحه الغريزي ، إذ أخذ ((**يحدِّق بها طويلاً ، يتابعها بجوارحه جميعها ، تشعر بأنَّ عينيه تعريانها ، ويديه تمتدان إليها دون استئذان ، وصرخة ما تتولَّد في أعماقها ، ينقطع ذلك الخيط الذي يربطها بالسماء ، ترتبك حواسها ، وتشعر بحاجة مفاجئة إلى أن تحصي خطوات قدميها ، خوفاً من أن تسقط عن حواف حلبة الرقص ... وتتضخَّم ملامح الطاغية حتى تطغى على المشهد أمامها ، وتتعاظم قسمات وجهه حتى تكاد تبتلعها ... ثم تعجز عن الحركة ، فتتسمَّر مكانها متصلبة لا تقوى على حراك أو إيماءة ، عيناه قبالتها متحديتانْ بسكون راكد ، تبدأ الأرض تدور بها ، وفجأة تتكوَّم على الأرض مغشياً عليها))**[٢]. فالخشية من الله سبحانه وتعالى ، وتأنيب الضمير ، والخوف من الحاكم الطاغي ، الذي أفسد عليها حياتها بنظراته الشهوانية ، قد أصابها بالضعف والاضطراب ، وتجلَّى ذلك حينما غشاها الدوار ، وأدَّى بها إلى السقوط على الأرض ، فقد شعرت أنَّها فقدت عفتها وحشمتها ، وأصبحت مجرد لعبة بيد الحاكم ، لا تملك من نفسها شيئاً .

وفي المقابل فإنَّ ما حلَّ بها قد حلَّ بالحاكم ؛ فهو الآخر قد أصابه شيء من الضعف ، جعله يهوي إلى الأرض ، لتتهشم قوته وتنهال سطوته ، ويبدو ضعفه أمام حركات راقصة ، وتضيق به الدنيا ، حتى يصل إلى حد العجز والاستسلام للقدر ،

---

[١] الذي سرق نجمة : ٨٣ .

[٢] م.ن : ٨٥ .

فيذكر الراوي ما حدث به بعد ذلك : ((**لا طبيب يعرف له علة ، ولا دواء يعرف له شفاء ، ولا صديق يملك له دعاء مستجاباً شافياً ، وهي تنتظر دون توقف أمراً لا يكون**))[١]. وبعد أن يئس الحاكم من العودة إلى ممارسة مهماته ومسؤولياته بصورة طبيعية ، وبعد أن خذلته وسائل النجاة المختلفة ، لم يجد غير الراقصة تعيد له الأمل ، وتنعش آماله بالحياة ، وعندئذٍ تم جلب الراقصة إليه ، لعلها تخرجه من حالته المتأزمة ، عبر قيامها بالرقص أمامه ، فعملت على أن ((**تقترب أكثر من الطاغية ، تبتسم له لأول مرة في حياتها ، تقترب خطوة أخيرة قبل الالتصاق بجسده ، تخلع ثوبها الطويل الضيق الذي يستر جسدها بشكل كامل ، تقف أمامه عارية تماماً إلا من نظراته وارتعاشاتها الأرضية لا السماوية ، لا ترقص له كما أُمِرت أن تفعل ، بل ... ويغيبان عن الوجود**))[٢]. وقد انتهى الأمر إلى أن يكون الجسد الأنثوي الراقص بلسماً لجراح الحاكم ، فيعيد إليه نشاطه وحيويته ، وهي بذلك قد عملت على ترويضه ، عبر استخدام أسلحتها التي لا يمكن مقاومتها ، أو إخفاء تأثيرها . وهنا مفارقة أخرى في هذا النص ، فبعد أن كانت تلك المرأة منقطعة إلى ربها ، تمارس عملها فقط ، ولا تخضع للرجال ، تغيَّر الحال هنا ، واستسلمت للآخر ، مثلما تفعل الراقصات اللواتي مارسن مهنة الرقص .

---

[١] الذي سرق نجمة : ٨٦ .

[٢] م.ن : ٨٧ .

ثانياً / زواج المرأة

يعد الزواج من القضايا الأساسية التي لا يمكن إغفالها في الحياة الاجتماعية ، فهو من أهم حقوق المرأة ، حينما تُمنَح الحرية الكاملة في اختيار الزوج المناسب ، وما يتبع الزواج من تكوين أسرة سعيدة ومتماسكة . وهذا ينعكس إيجاباً على المجتمع ، وتقدمه وتطوره ، ويعتمد استقراره على حسن العلاقة بين الزوجين ، فإذا كانت قائمة على المودة والرحمة والاحترام والتقدير والتسامح والتفاهم ، ونبذ الخلافات ، أدَّى ذلك إلى استقرار الأسرة . أمَّا إذا كانت العلاقة الزوجية تفتقر إلى هذه القيم الإنسانية فإنَّ ذلك يؤدي إلى تفكك الأسرة ، ومن ثم تفكيك المجتمع[١]. لكن لم تتخلص المرأة من إفرازات التنشئة الخاطئة ، إذ ((قامت نظرة المرأة إلى ذاتها ، وتصورها لوظيفتها ورؤيتها لطبيعة العلاقة الزوجية ، على اعتقاد مفاده أنَّ الزوجة مسؤولة عن إسعاد الرجل وإمتاعه بجسد غض مُعتنى به ، وبما لذ وطاب من أصناف الأطعمة ، فذاك هو دورها في الحياة . وعملت الأم على ترسيخ مُسلَّمة في ذهن الفتاة مفادها أنَّ الزواج أعظم مشروع في حياتها ، يضاهي التفوق العلمي أو المهني الذي كان يحلم به اليافع . ونتيجة لذلك اعتقدت البنت جازمة أنَّها لا يمكن أن تكتسب قيمة اجتماعية إلا من خلال حسن سياسة البيت))[٢]. وقد زخرت المادة المدروسة بقضايا الزواج في عالمها السردي ، وأعطت صوراً متعددة لحالات زواج كانت المرأة عنصراً فاعلاً في القيام بمتطلبات العلاقة الزوجية على الرغم من الصعوبات التي كانت تواجه المرأة العربية .

---

[١] ينظر : الخلافات الزوجية وانعكاساتها على الأسرة دراسة ميدانية في مدينة الموصل ، حاتم يونس محمود ، مجلة دراسات موصلية ، عدد٢٠ ، آب ٢٠١٠م : ١١٦ .

[٢] الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية : ٢٧١ .

ففي المجموعة القصصية (تقاسيم الفلسطيني) تجلَّت قضية أخرى أظهرت صلابة المرأة الفلسطينية ، وقد أظهرت مدى وفائها وحبِّها لمن تحب حتى أصبح الحب والزواج قضية وطنية ، ترتبط بهموم الوطن المُعذَّب ، ولم تكن قضية شخصية بين عاشق ومعشوقته ، فالمرأة الفلسطينية تحمل بداخلها حب عشيقها وحب الوطن فهما عنصران متلازمان ، ولم ينفصلا عن بعض ، فالزواج في نظرها هو الوطن ، والوطن الحر المستقل يوفِّر لها أجواء السعادة الزوجية . ففي قصة (خُطبة) أظهرت المرأة إصراراً كبيراً على عدم القبول بالزواج من أي شخص يتقدَّم لخطبتها ، متذرعة بحجج وأعذار مختلفة ، وفاءً وحباً لزوجها الشهيد : ((**كل عريس يتقدَّم لها تعيبه بعيب ما ، ثم ترفضه ، وتغلق باب غرفتها عليها باكية لأيام طويلة ، ثم تخرج بعد ذلك ، وتعلن لهم أنَّها لا تريد الزواج بعد استشهاد خطيبها (حسَّان) ، ثم تلين من جديد تحت ضغط أسرتها ، وترى العريس الجديد الذي تقدَّم لها ، ومن جديد تعيبه ، ثم ترفضه ، ثم تهرع إلى غرفتها تبكي لأيام موصولة**))[١]. فالمرأة تعيش صراعاً شديداً ، وتعارضاً كبيراً بين موقفها الرافض للزواج ، وبين رغبات أسرتها ، لكنَّها تنتصر لموقفها ، وتعلن صمودها وثباتها على رأيها ، بغض النظر عن مدى الضرر الذي سيلحق بها إن هي أصرَّت على امتناعها عن الزواج . متخذة من البكاء سلاحاً لمقاومة الضغوط التي تتعرض لها ، فهو ليس ضعفاً أو انعزالاً ، بل يُعدَّ تمرداً واستنكاراً لمن يحاول أن يفرض عليها شكل حياتها الزوجية ؛ لأنَّها لم تجد من يكون بديلاً لزوجها الشهيد ، بما ينم عن وفائها له ، ((**تريد العريس بطول (حسّان) ، وصوته ورائحته وقسماته ومشيته وطباعه وشجاعته وابتسامته وحبه لفلسطين وعشقه لعينيها الناعستين . لا رجل يمكن أن يحمل صفات (حسّان) ، سنين مضت على بحثها عنه في وجوه الرجال دون أن تعثر عليه ، وبدأت تلقَّب بالعانس**

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ٣٦ .

النكدة لطول حزنها عليه))[١]. بذلك فإنَّ هيئة زوجها الشهيد وصفاته وطلعته وطباعه ومنظره وعشقه الشديد لفلسطين ، قد أسرها وهيمن على تفكيرها ، ولم تعد قادرة على الخروج من إساره ، فقد استولى على قلبها وعقلها ، لذلك أصبحت حبيسة الماضي ، الماضي الجميل البهيج ، الذي يعج بالقيم الإنسانية والوطنية ، وتختم القاصة في نهاية القصة إصرار المرأة على موقفها ، فتعلن أنَّها لن تتزوّج أبداً : ((**وتقول وهي تتكوَّم أرضاً أمام صور (حسّان) المعلقة في صدر البيت : أبي أنا لن أتزوج غير (حسّان) ، وهو لن يعود لأتزوجه))**[٢].

وفي قصة (لُهاث) نجد أن الرغبة في الحب والزواج تتحدّى الظروف القاسية والقاهرة التي يعيش في ظلها الفلسطينيون ، فكل أشكال القمع والترهيب والتخويف والإذلال والتجويع والتهجير لم تمنع أحد الفلسطينيين من الزواج من ابنة خاله (سمر) ، فأعلنا حالة التحدي والإصرار بهدف التغلب على الأزمات التي سبَّبتها السياسة الجائرة للعدوان الإسرائيلي . وقد تجلَّى ذلك بوضوح في النص الآتي : ((**الحالمون بالزواج في غزة جميعهم أكانوا نساءً أم رجالاً يلهثون قسراً في مساحة صغيرة وأحلام كبيرة غدت ضيَّقة إلى حد اعتصارهم . هو مثلهم يعيش عذاباً قاهراً موصولاً اسمه توفير طلبات الزواج ، ما عاد يحلم ببيت جميل وأثاث فارهٍ وعرس بهيج وحفلة حاشدة ، كل ما يبغيه الآن غرفة تجمعه بـ (سمر) حبيبته وابنة خاله ، يريد سقفاً يظلَّهم ويسير فرح وملابس ساترة وحضور مشاركين وفق ما تيسَّر من فتات الأحزان والانتظار المتسرَّب من قصف العدو الصهيوني))**[٣]. المشهد القصصي السابق يعطي صورة واضحة عن مدى الألم الذي يعتصر قلوب أبناء

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ٣٦ – ٣٧ .

[٢] م.ن : ٣٧ .

[٣] م.ن : ٥٥ .

المجتمع الفلسطيني ، ويكشف عن شظف العيش ، وضعف الإمكانات ، فالشعب محروم من مقومات الحياة ، والعيش الكريم ، فالمعوقات كثيرة ومتنوعة ، الأمر الذي يجعل من الزواج أمراً يصعب تحقيقه ، وليس في متناول أغلب الشباب الفلسطيني ، إلاّ أن حبهم لبلدهم ، وتشبثهم بالأمل والتفاؤل ، يجعل من الزواج قضية مصيرية ، لا يمكن إهمالها أو غض الطرف عنها ، فالتمسك بالحياة ، ورفض جميع ألوان اليأس والانكفاء والتشاؤم ، قد دفع ذلك الرجل الفلسطيني للتمسك بالزواج بمحبوبته ، مهما كانت الظروف : ((**اللهاث يسكن روحه ، ويبتلعه ، ويجعل منه لعبته في عالم الوهم ، لا غرفة موجودة للاستئجار ، لا سلع موجودة للشراء في الأسواق المحاصرة منذ سنوات ، ولا نقود لتيسير الأمور . ولا عمل متوفر ، ولا مدعوين إلى عرس يستطيعون حضور زفافه ؛ بسبب حلقات الحصار والحضر والاغتيال والاعتقال والدروب المغلقة المميتة**))[١]. وهنا فإنَّ حالة البؤس والفقر لم تقف عائقاً أمام طموحاته ورغبته في الزواج ، لذلك تعالى مع محبوبته على الجراح والصعاب والمعاناة ، وبدأ بالبحث عن سبيل للخلاص من المأساة المزمنة التي ترافقهم : ((**يفاجئ (سمر) وهي تجلس أمام بيتها المتهاوي ، وتطل على بحر غزة تطعمه حزنها ، يقترب منها ، ويهمس في أذنها التي تتوارى خلف جديلتها الكثَّاء : أتتزوجينني؟ تبتسم له ، وتهتف بسرور دون تردد: نعم ، أتزوجك .**

- لكن لا غرفة استطيع أن أؤمّنها لزواجنا .

- نتزوج هنا على ساحل البحر ، ونعيش بين صخوره))[٢].

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ٥٥ .

[٢] م.ن : ٥٦ .

فلا شيء يقف عائقاً أمام الفلسطيني في مواصلة الحياة ، وإعلان حبه ، والتكيُّف مع مختلف الأوضاع والظروف ، فما يهم بطلا القصة هو الحب بوصفه المصدر الحقيقي للسعادة والطاقة اللتينِ يستمدان منهما القدرة على مقاومة الواقع المؤلم ، وتأسيس واقع جديد تعيش فيه الأسرة بسلام وصفاء، حينما يكون المدخل إلى الزواج .

وفي موضع قصصي آخر ، عملت القاصة في قصة (صومعة العشق) على بيان أنَّ العشق هو أساس الحياة الزوجية ، فعبر الحب تذوب العراقيل ، والقيود التي انتجتها الأعراف والتقاليد الاجتماعية ، وتختفي الفوارق الطبقية والمراكز الاجتماعية والعمر وغيرها . ولم يعد للجمال الجسدي الأنثوي مكاناً . وهنا تصف لنا القاصة الظروف التي أسهمت في اكتمال وتهيئة الأجواء اللازمة للزواج ، بين الرجل العسكري والمرأة السمراء النحيفة ، إذ يقول : **((والده كان رجل حرب ، لم يعرف من الدنيا إلا الأراضي اليباب ، والجنود المعذبين بالموت ، وبالقتل ، وبالأوامر الصارمة ، وبالإجازات القصيرة ، ولكنَّه كان عاشقاً من الدرجة الأولى ، وكان يجيد أدوار الفرسان العاشقين ، رأى تلك السمراء النحيفة ذات الملامح البارزة وعظام الذقن الحادة ، سليلة أرض الجبابرة في صبيحة يوم صيفي قائض ، كانت تكبره بسنوات من العمر والصرامة ، وتشبهه بالعطش إلى ذلك المسمّى بالحب ، يومها أشاحت بوجهها عنه ، ثم أغمضت عينيها كي لا تتسرب ملامحه المثيرة المغمورة برجولة جارفة من ذاكرة نظراتها))**[١]. فهما مختلفان في كل شيء ، إلا أنَّهما متفقان في شيء واحد ، وهو الحب ، وقد نجح في جمعهما معاً في بيت واحد ، على الرغم من أنَّ الرجل بطبيعته العسكرية ذات الغلظة والشدة والقسوة وحياته الجافة ، التي تخلو من الرحمة والشفقة والتعامل برأفة مع الآخرين . وكذلك الزوجة لم تكن الزوجة المثالية

---

[١] ناسك الصومعة : ١٠ .

التي شاعت صورتها في التراث وفي الواقع ، المرأة الجميلة ذات الجسد المتناسق الممتلئ، التي تثير الرجل وتحفِّز مكنوناته الغريزية ، إلا أنها هنا كانت مخالفة لصورة الحبيبة المثيرة ، إذ كانت كبيرة في عمرها ، وتفتقد لشروط الجمال الأنثوي (السمراء النحيفة) ذات الملامح البارزة ، عظام الذقن الحادة . لكن الحب غيَّب كل هذه الأشياء ، ولم يعد ينظر كل من الرجل والمرأة إلى بعضهما بالعين ، والتدقيق بالملامح والصفات ، واصطياد العيوب ، ومواطن القبح . بل كان النظر عندهما عبر القلب ، الذي أخفى العيوب وأظهر الجمال الداخلي ، وقد قادهما الحب إلى الزواج : ((**وفي المساء جاء وخطبها من والدها ، فوافقت على مضض ، وأجادت إخفاء فرحة عارمة أصابت حواسها بإعصار ، واستغرقت في بكاء عميق تنزَّى إلى مسمعيه ، فأصابه بشهوة جارفة ، إذ كان يعشق النساء الرافضات المتمنعات ومن تزاوج العشق والصرامة وُلِد هو ، فكان وليد العشق ، فعاش أسير صومعته ، حيث الاحتراق بشهوة التمني**))[١]. وبذلك فإنَّ المرأة في القصة السابقة وإن لم تكن تمتلك مقومات الإغراء والإثارة الجسدية ، إلاَّ أنَّها استطاعت بما تكتنزه من شحنات كبيرة من الحب ، أن تروِّض ذلك الرجل الفض الغليظ ، وأن تخفَّف من غلواء تسلطه وتجبرّه ، بفعل موقعه العسكري ، وما عكسه ذلك على تصرفاته وقراراته . إذ جعلت الحب هو صاحب السلطة والقوة ، الأمر الذي دفع الرجل إلى الإذعان لتلك السلطة إيماناً منها أنَّ الحب هو من يصنع الحياة الزوجية السعيدة ، وتكوين أسرة تنعم بالسعادة والسرور .

---

[١] ناسك الصومعة : ١٠ – ١١ .

المبحث الثاني

القضايا النضالية

لقد كانت القضية الفلسطينية حاضرة في وجدان الكثير من المبدعين العرب ، فأخذت حيزاً كبيراً من اهتماماتهم ، تجلَّت بصورها المختلفة في نصوصهم الإبداعية ، إذ صوَّروا المواضع المشرقة التي تشير إلى بسالة الشعب الفلسطيني وشجاعته في مقاومة العدوان الصهيوني المستمر ، وفي المقابل لم يغفلوا الحديث عن إبراز الأوجاع والأحزان التي نتجت عن سياسات الاحتلال التدميرية ، وأفعاله القمعية ، فضلاً عن الإشارة إلى تخاذل الحكام ، وأصحاب القرار في الأقطار العربية ، وعدم جديتهم بمناصرة القضية الفلسطينية . والقاصة سناء شعلان كانت من بين أبرز الكتاب العرب الذين اهتموا بتناول واقع الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي ، وبما أنَّها تنحدر من أصول فلسطينية ، وهي امرأة عربية ترأست العديد من المنظمات الإنسانية ، ومنظمات الإغاثة الدولية ، فقد جعلت من النص الإبداعي ، بإجراءاته السردية عدسة تصويرية ، لتوثيق جوانب مختلفة ممَّا يتعرَّض له الشعب الفلسطيني ، فرسمت صوراً لأحداث واقعية غلَّفتها بلغة فنية ذات جودة عالية في أغلب الأحايين[١]، من أجل إيصال رسائل محددة الأهداف والغايات تحمل في طياتها معاناة الشعب الفلسطيني المضطهد . لذلك منحت المرأة الفلسطينية المناضلة مساحة كبيرة في أعمالها السردية ، فاستوحت الكثير من الوقائع والأحداث التي تشير إلى صلابة المرأة الفلسطينية وثباتها على موقفها الوطني الرافض للوجود الصهيوني على أرض فلسطين ، باذلة الغالي والنفيس في سبيل تحرير الوطن المسلوب ، فهي لم تقف عاجزة عن أداء دورها ، بل عملت على تحدي كل آلات البطش والقمع التي مارسها الاحتلال

---

[١] ينظر : صورة الآخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية : ٢٣٣ – ٢٣٤ .

الإسرائيلي ، فوقفت الى جانب الرجل في مواجهة القتل والتهجير وسياسة الإلغاء ، التي اتبعها الصهاينة تجاه الشعب الفلسطيني ، ولم يثنها عن عزمها اعتقال زوجها أو ولدها أو أخيها أو أبيها ، بل ازدادت عزماً وإصراراً على الثبات والمقاومة والفداء ، فسجّلت حضوراً لافتاً في الدفاع عن قضيتها عبر ممارسات وأفعال مختلفة ، سواء بالإفصاح عن آرائها ومواقفها الرافضة للمحتل ، أو عبر إيمانها بالعمل الجهادي ، وتبنِّي طريق المقاومة ومجابهة ممارسات العدو الإسرائيلي العدائية .

وقد أوردت القاصة صوراً متعددة من نضال المرأة الفلسطينية في المتن القصصي المدروس ، سنختار بعضاً منها ، ومن ذلك ما جاء في قصة (حتى النصر) في المجموعة القصصية (ناسك الصومعة) ، فقد تجلَّت المرأة الفلسطينية المناضلة (زهية) التي تحدَّت ظروفها القاهرة لأداء دورها النضالي ، وعلى الرغم من كبر سنها وعماها ، إلا أنها تخطَّت الصعاب ، وأعلنت عن موقفها من الاحتلال الإسرائيلي الغاصب ، ورفضها لكل أعماله الوحشية الظالمة ، ((**على حين غرة داهمهم عدو أسود أعدَّ العدة لكل شيء ، على أنَّه مهَّد طريقاً جبلية وعرة سراً كي ينسربوا عبرها إلى رؤوس الجبال ، وأرض ما وراء البحر كي تخلو له الأرض ، إذ كان لا وقت عنده ولا مزاج لجمع الجثث ، وحفر القبور الجماعية ، وإنهاك أجسادهم المدجَّنة بالأسلحة والخمر وعرق البغايا بمطاردة السكان جماعات وآحاداً ، واغتصاب النساء وبقر بطون الحوامل**))[1]. وعندئذ فرَّ أغلب الناس من الموت الذي داهمهم فجأة ، إلا (زهية) التي آثرت البقاء ، وعدم الانصياع لما يريده الأعداء ، فتذكر الراوية إصرارها وتحديها : ((**في ساعات سوداء خلت الأرض من أهلها أولي القسمات الطيبة ، والأيدي التي حفر فيها العمل المضني في الحقل خطوطاً لا تندمل ، وأقفرت البيوت الطيبة من أهلها إلا من زهية العمياء ، فقد بقيت في بيتها متحدية بعينيها**

---

[1] ناسك الصومعة : ١١٥ .

المظلمتين منذ أزل ، وبثوبها ذي الرقع الكثيرة وبسنينها السبعين الشقية عدواً مسلحاً بكل شيء إلا بالحق))[١]. وهنا أظهرت (زهية) صلابةً وشدةً في مقاومة المحتل ، إذ لم يكن الفقر والعمى عائقاً أمامها في تأدية رسالتها الجهادية ، والدفاع عن حقها في العيش بأمن وكرامة ، في وطنٍ خالٍ من الاحتلال والظلم والقمع ، ولم تكتفِ بالكلام لردع المحتل ، بل اتَّخذت من الحجارة سلاحاً لضرب غطرسة العدو ، وتجبره ، وطغيانه ، فقد ((**أصلت زهيَّة العدو كيفما اتَّفق بحجارتها مدافعة عن بيتها ، رافضة أن يُدنَّس بقدمي عدو محتل))**[٢]. وبذلك أصبح بيتها الصغير وطنها الكبير ، فدفاعها عن بيتها هو دفاعها عن وطنها ، فلم تستسلم ولم تتخاذل بل كانت تمتلك من القوة و الشجاعة الشيء الكثير ؛ لأنَّها سلكت سبيل الكفاح المسلح عبر استخدام الحجارة التي لا تمتلك شيئاً سواها ، فتجاوزت بذلك حالة الاستنكار والشجب ، إذ لم يعد لهما جدوى في ظل الممارسات الهمجية التي قام بها المحتل ، معللة ذلك إلى دفاعها عن وجودها ووطنها ، وإحساسها الكبير بضرورة نيل الحرية ، والتخلص من عبودية العدو الصهيوني الذي أجبرته (زهية) على عدم احتلال بيتها ، ففي بعض الحالات يتحوَّل الضعف لدى الإنسان إلى قوة ، تجعله يستجيب برد فعل حيوي نحو تعبئة طاقاته جميعها ، وكشفها في دفاع مستميت عن وجوده[٣]. وهو ما فعلته (زهية) ، وهي تنشد النصر ، فتقول الراوية في مقطع قصصي آخر : ((**احتل العدو كل الأرض خلا بيت زهية المكافحة الوحيدة دون أرضها ، وطفقت توطَّن النفس على الصبر ، وتؤملها بالثبات حتى النصر في انتظار عودة الأبناء))**[٤]. فالكفاح المسلح

---

[١] ناسك الصومعة : ١١٥ – ١١٦ .

[٢] م.ن : ١١٦ .

[٣] ينظر : التخلف الاجتماعي ، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور : ٥٥ .

[٤] ناسك الصومعة : ١١٦ .

، وتوطين النفس على الصبر ، وحثها على الثبات والصمود في سبيل تحقيق النصر ، وطرد المحتل ، وعودة النازحين والأسرى والمعتقلين ، كل ذلك يمثِّل مواقف سياسية تبنتها المرأة الفلسطينية (زهية) ، ودافعت عنها بقوة وبسالة ، بوصفها أنموذجاً للمرأة الفلسطينية ، إذ لم يقتصر الهم الوطني على الرجال ، بل شاركت الرجل في البوح بمواقفها السياسية ، والدفاع عن القضايا الوطنية.

أمَّا مجموعتها القصصية (تقاسيم الفلسطيني) ، فقد كانت حافلة بالقصص التي أظهرت دور المرأة الفلسطينية في مقاومة المحتل الإسرائيلي ، وقد تحملت الكثير من الألم والمعاناة ، وتجاوزت المصاعب والعراقيل في سبيل أن يحيا الوطن ، ويعلو شأنه بين الأمم، فكانت أحداث الحياة اليومية التي عاشها الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال ، مادة أساسية وبؤرة أساسية في البناء السردي ، ومن ذلك قصة (اغتصاب) التي أظهرت فيها المرأة الفلسطينية بسالة وشجاعة فائقة ، بعدما وأد المحتلون الصهاينة أحلامها وأمانيها بالزواج ممَّن تحب ، وأن تعيش معه في بيت واحد شأنها في ذلك شأن أغلب الفتيات في البدان الأخرى ، فجاء على لسان الراوي ((**الأحلام في فلسطين محرمة على أهلها بقرار صهيوني عرفي ، ولكنها على الرغم من ذلك تغازل حلمها الأنثوي ليل نهار ، هي تصدق حلمها ، وتنتظر أن تلبس الثوب الأبيض ، وأن تتزوج من أسمر طويل وسيم، وأن تلصق العجين والورد على باب بيتها عندما تدخله عروساً مجلَّلة بعباءة جدها المقصَّبة لتجعل وجودها في بيتها أبدياً وولوداً وهنيئاً ، فتمطرها زغاريد النسوة مشفوعة بالملح المنثور في عيون الحاسدين**))[١].

فالمقطع السردي يشير الى حب المرأة الفلسطينية للحياة ، رغم عمليات القتل والقمع والدمار التي يمارسها الصهاينة ، لذلك فإنَّ الحب والزواج وتكوين أسرة يمثِّل صفعة قوية بوجه المحتل ، الذي أغرق الشعب الفلسطيني بسيول من الحزن والألم ، في

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ١٣ .

محاولة لفرض إرادته بقوة السلاح ، وتمرير مؤامراته الدنيئة ، وبذلك فإنَّ ((الحضور الإنساني لقضية فلسطين حرَّك المشاعر الإنسانية والوجدانية لدى القاصة ، وكان الحضور حافزاً ودافعاً لديها لرصد ملامح صورة الآخر الصهيوني ، التي كانت تتغير بتغيُّر الأحداث ، فملامح صورة الآخر غير الإنساني تتكرر))[١].

وفي المقابل فإنَّ ردَّةَ فعل المرأة الفلسطينية أيضاً تتغيَّر ، وتكون على قدر الاعتداء ، وقد صوَّرت القاصة مشهداً قصصياً يحكي شجاعة المرأة حينما تتعرَّض للضيم والقمع ، ((**في دفاع عن أبيها الذي كان يقصد أرضه عندما هاجمه المستدمرون الصهاينة، تحوَّلت إلى أسيرة في المعتقل الصهيوني ، بعد أن شجَّت رأس أحدهم بحجرها بعد أن لطم والدها العجوز الوقور**))[٢]. وفي المعتقل فقدت الكثير من أحلامها ، وتبدَّدت آمالها ، بعدما تعرَّضت للاغتصاب على يد الجنود الصهاينة ، وهم بذلك سلبوا أعز شيء لديها، شرفها وعذريتها التي كانت تمنِّي النفس بتقديمها هدية لزوجها المنتظر ، والهدف من ذلك إذلالها وإخضاعها لإرادتهم الشريرة لتكون عبرة لغيرها من النساء الفلسطينيات . وهو ما أكده الراوي بقوله : ((**ليست نادمة على ما فعلت ، ولكنها حزينة على هديتها لزوج المستقبل التي هدرها الجنود في المعتقل انتقاماً منها ، لقد اغتصبوها مراراً وتكراراً كي يكسروا كبريائها ، ويحرقوا اعتزازها بنفسها، وينتقموا منها أبشع انتقام ، لكنهم زادوها نوراً فوق نور ، إلا أنَّها أيقنت أنَّ أحلام الزوج والعرس وثوب الزفاف قد تبخَّرت للأبد على صفيح مستعر اسمه اغتصابها**))[٣]. وقد أثبتت أحداث القصة أنَّ الصهاينة كانوا واهمين في إذلال الشعب الفلسطيني بممارساتهم الدنيئة ، فانتهاك حرمة الشرف عبر فعل الاغتصاب ،

---

[١] صورة الأخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية : ٢٣٧ .

[٢] تقاسيم الفلسطيني : ١٣ .

[٣] م.ن : ١٣ .

قد أيقظ الهمم ، وأشعل جذوة التحدي والرفض لدى الفلسطينيين ؛ لأنَّ عملية الاغتصاب تمَّت في المعتقل وتحت تهديد السلاح ، ((**خرجت من المعتقل دون حلمها وعذريتها ، لكنها وجدت في انتظارها سبعة شبَّان فلسطينيين قد قُدَّوا من الريحان والنعناع يتنافسون على الزواج بها ، ظفراً بشرفها الذي لم يُنتقص باغتصاب لئيم في معتقل صهيوني**))[١].

وفي قصة (رجال) قدَّمت القاصة جانباً من جوانب كفاح إحدى النساء الفلسطينيات ، فتذكر القاصة أنَّها ((**كانت تسب الجندي الصهيوني ، وتضربه بنعلها عندما حاول منعها من الدخول إلى قريتها ، نهرها الجندي الصهيوني بلغة عربية ، ودفعها إلى الخلف بقوة ، فكادت تقع أرضاً ، أدركت من سحنته ولكنته أنَّه خائن عربي مجنَّد في صفوف العدو . أمرها متنمراً أن تقف بعيداً عن الجنود الرجال إلى حين تفتيشها من قبل مجنَّدة صهيونية**))[٢]. فهي لم تقف عاجزة أمام ما يقوم به الصهاينة من أعمال إجرامية ، ولم تتراجع وتذعن لممارساتهم التعسفية ، بل قامت بدورها البطولي في الدفاع عن كرامتها وشرفها ، لذلك لم تكن ترى في المحتلين رجالاً ، نظراً لما يقومون به من ممارسات عدوانية دنيئة ، لا تمت إلى الإنسانية بصلة ، فسلكت سبيل السخرية والاستهزاء في جوابها على من وصف الجنود الصهاينة بالرجال ، فقد ((**ابتسمت المرأة الفلسطينية باستهزاء ، وحدقَّت في عينيه متحدية ، وسألته بتقزَّز أين هم الرجال؟**))[٣].

أمَّا قصة (زرع) ، فقد أثبتت مدى قدرة المرأة الفلسطينية على الصمود والثبات على الحق ، ورفض الذل والخنوع ، فهبَّت لمواصلة الحياة ، والقيام بأعمالها اليومية ،

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ١٤ .

[٢] م.ن : ٣١ .

[٣] م.ن : ٣١ .

إذ لم يتسرَّب اليأس إلى نفسها ، فتناست جراحها ومعاناتها ، فينقل الراوي أنَّ الجنود الإسرائيليين ((**جرَّفوا أرضها بعد حرق محصولها لهذا العام ، وأطلقوا الخنازير البرية على مزارع العنب ، وفي آخر المطاف جفَّفوا بئر المياه التي تسقي زرعها منها . لقد استغلُّوا أنَّها فلسطينية وحيدة بينهم ، وهم مَنْ يسيطرون على المزارع المحيطة بمزرعتها بعد أن صادروها من أهلها الفلسطينيين . وهي وحدها بين أولئك الوحوش ، قتلوا أبناءها تباعاً على تراب هذه المزارع وهم يزرعونها**))[١]. ورغم كل ذلك قامت المرأة الفلسطينية بدورها البطولي ، وعملت على إحياء ما دمره المحتلون في بلادها ، رافضة منطق إلغاء الحياة ، وتدمير الأمل فيها ، وهذا الأمر جاء نابعاً من اعتزازها بوطنها ، وإيمانها الشديد بقضاياه العادلة ، لاسيَّما ما يتعلَّق بحريته واستقلاله ، غير مبالية بقلَّة الناصر والمعين ، وضعف الإمكانات ، فتذكر القصة : ((**الآن غدت وحيدة تماماً ، ولكنَّها ظلَّت قوية ، زرعت من جديد السنابل التي خلعوها من أرضها ، ونفخت فيها ، فتفتَّقت جميعها عن فلسطينيين زُرَّاع هبوا جميعهم لنجدتها وعونها وزراعة أرضها من جديد**))[٢].

وبما أنَّ لشجرة الزيتون منزلة كبيرة في نفوس الشعب الفلسطيني ، فقد تكرر ذكرها في مواقف النضال والاعتزاز بالمكان والقضية ، فهي ((رمز للهوية الفلسطينية ، وهي بتجذرها وعمرها المديد ، وشخوصها ، تشكل صفعة قوية للادعاءات الصهيونية الزائفة ، وحيث تفند المقولات الصهيونية من نمط (فلسطين أرض بلا شعب) ، وهكذا راحت جرَّافات الحقد الصهيوني تعمل على تجريف الأراضي الزراعية ، واجتثاث شجرة

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ٣٧ .

[٢] م.ن : ٣٧ .

الزيتون))[١]. لذلك مزجت القاصة الحب الإنساني بحب الأرض وأشجار الزيتون في قصة العشق الفلسطيني ، إذ لم ينفصل حب المرأة الفلسطينية لمحبوبها عن حبها لشجرة الزيتون ، التي تمثل كيانها ووجودها وعمقها الحضاري والتاريخي ، وامتدادها في أرضها ، وارتباطها بوطنها وأبناء شعبها . ومن تجليات ذلك ما ورد في (قصة حب) ، التي تذكر القاصة فيها أنَّه ((**يحبها وتحبه ، وكلاهما يحبان فلسطين من صغرهما علقا الحب المشتعل ، فتعاهدا على أن يلازم أحدهما الآخر طوال الحياة ، وأن يرحلا عنها سوياً ، حفرا عهدهما على جذع شجرة الزيتون الذي تملكه عائلته منذ قرون كثيرة ما عاد يحصيها عدداً**))[٢]. وهنا عملت القاصة على إقحام أشجار الزيتون في بؤرة العشق الفلسطيني ، فكانت شاهداً على الحب الكوني الممتد لآلاف السنين بين المرأة والرجل ، في محاولة لإعلاء صوت السلام والحياة ، وتغليبه على صوت الموت والدمار الذي يمارسه الصهاينة في أرض فلسطين ، فجاءت الكتابة على جذع شجرة الزيتون ضمن حالة تواصلية بين عشيقين آمنا بوطنهما ، وتطلعاته المشروعة ، لعلمهما بما ترمز له شجرة الزيتون في بث دلالات السلام والمحبة ، ووهب الحياة ، لذلك شاركت تلك الشجرة الفلسطينيين المعاناة والظلم والعدوان ، ((فحالة أشجار الزيتون لا تختلف عن حالة أصحابها الفلسطينيين ، فهي تعد من مقومات وجود الإنسان الفلسطيني على أرضه ، فهذه حرب ضد الوجود والصمود الفلسطيني ، والصهاينة يشكلون أداة مخصصة لإبادة كل ما يخص السلام والخضرة والعطاء، التي تمثلها تلك الشجرة))[٣]. وبذلك فإنَّ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي قد

---

[١] حرب الزيتون في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، مصطفى قاعود ، شبكة الأنترنيت hHp:www.wata.cc، foums، shwthread.eh?18649 – 4d8

[٢] تقاسيم الفلسطيني : ٥٢ – ٥٣ .

[٣] شعرية الوصف في قصص سناء الشعلان ، تمارة رياض ذنون محمد ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٩م : ١٦٦ .

تجسَّد عبر العشق والأشجار في مقابل القتل والتجريف والاعتقال والاغتيال ، ((**كان المخطط أن يتزوجها في الخريف المقبل ، ولكن العدو صادر أرضهما قبل أن يأتي الخريف المنتظر ، وجرَّفها بعد أن اقتلع زيتونها ، ثم ألقمها أطناناً كثيرة من الإسمنت لتكون أساسات لمستدمرات صهيونية تأوي الغرباء الغاضبين**))[١]. وحينما حوصر حبهما ، ووجدا أنَّ لا سبيل له للعيش والاستمرار في ظل آلة الدمار والقتل الصهيونية ، ولكي يكون مصيرهما معاً ، تبادر إلى ذهنيهما أن يغادرا الحياة سوية ، فاختارا نهايتهما بقناعة تامة ، فالعشق يمكن أن يأتي ثماره في الآخرة ، وعندئذٍ ((**قررا في لحظة عشق كاملة أن يمضيا في درب عشقهما الأكبر ، بحزامين ناسفين فجَّرا البيوت المستدمرة الوليدة فوق أرضهما بمن فيها من الغرباء ، وتناثرا هباءً مقدساً فوق أرضهما التي ماتا عشقاً لها**))[٢].

ولم يكتفِ العدو الإسرائيلي بالقتل والتهجير والاعتقال وتجريف البساتين والمزارع ، ومصادرة الأراضي وتهديم البيوت ، بل عمل على إقامة جدار عنصري عازل ، في محاولة منه لتمزيق أوصال أرض فلسطين ، والتقليل من مقاومة الشعب الفلسطيني ، فكان الجدار شاهداً على الرغبة الدموية المتأصلة التي ترمي إلى محو الشعب الفلسطيني وانهاء مقاومته ، إلا أنَّ أبناء الشعب الفلسطيني لم يقفوا مكتوفي الأيدي ، ولم يرضخوا لمخططات الصهاينة عبر بنائهم الجدار الفاصل ، وإنَّما كانت لهم مواقف كثيرة ، عارضوا فيها تشييد الجدار الفاصل ، وعملوا على تهديمه ، على الرغم من القمع الذي تعرَّضوا له ، وكان للمرأة الفلسطينية موقف حازم تجاه الجدار ، وما نتج عنه من تقسيم الأراضي الزراعية والقرى ، وقد تجسَّد ذلك في قصة (المقبرة) التي تحكي معاناة (الحاجة رشدية) ، وموقفها من ممارسات المحتل ، فهي لا تستطيع

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ٥٣ .

[٢] م.ن : ٥٣ .

((**أن تحصي أحزانها الفلسطينية ، فأحزان الفلسطيني لا تُحصى مادامت لعنة الاحتلال الصهيوني تنهش ماضيه وحاضره ومستقبله ، كذلك لا تستطيع أن تُحصي عدد مَنْ فقدت من أحبة من أقارب وجيران وأصدقاء بين قتل وسجن ونفي وتعذيب ومرض وتشويه واختطاف**))[١]. فالمحتل هو أساس البلاء ، ومصدر الشر الذي جلب الويلات والمصائب والأحزان للشعب الفلسطيني ، عبر ممارسات قمعية مختلفة ، تركت آثارها المأساوية على (الحاجة رشدية) ، التي لم تستطع إخفاء حزنها وألمها لما حلَّ بوطنها ، فقد كانت تشعر بأحزان الآخرين ومآسيهم ، لذلك غلب ما يتعرَّض له الوطن على آلامها ، فهانت عليها المصائب من أجل الوطن الجريح ، فقد فقدت ثلاثة من أبنائها ، ذهبوا شهداء في سبيل الوطن ، فعملت على تغليب مصلحة الوطن على همها ، وبقيت شامخة قوية ، لم تنل منها المصائب ، ((**لم يرها أحد في يوم تبكي أحداً من أبنائها ، وكانت تصمَّم على أن يناديها أهل الحي باسم أم الشهداء ، وتتيه فخراً كلما روت بالماء وبدموع العين زيتونات قبورهم ، وداعبتها بانكسار يتعالى على زفراتها اللاهثة المفطورة على ألم عملاق**))[٢]. لكنها غلب عليها البكاء والحزن ، وظهرت عليها علامات الانكسار ، حينما داهم العدو الإسرائيلي قريتها ، وبدأ باقتلاع أشجار الزيتون ، وتجريف أرضها وتهجير أبناء قريتها ، فهي لم تلتفت إلى مصيبتها بأبنائها ، وإنَّما هزَّها مصادرة الأرض ، وقلع الأشجار وكأنَّها وجدت في ذلك ضياعاً لقضيتها الوطنية ، لذلك كانت تحتضن أشجار الزيتون ، وتتثبت بالأرض فهي كالشجرة الراسخة في الأرض ، تستمد قوتها من رمزية شجرة الزيتون ((**ووجود هذه الشجرات في المقبرة مفارقة ، فهي رمز الحياة والعطاء في أرض لا تحتوي إلا رفاة الأموات وكأنَّها إشارة إلى استمرار الحياة والصمود ، وإنَّ الفلسطيني يزرع**

---

[١] حدث ذات جدار : ٢١ .

[٢] م.ن : ٢١ .

الحياة والأمل حتى بنصف الموت والدمار . فاغتيال هذه الشجرة هو بالحقيقة اغتيال الوجود الفلسطيني والهوية الفلسطينية))[١]. لكنَّ الشعب الفلسطيني أفشل كل محاولات النيل من إرادته ، فوقف بصلابة لتقرير مصيره ، والعيش بكرامة وسلام . وهو ما جسدته (الحاجة رشدية) بأبهى صوره . ((**أمَّا اليوم فلم تخجل من أن تنتحب ، وأن تبذل دموعها سخية مدرارة ، وهي تعانق زيتونات بستانها ، وتتثبَّت بجذع أكبرها لعلها تقصمها من أيدي الجنود الصهاينة الذين داهموا القرية من طلوع الشمس ، وعاثوا تقتيلاً في أشجارها قبل أن يجرفوا أرضها ، ويلقوا بأهلها جميعاً خارجها حفاة مذعورين بحجة تملُّك أراضيهم ، من أجل بناء الجدار العازل))**[٢]. وهنا وجدت (الحاجة رشدية) نفسها أمام مأساة كبيرة ، فبناء الجدار يعني تمزيق أرضها ، وتشتيت أهلها ، وضياع أشجارها ، وفي ذلك ضرب لوجودها وانتهاك صارخ لمقدساتها المتمثلة بأهلها وأرضها وأشجار الزيتون ، إذ ((أضفت إلى أشجار الزيتون صفة الإحساس بوصفها الشاهد الوحيد على ما يحدث في الأرض من اغتصاب ودمار من الآخر))[٣]، ولاشك أنَّ هذه الأعمال العدوانية تفوق قدرتها على المقاومة ، لعدم تكافؤ طرفي النزاع ، فهي ((**على الرغم من جبروت رفضها الأبي للرحيل ، وجدت نفسها شعثاء غبراء دون غطاء رأسها الأبيض ، ودون بيتها أو بستانها أو زيتوناتها الوفيرة ، بل دون قريتها كاملة ، ففي ساعات قليلة كانت معظم أراضي القرية مُصادرة ، وكانت الأراضي الزراعية جرداء مغتصبة مجرفة من أشجارها ومن فرحها ، فغدت القرية دون سكانها بعد أن شطر مخطَّط الجدار الفاصل القرية إلى نصفين : نصف صغير يسجن خلفه حشداً عظيماً من أهلها ، والآخر يعزل أمامه**

---

[١] شعرية الوصف في قصص سناء الشعلان : ١٦٦ .

[٢] حدث ذات جدار : ٢١ – ٢٢ .

[٣] صورة الآخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية : ٢٣٥ .

مقبرة القرية))[١]. وهنا كان للجدار الذي أقامه الصهاينة تأثيرات مدمرة على الواقع الحياتي لأبناء الشعب الفلسطيني ((فالجدار وما يتوفَّر عليه من دلالات القسوة والصلابة والارتفاع الشاهق وامتناع التواصل بين الأهل والأصدقاء في شقي المدينة ، فإنَّه يتجسَّد كشيء مانع وحاجز للألفة و التلاحم في مكان عام ممتد على أرض فسيحة ، فهو يمنح شعوراً بالسخط والسخرية والتمرد والغضب من قبل الشخصيات المحاصرة بين شقيه اللذين لا يلتقيان بسببه ، ومن ثم كل ما فيها من مشاعر حميمية كانت مع أهليهم أم غاضبة صارخة ضد الجدار تذهب أدراج الرياح ، حيث يمتصها هذا الجدار المقيت ويمنع سريانها إلى الضفة الأخرى))[٢]، ونظراً لما تركه الجدار العازل من آثار سلبية على حياة (الحاجة رشدية)، فقد قاست الأسى والحزن بعد عزل الجدار للمكان المحبَّب لها إلى قسمين : قسم فيه قبور أبنائها ، والقسم الآخر يشتمل على أشجارها ، لذلك أعلنت عن رفضها لعملية التهجير ، والابتعاد عن أرضها، فوجَّهت صرخة استنكار واستهجان للجدار العازل ، ((**وحدها الحاجة رشدية من بقيت في القرية المختزلة في المقبرة بعد هذا التقسيم الجائر السريع الذي نهشها ، إذ ظلَّت متثبّتة بأرضها ، ورفضت الرحيل لتكون شهيدة جديدة تُزف إلى المقبرة وإن كانت لا تزال على قيد الحياة . أمضت أياماً قصيرة في مثواها الجديد موزَّعة بين أبنائها الأرواح الثاوين في القبور ، وبين شجراتها الزيتونات المرسلات قتلى على أرض المقبرة بعد أن رحّلتهم إلى جانبها ، وفي جنباتها ذلك الحقد المُرجّل على ذلك الجدار الغاشم الذي بات ينمو بتوحش أمام عينيها ليحرمها من قريتها وأهلها وتاريخها المديد**))[٣]. وهنا أصبحت (الحاجة رشدية) الشخصية الفاعلة في

---

[١] حدث ذات جدار : ٢٢ .

[٢] شعرية الوصف في قصص سناء شعلان : ١٦٥ .

[٣] حدث ذات جدار : ٢٢ .

تغيير الحدث ، بما تملكه من شجاعة وإرادة وصلابة ، فآلت على نفسها القيام بواجبها الوطني ، وعدم الرضوخ و الاستكانة ، ولم ينل منها الإحباط واليأس ، بعدما بعثر الجدار العازل الأشياء القريبة إلى قلبها ، وعبث بالذكريات الجميلة العالقة في ذهنها فـ ((**المقبرة هي آخر مَنْ تبقى لها من عالمها المتواري قهراً خلف الجدار ، وهي هنا وحيدة لا تملك سوى شجاعتها وإصرارها على البقاء ، وفأسها آخر مَنْ رافقها في دربها نحو زيتوناتها**))[١]. فأمام القوة الغاشمة التي يمتلكها الاحتلال الصهيوني والآليات والمعدات الكبيرة ، تقف (الحاجة رشدية) بفأسها لتجعل منه رمزاً للمقاومة والثبات ، على الرغم من قدمه ، وتخلخل أجزائه ، لكن رغبتها الكبيرة في تحطيم الجدار ، جعلت من الفأس آلة قادرة على تحطيم جبروت الصهاينة ، ((**تتأبطه ، وتحكم ربط غطاء رأسها ، وتحزَّمه بأطراف ثوبها ، وتخطو أول خطواتها نحو الجدار ، خطواتها ثابتة وسريعة تقصد أن تنهال بفأسها على الجدار تحطيماً وتهشيماً**))[٢]. فالحاجة رشدية المرأة العجوز ازدادت غيظاً وحرقة وهيجاناً على الأفعال الدنيئة التي يمارسها المحتل الصهيوني ، لذلك حملت راية الدفاع عن الأرض المقطّعة إلى أجزاء ، على الرغم من قلة الإمكانات وانعدام النصرة ، فلم تستوحش الأمر ، إذ كانت تمثّل جيشاً كاملاً أرهب العدو ، وزرع في قلبه الرعب ، وألقى بداخله الهزيمة والتراجع ، فهي ((**تقترب أكثر من جنود العدو الذين يهرعون هروباً نحو البعيد من وجه امرأة عجوز تحمل فأسها وغضبها وانتقامها المستعر ، وخلفها أجساد تجر أكفانها ، وتحمل فؤوساً مهدِّدة بها ، وهي تكاد تنقضُّ على الجدار ، وفي الأفق تلوح المقبرة بقبور مفتوحة قد غادرها الشهداء إكراماً لدموع الحاجة**

---

[١] حدث ذات جدار : ٢٣ .

[٢] م،ن : ٢٣ .

رشدية ، بغية مساعدتها في تحطيم الجدار العازل))[١]. أي إنَّ استشهاد أبنائها وأقاربها وأصدقائها لم يكن باعثاً للحزن المحبط ، والاكتئاب والانزواء ، والعيش تحت وطأة الاغتراب والوحدة ، فهي لم ترَ في ذلك انهزاماً أو ضعفاً ، ولم تعده انتصاراً للعدو الغاشم ، بل على العكس من ذلك كانت ترى في الشهادة باعثاً للحياة ، والأمل بالمستقبل المزدهر ، الذي ينعم فيه الشعب الفلسطيني بالحرية والحياة الكريمة ، ((فكانت تلك الحاجة هي الأرض والوطن الذي يتأجج بنيران الحقد على ذلك الجدار الذي بات ينمو ، حيث إنَّ الراوي أسند فعلاً حسياً إلى ما هو جماد (ذلك الجدار) ، فهذا الانزياح الإسنادي جعل من ذلك الجدار وحشاً كاسحاً حياً يُزيح كل ما يمت بصلة للحياة والسلام والعطاء والأمل ، أمام عيني تلك الحاجة (الوطن والأرض) ليحرمها من تلك القرى ، فقرى الزيتون حسب العُرف الفلسطيني رمز يدل على الحضارة والتأريخ والهوية الفلسطينية ، كما أنَّها تحمل معنى القدسية والأزلية والخلود ، فهي الآن باتت ترمز للأرض المغتصبة ، فوصف الأشياء وضعت أمام مشهد من مشاهد اغتصاب الأرض ، وقتل الحياة ، فربط بين الحياة والموت ، وكذلك ربط الأشجار بالشخصية والأرض أمام العدو الصهيوني وأفعاله ، فتلك الأوصاف ربطت المكان بالشخصية وحالة الصمود أمام العدو حتى لو كانت النهاية الموت ، فدماء الشهداء تنبت أشجار الزيتون الصامدة والعيش طويلاً في ظروف قاسية ، فهي إشارة على الرسوخ والثبات والقدرة على التحمل والتلاؤم))[٢]. وبذلك توحَّدت الأرض بالمقاومة ، وأصبحت مصدراً من مصادر الإلهام الثوري ، الذي يهدف إلى استعادة الحقوق المغتصبة .

---

[١] حدث ذات جدار : ٢٣ .

[٢] شعرية الوصف في قصص سناء الشعلان : ١٦٦ .

وفي المجموعة القصصية (الهروب إلى آخر الدنيا) صورة مشرقة للمرأة الفلسطينية وحبِّها لزوجها ، ووفائها لعائلتها ، المرأة التي تحمل بداخلها الحب والحنان لمن تحب ، والتحدي للمحتل الإسرائيلي . وقد تجلَّى ذلك في قصة (عينا خضر) ، إذ نجد المرأة الفلسطينية العاشقة التي رأت عيني خضر فبدأ الحب يدخل إلى قلبها ، ومن ثم تكلَّل هذا الحب بالزواج ، وتكوين الأسرة ، فهي قد اختارت من تحب ، وأفصحت عن مشاعرها وأحاسيسها ، ((**عيني خضر ، تينك العينين اللتين تنزرعان في أديم وجهه الحنطي ، وتشرقان مثل نخيل أخضر ببريقٍ شمسي في بيداء أشواقي، تلك الأشواق التي وُلِدت منذ أن كنَّا طفلين ، وعندما كبرنا قلت له بحزم يغلَّفه دلالي الريفي على استحياء الصفصاف (تزوَّجني يا خضر) وإلا سوف أقتل نفسي ، وتكون خطيتي في رقبتك إلى يوم الدين**))[1]. وهنا لم تكن علاقة الحب التي اطَّلعنا عليها في القصة علاقة مشوَّهة ، أو يشوبها الابتذال ، أو اللهو وقضاء الوقت ، بل كانت علاقة بريئة ، تعتمد براءتها من الواقع الاجتماعي الذي كانت تعيش فيه المرأة ، فهي تنطلق من قيم وعادات ريفية ، لذلك كان هدفها من الحب هو الزواج وإنجاب الأطفال ، وقد وصفت لنا القصة ، أجواء تلك العلاقة التي كانت منذ الطفولة واستمرت إلى أن وصلت إلى مرحلة الإعلان ، والبوح بالمشاعر، التي انطلقت في أجواء الحياء ، بما يعطي صورة واضحة أنَّ المرأة الفلسطينية وُفِّقَتْ بين مشاعرها وأهدافها، وهمومها الوطنية ، وهي تعلم أنَّ الحياة بحاجة إلى الحب والصلابة في ظل الواقع المتأزم الذي خيَّم على الفلسطينيين وهم يرزحون تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي . وهي كانت واثقة من حبَّها ، وقد جرَّبت حبيبها ، وتعرف ردود أفعاله التي جاءت على وفق أهوائها ورغباتها ، كما تروي : ((**لكزني برفق على غير استحياء وقال لي وآلاف البيَّارات تشرق في عزم عينيه (الله يلعن إلِّي خلَّفوك) ، لا استطيع العيش**

---

[1] الهروب إلى آخر الدنيا : ٥٧ .

بدونك ، والله سوف اتزوَّجك بعد موسم الحصاد))[١]. وهنا تجلَّت المودة والهيام بأبهى صورها ، وعلا صوت الحب والانسجام والتفاعل ، وقد كشف عن ذلك الأداء اللغوي في خطاب (خضر) ، الذي شكَّلت اللغة العامية الأساس الذي ارتكز عليه ، بما يوحي أنَّ مشاعره وأحاسيسه كانت تغلي بداخله ، ولم يعد باستطاعته إخفاء آثارها ، لذلك لم يجد أفضل من اللغة الشائعة وسيلة لتجسيد انفعالاته وعواطفه : ((فهي بمثابة لسان حال ، تعبر عن العفوية ، فتبوح بمكنونات الجسد ، وعذابه وتُستعمل اللغة الدارجة قصد إشاعة جو الألفة والحميمية ، ورفع الكلفة تجاه الشخوص المتحدثين بهذه اللغة))[٢]. لذلك كان تضمين الخطاب القصصي كلمات متداولة في الحياة اليومية ، يشير إلى عمق العلاقة بين المتّخاطبين ، ويدل على عمق التواصل والمودة بينهما ، وما كان يتطلَّبه الموقف التواصلي من البساطة والوضوح في الحوار التخاطبي . وقد ازداد الحب حتى وصل إلى الزواج : ((**وصدَّقتُ عينا خضر ، وتزوَّجنا ، وبتُ في كل ليلة اتعبَّدُ في محراب عينيه ، لأغفو على رموشهما وزاد عشقي لعيني خضر اللتين تحملان من العزم والحب ما لا يعرفه الكثير من البشر**))[٣]. وبذلك أصبحت عينا خضر مصدراً للحب والجمال ، انطلاقاً من دلالتيهما السيميائية ، ودورهما في التواصل والتقارب ، ((فالعيون وجوه للقلوب ، وتبدو منها أحوال النفس وأسرارها ، ولذلك يمكن أن تحقِّق بجمالها أو بحالها خطاباً

---

[١] الهروب إلى آخر الدنيا : ٥٧ .

[٢] الأنساق الثقافية في الرواية السعودية ، بنات الرياض لرجاء عبد الله الصانع أنموذجاً ، رسالة ماجستير ، أمال فلاح ، آية زياد ، جامعة العربي بن مهدي أم البواقي – كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٨م : ١٢٤ .

[٣] الهروب إلى آخر الدنيا : ٥٧ – ٥٨ .

تواصلياً وتسهم في الإبانة))[١]، والكشف عن المشاعر والأحاسيس ، ربّما أكثر إيصالاً من الكلام .

وعلى الرغم من الألم الذي سبَّبه الاحتلال الإسرائيلي لأبناء الشعب الفلسطيني ، إلا أنَّها كانت تجد في عيني خضر الأمل بالمستقبل الجميل ، فكانت تستمد منهما القوة والصبر والتحدي ، وهي تحلم بالإنجاب ، والعيش بسلام ، بعيداً عن البؤس والإحباط بفعل ممارسات المحتل البغيضة : ((**وكما أهدى حبَّه لأرضه التي كان يحدَّثني كل ليلة عن حبه لها ، وعن حلمه في أن يعيش فيها في سلام ، في منأى عن كوابيس الصهيونية وجبروت الموت والدمار ، أهديته حركة قدسية تسكن في أحشائي ، وتمور بعشقي ، وتغرسني في دنيا من السعادة ، وأنا انتظر شجيرة آدميَّة زرعها خضر في داخلي تُسمَّى طفلنا ، وأحلم بأن تُشق عينا غرستنا على مثال عيني خضر**))[٢]. فالمرأة هنا تبحث عن حياة زوجية مليئة بالحب والسعادة والأمن ، لذلك كانت تحلم بالحمل وإنجاب طفل ، يكون عاملاً من عوامل الفرح والسرور ، فحبها لزوجها لا بد أن يتكلَّل برؤية طفل يزيد من أجواء البهجة والحب ، وقد ازداد التفاعل والألفة بين الزوجين أثناء فترة الحمل ، فتروي ذلك بقولها : ((**في كل ليلة تحسَّس خضر بطني ، ليطمئن على غرسته ، ثم يغفو وهو يحلم بطفلٍ يُولَد في أرض محررة ، يغفو على الحرية ، ويستيقظ عن مداعبة النفوس العاشقة لأرضه المعطاءة ، وعلى صوت مآذن القدس**))[٣]. وبذلك فإنَّ أحلام المرأة الفلسطينية في القصة تشير أنَّها قد قرنت أحلامها الذاتية والأسرية بأحلام الوطن ، فهي مثال للنساء

---

[١] وصف الجسد في الشعر الجاهلي ، د. ناصر ظاهري ، دار الخليج، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان ، ط١ ، ٢٠١٨م : ٢٤٠ .

[٢] الهروب إلى آخر الدنيا : ٥٨ .

[٣] م.ن : ٥٨ .

الفلسطينيات الباحثات عن وطنهن ، الحالمات بالحرية والاستقلال ، فما يهم بطلة القصة أن يكون المستقبل مشرقاً، وخالياً من الأزمات والمعاناة والآلام والهموم ، وبلا شك فإنَّ ما تمنَّته لطفلها أو ما حلمت به لأسرتها يمثِّل حالة عامة أرادت لها أن تسود في مختلف أنحاء البلد الفلسطيني ، فلا حياة آمنة ولا مستقبل في ظل الوجود الإسرائيلي الجاثم على صدور الفلسطينيين ، فهو من يقتل أحلامهم وأمنياتهم ، وهو ما حدث مع بطلة القصة ، إذ اصطدمت أحلامها بماكنة الموت الإسرائيلي ، وفقدت زوجها قبل أن يرى طفله يخرج للوجود ، ((**وأخيراً تفتَّق جسدي العاشق عن غرسنا الجميل ، كانت كل العيون حولي ، إلا عينك يا خضر...آه من القهر والموت ، كل العيون تجتلي طفلك، وتقبِّله إلا عينيك يا خضر، فهما تستحمان في غياهب الموت، وتقدّمان محجريهما للدود والعفونة، كما قدَّمتَ مكرهاً نورهما لعدوٍ غاصبٍ**))[١].

وممّا لاشك فيه هو أنّ القاصة سناء شعلان استثمرت قدرتها الإبداعية ، ومعرفتها بفنون القص من أجل تعرية المحتل ، وفضح ألاعيبه ووسائله وأساليبه العدوانية ، فبيَّنت ((للقارئ التصرفات الصهيونية بنقل الصورة العامة لهم ، حين يرى الآخر نفسه في مرتبة التفوق والتقدم العسكري ، لهذا يشرِّع لنفسه سياسة العنف))[٢]. ويبرِّر ممارساته العدوانية تجاه الشعب الفلسطيني ، لكن ذلك لم يمنعهم من المطالبة بحقوقهم ، ورؤية بلدهم حراً كريماً معافى ، يعيش أبناؤه بسلام وحرية تامة ، وقد شكَّل حلم التحرير هاجساً يراودهم جميعاً . ومن بينهم المرأة التي وقفت إلى جانب الرجل في نضاله وأمنياته ، وتحَّملت معه أعباء التحرير ومقاومة المحتل ، وتمثَّل ذلك في قصة (جمهورية فلسطينية لمدة ٩٥ كيلو) التي استعرضت موقفاً شجاعاً لامرأة فلسطينية كان همها الوحيد هو تحرير بلدها من براثن الاحتلال ، امرأة اتخذت من الجهاد سبيلاً

---

[١] الهروب إلى آخر الدنيا : ٥٨ .

[٢] صورة الأخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية : ٢٣٨ .

لتحقيق آمالها على الرغم من حداثة سنها ، وقلة تجربتها بأحداث الحياة المختلفة ، إلا أنَّها عقدت العزم على تحقيق أهدافها ، ((**اسمها دلال المغربي، واسمها الحركي في الفداء (جهاد) ، أحلامها كبيرة ، لكنها الأكبر منها على الرغم من أنَّ عمرها لا يتجاوز العشرين عاماً من سنين العذاب الفلسطيني ، التي ذاقت فيها ويلات التهجير والشتات والمذابح وعذابات المخيمات وضنك الحياة والفقر والاضطهاد والظلم**))[١].

لذلك تشكَّل لديها وعي بأنَّ لا خلاص من الفقر والتشرد والظلم والقمع والدمار ، إلا بالخلاص من المحتل ، وهزيمته وطرده خارج الحدود ، مهما كانت التضحيات ، لذلك اختارت العمل الفدائي ؛ لأنَّه العمل الوحيد الذي باستطاعته استعادة الأرض ، وتحرير الوطن ، وقد كانت تستمد من العَلم الفلسطيني القوة والقدرة على مواصلة الكفاح والجهاد ، فـ ((**الآن هي بإجلال وتقديس تقبِّل العَلَم الفلسطيني ، الذي كانت تطويه في جيب ملابسها العسكرية ، التي تشفُّ عن جسدها الهزيل الصغير ، الذي قدَّ ثوب الطفولة منذ زمن طويل ، وهجر الأنوثة المتقاعسة المهزومة ، وقرَّر أن يكون حطباً مقدساً في أتون الوطن ، لقد تدربت طويلاً على أيدي أمهر الفدائيين الفلسطينيين في لبنان ، لتصل أخيراً إلى هنا ، وتعلّق علم وطنها في مقدمة الحافلة التي تختطفها**))[٢]. لقد كانت تبحث عن أي وسيلة ، لإذلال المحتل وإذاقته طعم الهزيمة ، جاعلة من العلم الفلسطيني رمزاً وعلامة على الاستقلال والحرية ، لذلك عملت جاهدة على أن تجعله يرفرف في عقر دار المحتل، وفي عاصمته المزعومة ، فأينما علا العلم يعني التحرير والحرية ، وهو ما كانت تحلم به (دلال) ، ((**الآن هي تحقق حلمها ، وتحرَّر تل الربيع لا تل أبيب من قبضة العدو الصهيوني لمدة ست عشرة ساعة ، وتعلن الجمهورية الفلسطينية الحرة المنتصرة على امتداد ٩٥**

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ٧٢ .

[٢] م.ن : ٧٢ .

كيلو في العمق المحتل من تل الربيع من حافلة صهيونية اختطفتها هي ومجموعتها الفدائية ، ليرفرف العلم الفلسطيني بكبرياء في مقدمة الحافلة العسكرية التي تخطفها أمام دهشة العيون الصهيونية التي ترتعد بخوف وجبن))[١]. وهي بهذا العمل البطولي لا تقل شأناً عن الرجل في ملحمة التحرير ، وصولاً إلى النصر ، فتثبت في نفوس الفدائيين القوة والشجاعة ، وتعزز بداخلهم الصبر والتحدي والإصرار على المقاومة ، ((**تصرخ فيهم ، وتقول بنبل وفروسية نادرة : نحن لا نريد قتلكم ، نحن نحتجزكم فقط رهائن لنخلص رفاقنا المعتقلين من براثن أسركم ، نحن شعب يطالب بحقه بوطنه الذي سرقتموه . ما الذي جاء بكم إلى أرضنا؟))**[٢]. وهنا وجَّهت للرهائن الصهاينة خطاباً بليغاً ، جاء نابعاً من عمق المعاناة والألم والحزن ، وقد شحنته بدلالات الإنسانية ، بعيداً عن منطق الانتقام والقمع ، وهذا يدل على أنَّ المرأة الفلسطينية كانت صاحبة قضية إنسانية ووطنية كبيرة ، همها الوحيد هو تحرير أرضها ، واستعادة وطنها المختطف ، واسترجاع الحقوق المسلوبة ، لذلك كان خطابها خطاباً عقلانياً يرتكز على مجموعة من الحجج والبراهين الدامغة التي لا تقبل الشك ، جسَّدتها عبر عرض مطالبها أمام الرهائن الصهاينة (نحن لا نريد قتلكم) ، و(نحن نحتجزكم فقط رهائن لنخلص رفاقنا المعتقلين من براثن أسركم) ، و(نحن شعب يطالب بحقه بوطنه الذي سرقتموه) ، وختم خطابها بسؤال عميق الدلالة والمغزى ، يختصر معاناة الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي البغيض ، بقولها : (ما الذي جاء بكم إلى أرضنا؟) . وبذلك فهي ((**حقَّقت حلمها أخيراً بإعلان تحرير وطنها ، فهي تعيش أجمل لحظات عمرها في عمق الأراضي المحتلة من وطنها بعد**

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ٧٢ – ٧٣ .

[٢] م.ن : ٧٣ .

أن حرَّرتها ولو لزمن قصير ، هو زمن عملية الاختطاف وعبور ٩٥ كيلو في داخل تل الربيع))[١].

أمَّا في قصة (نطفة) ، فإنَّ محاولات الاحتلال الإسرائيلي القمعية ، وأساليبه الإرهابية ، لم تمنع الفلسطينيين من ممارسة حقهم في الحياة ، وتكوين أسرة سعيدة عبر إنجاب الأطفال بوسائل طبية ، بعد أن عجز الزوجان عن اللقاء الطبيعي بينهما في محاولة للقضاء على اليأس والقنوط ، والوقوف بوجه الصعاب والتحديات : **((نطفة واحدة هي من انتصرت لها على الحرمان والقطيعة والسعادة والسجون والأسوار ، بفضل خطة بوليسية مبتكرة دبَّرها طبيبها المعالج في مستشفى التلقيح ، وأخيراً استطاعت أن تهرِّب نطفة من زوجها الأسير الفلسطيني في المعتقل الصهيوني))**[٢]. فكل أفعال الاحتلال الإجرامية لم تقضِ على إرادة الفلسطينيين ، ولم تعقهم عن بناء المستقبل ، وبث الحياة في أرجائه ، ففصل الزوجين عن بعضهما لا يعني فقدان الأمل بإنجاب الأطفال ؛ لأنَّ التحدي كفيل بإيجاد السبيل الموصّل إلى مرادهما . لذلك ابتكرت الزوجة – بعد غياب زوجها بفعل الاعتقال والسجن – طريقة شرعية وسليمة للإنجاب ، عبر تهريب النطف من زوجها المعتقل ، على الرغم من صعوبة الأمر، وضعف الأدوات والوسائل ، وقدمها ، وعدم قدرتها على أداء المهمة بالصورة المُثلى ، لكن حب الحياة أسمى من كل شيء ، وباستطاعته فسح المجال أمام العقل ، ليأخذ دوره في التفكير ، وابتداع وسائل جديدة تكون قادرة على الإيفاء بالغاية المنشودة : **((كانت طريقة تهريب النطفة بدائية تماماً ، وذلك بوجود شهود من أهلها وأهله كي لا يقدح أحد في شرفها ، وهي من حملتْ وزوجها غائب عنها**

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ٧٤ .

[٢] م.ن : ٨٧ .

منذ سنين في أسر المعتقل الصحراوي البعيد))[١]. لقد أُجريت عملية نقل النطف في ظل طقوس خاصة تُبعد الشك والريبة ، وتجعل الأمر سليماً لا يمكن لأحد أن يطعن به في المستقبل ، وتحافظ المرأة على شرفها وسمعتها ، فتمنع أحاديث القدح والشتم والطعن التي قد تطالها ، وفي ختام أحداث القصة انتصرت إرادة الحياة ، وتحقَّق الحلم بالإنجاب ، ((**وأخيراً أنتصر على الموت حيوان منوي واحد شجاع همام . وصافح الحياة في رحمها ، وأصبح جنينها (عمار) الذي جاء إلى الحياة مُهرَّباً من المعتقل الصهيوني ليحمل اسم والده الأسير ، ويعده بغدٍ لا يموت ، ويهبه إصراراً على الحياة ، وينذر نفسه لحمل راية والده حيث العلم الفلسطيني يرفرف عالياً))**[٢]. وهنا اتَّضحت الغاية ، وانكشفت الأهداف من الإصرار على الحمل والإنجاب ، فالوطن بحاجة إلى دماء جديدة ، وأبناء أوفياء ينهضون بمهمة الدفاع عن الوطن، ومقاومة المحتل ، وصولاً إلى تحرير الأرض المغتصبة ، فمشروع (سعاد) من الإنجاب لم يكن مبعثه عامل الأمومة وتربية الأبناء فحسب ، بل كانت تنظر إلى الوطن بوصفه القضية الكبرى ، التي لا يمكن التنازل عنها أو السكوت على المأساة أو المؤامرات التي تُحاك ضده ، وتريد النيل من أبنائه . لذلك فهي لم تكن مستسلمة ومُذعنة لممارسات الاحتلال الإسرائيلي ، بل كانت على قدر كبير من المسؤولية والتضحية وحب الوطن ، فعملت على مقاومة المحتل بطريقتها الخاصة ، وقد انتصرت إرادتها ، وحقّقت مقاصدها في أن تجعل من الإنجاب سلاحاً فتَّاكاً لا يمكن الوقوف بوجهه أو التقليل من قوته وفاعليته ، فالأطفال هم من يحملون راية الجهاد والمقاومة ، وهم من يرفعون علم الدولة الفلسطينية عالياً : ((**الآن أمه (سعاد) هي الأسعد في هذه الحياة ، تحمله وتختال به أمام الجنود الصهاينة السجانين الذين أوصدوا الأبواب**

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ٨٧ .

[٢] م.ن : ٨٧ .

دون زوجها ، ولكنَّهم ما استطاعوا أن يحرموه من حلم الأبوّة))[١]. وهنا لم يستطع الصهاينة بأعمالهم الشنيعة أن يوقفوا الحياة ، ويجهضوا آمال الفلسطينيين وأحلامهم في العيش الآمن مثلما يعيش الآخرون ، لذلك عملت (سعاد) على الثأر لاعتقال زوجها ، وإرسال رسائل شديدة المعاني والدلالات ، مفادها أن لا شيء يقف أمام رغبة المرأة الفلسطينية في رؤية بلدها آمناً وسالماً معافى ، وأنَّ كل عمليات وأساليب القمع والاعتقال لا يمكن لها أن تثني أبناء الشعب الفلسطيني عن ممارسة أنشطتهم اليومية ، غير مبالين بحجم العدوان الإسرائيلي ، ووسائله المدمّرة. لذلك قابلت (سعاد) العنف الذي مارسه الصهاينة ضدها وضد زوجها ، بالأمل والتشبث بالحياة ، وإنجاب الأطفال الذين سيحملون راية التحرير في المستقبل : ((**تبتسم لزوجها ابتسامة نصر، وتمدُّ له ابنهما (عمَّار) ليطبع قبله هوائية على جبينه مخترقة الفاصل الذي يبعدهما ، وتؤمله بأن يكون هذا الطفل الرضيع رجلاً شهماً مناضلاً قوياً ينتظره على باب المعتقل عندما تقضي مدة محكوميته ، ويخرج منه بعد نحو ربع قرن ، فيربتْ بحنان على شيخوخته ويعود به إلى البيت حيث الجميع في انتظاره**))[٢]. فكل أسلحة الدمار والخراب وأساليب الترويع ، لم يكن بمقدورها القضاء على ابتسامة (سعاد) ، التي كانت وسيلتها في ردع جبروت العدو الإسرائيلي ، والقضاء على طغيانه وظلمه ، كذلك لم تقم كل حواجز المحتل من صد أو منع القبلة التي أرسلها الطفل (عمار) ، التي لم تكن مجرد قبلة طبيعية ، بل كانت تحمل في طياتها دلالات واسعة ، فهي إعلان عن أنَّ لا خوف على مستقبل فلسطين ، فهناك من سيقوم بالأمر لاحقاً ، وسيذيق العدو طعم الهزيمة والخيبة ، فالطفل الذي تشكَّل ووُلد وترعرع في تلك الظروف القاسية ، سيكون له شأن كبير ، فقد أرضعته أمه القيم السامية ، والشجاعة

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ٨٨ .

[٢] م.ن : ٨٨ .

والبطولة والصبر والإقدام وعدم الاستكانة ، ورفض الذل والخنوع ، وعلَّمته أن لا شيء أكبر من الوطن ، فلأجله تهون الصعاب والشدائد ، ويرخص الغالي والثمين .

ومن صور المرأة الفلسطينية المحبة لوطنها ، والمنطلقة لتحريره ، ما جاء في قصة (جندي) التي تحكي لنا الدور الكبير والمؤثر في مسيرة النضال الفلسطيني ، فهي الأم الصابرة المناضلة التي تحث ولدها على الجهاد ، فتشعل بداخلها جذوة الحماس والثورة ، من أجل تحرير وطنها من الصهاينة ، فقامت بسلسلة من الممارسات التحشيدية ، ابتدأت بتقبيل ولدها أمام الآخرين من أبناء الوطن ، وحمَّلته وصيتها الداعية إلى بذل ما بوسعه في سبيل التحرير ، فقد ((**قبَّلته أمه ، وقالت على رؤوس الأشهاد من أسرته وأقاربه : إياك أن تعود إلى البيت قبل أن تحرروا فلسطين . لن أرض عنك إن لم تفعل ذلك**))[١]. وانطلاقاً من وصية أمّه ، بادر إلى الانخراط في المؤسسة العسكرية ، من أجل التدريب والاستعداد لساعة التحرير ، والقضاء على الوجود الصهيوني في أرض فلسطين ، وإخراجه بعيداً عن الوطن . فكان يستمد القوة والعزيمة والقدرة على المقاومة مَّما قالته أمه ، والذي أسهم في تعميق إيمانه بوطنه ، وحبه لقضيته العادلة ، ((**لقد تجنَّد في هذا الجيش منذ سنتين ، لكن هذا التحرير هو مهمته المقدسة ، يشعر بفخر عظيم لأنه ضمن جيش عربي جاء ليشارك في تحرير فلسطين من عصابات صهيونية استولت على جزء كبير منها**))[٢]. فالمقطع القصصي يكشف عن أنَّ البعد عن الوطن لم يقف حائلاً أمام التحاق أبناء الشعب الفلسطيني المهجرين خارج الوطن ، ضمن صفوف جيوش البلدان العربية الأخرى ، ما دامت الغاية واحدة ، وهي طرد المحتل الصهيوني ، لذلك أصرَّ الفتى الفلسطيني على مواصلة درب الجهاد كما تذكر أحداث القصة بعزيمة كبيرة ، وإصرار عظيم ، وقد

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ١٣١ .

[٢] م.ن : ١٣٢ .

كانت وصية أمه الغذاء الروحي الذي فجَّر بداخله صوت الثورة ، وأشعل فيه أوار التحدي والصمود ، وهنا يذكر الراوي : ((**بدأت الحرب مع شرذمة من الصهاينة ، يستطيعون أن يبيدوهم جميعاً مع غروب شمس هذا اليوم إن اجتهدوا بإخلاص لذلك ، إلا أنَّ أمراً بالانسحاب يأتيهم من قيادتهم هناك في العاصمة العربية ، يتعجَّب من هذا الأمر الذي جاء في قمة انتصارهم ، ينسحب الجيش الذي يأويه كاملاً ، ولكنه يرفض أن ينسحب ، ينطلق وحده عكس جيش الجباه المحنية والعيون المكسورة والبنادق الخاذلة ، ويقرر أن يقاتل العصابات الصهيونية وحده**))[١]. وهذا الإصرار الكبير ، والإرادة الصلبة لم يأتِيا اعتباطاً ، إذ إنَّهُ كان يستمد القوة والشجاعة والتحدي ممَّا أوصته به والدته ، فأبى أن يعود مهزوماً ، رغم حالة الانكسار التي ظهرت ملامحها على الجيش العربي الذي كان يقاتل في صفوفه ، ولم يفت في عضدهِ ما رآه من خذلان واضح ، وتراجع وانهزام مقصود ، بفعل العامل السياسي الذي كان بمثابة الخنجر الذي ذُبِحت به القضية الفلسطينية في أغلب أوقات الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي البغيض . وبذلك فإنَّ ما قام به الجندي المجاهد انطلاقاً من وصية والدته – رغم قلة السالكين معه في طريق الجهاد والنضال – يعطي صورة واضحة عن الدور الكبير والفاعل للمرأة في تغيير مجرى الأحداث ، إن هي أُعطيت الفرصة المناسبة والكافية ، ورُفعت عنها نظرة الاحتقار والتهميش والإقصاء ، وفُسِح المجال أمامها لتمارس أدواراً كثيرة (سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية ونضالية) .

وفي قصة (الأم) نجد (الأم خضرة) المرأة التي لم تنجب أطفالاً قط ، إلا أنَّها كانت تعدُّ نفسها أمَّاً لجميع الأسرى في المعتقلات الصهيونية سواء أكانوا فلسطينيين ، أو غيرهم . وعلى الرغم من أنهم لم يعرفوا عنها شيئاً ، إلا أنَّها كانت تعرف أشياء كثيرة عن حياة كل واحد منهم ، فما أن يدخل أحدهم المعتقل حتى ((**يغدو أبنها خبط**

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ١٣٢ .

عشواء فور دخوله المعتقل ، تقطع أيامها تدور من معتقل الى آخر ، وتزور أبنائها الأسرى ، وتظهر اهتماماً خاصاً بأبنائها الأسرى المقطوعين عن بلادهم وأهليهم ، بعد أن جاءوا إلى فلسطين لأجل الدفاع عنها))[١]، فكانت تشعر بالمسؤولية تجاه وطنها الجريح ، وتحاول أن تضمِّد شيئاً من جراحه ، وتخِّفف من مأساته وأحزانه ، فتمارس دورها الوطني بمنتهى الطيبة والحنان متخطية آلامها المتعلقة بعدم قدرتها على الإنجاب ، لتتصهر في أجواء الوطن ، لعلها تسهم في إنقاذه من محنته ، وبذلك أعطت صورة ناصعة البياض والجمال للمرأة الفلسطينية ، المحبة لوطنها ، وتطلعاته وآماله ، فقدَّمت نفسها على أنَّها الوفية للمضحين من أجل وطنها ، فقابلت كرمهم بأنفسهم برعايتهم وزيارتهم في المعتقلات الصهيونية ، فكانت أمَّاً رائعة وكبيرة بوفائها وكرمها وطيبتها وحنانها وشجاعتها ، **((هي أم الأردني الذي ترك مدرسته ، وجاء ليدافع عن فلسطين ، وهي أم الأسير العراقي الذي أقسم على أن يصلي في المسجد الأقصى بعد أن يتحرَّر بمشاركته ، وهي أم الأسير اليمني الذي جاء يشارك في تحرير فلسطين إكراماً لأخوال ابنه ، وهي أم الأسير الجزائري الذي أقسم على أن يجاهد حتى تحرير فلسطين كما جاهد والده وجده لتحرير بلادهم من المستعمر الجزائري ، وهي أم الأسير المصري الذي ترك عروسه وجاء إلى فلسطين ليدافع عنها ؛ لأنَّها عروسه الأجمل))**[٢]. وبذلك امتزج الهم العربي بالوجع الفلسطيني ، وذابت الحدود الفاصلة بين البلدان العربية ، واختلط الدم العربي ، فكانت لوحة جميلة مليئة بصور التضحية والفداء والنضال ، لذلك كانت (الأم خضرة) تبذل جهوداً كبيرة في سبيل رعاية الأبطال القادمين من أوطانهم لتحرير بلدها من براثن الاحتلال الصهيوني ، عبر سلسلة من الأعمال الإنسانية ، **((هي تعد الأيام إلى حين خروجهم**

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ١٥ .

[٢] م.ن : ١٥ – ١٦ .

من معتقلاتهم ، وتتابع مع المحامين ومؤسسات متابعة قضايا الأسرى كل مستجد يخصُّهم ، وترسل الرسائل إلى عائلاتهم ، وتكتب الرسائل المزورة لهم إن لم يصلهم رد لسبب ما من أهاليهم خارج فلسطين))[١]. ومن أجل أن تحقَّق أهدافها النبيلة ، فقد كانت لا تساوم على قضيتها ، وتعمل جاهدة على كسب المال الكافي لأداء مهمتها في رعاية الأسرى ، والإيفاء بمتطلباتهم واحتياجهم ، **((إنَّها أم جميع الأسرى ، إنَّها (الأم خضرة) التي تقارع التجَّار والمتسوِّقين في السوق ، وترفض أن تساوم في أسعار بضائعها من الخضروات والفواكه ، فأي نقص في مربحها يعني أن يقل مخصَّص أحد أبنائها الأسرى من عونها ، على الجميع أن يدفعوا الأسعار التي تطلبها (الأم خضرة) دون فصال ، كي تطير بالمال إلي أبنائها الأسرى))**[٢]. وهنا أثبتت المرأة الفلسطينية مدى قدرتها في مجالات الحياة المختلفة ، وإدارة حياتها . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل كانت قضايا وطنها الجريح تشغل تفكيرها ليلاً ونهاراً ، وقد قدَّمت همومه على هموها الذاتية .

---

[١] تقاسيم الفلسطيني : ١٦ .

[٢] م.ن : ١٦ .

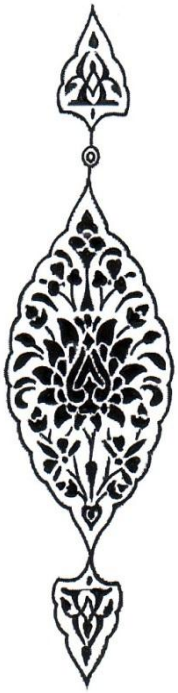

الخاتمة

الخاتمة

وفي الختام صار لزاماً علينا أن نذكر أهم ما تم رصده وتسجيله من نتائج ، بناء على ما جاء في متن الدراسة ، ومن أبرزها :

* كشفت الدراسة أنَّ مدى التهميش والإقصاء الذي لحق المرأة قد أدى إلى بروز أصوات رجالية ونسائية عديدة في العقود السابقة ، عملت على تصحيح التعامل الخاطئ مع المرأة ، والعمل على إنصافها ، رغم الإرث المثقل بالتوجهات الذكورية ، والذي كان عملاً مقصوداً . وقد قاد هذه الحركة التصحيحية مجموعة من المبدعين العرب ومن الجنسين على حد سواء ، لذلك جاءت جهود القاصة سناء شعلان ضمن إطار مناصرة قضايا المرأة ، لتأخذ دورها الحقيقي في بناء المجتمع .

* بناء على ما سبق ذكره ، فقد اتَّضح أن الميدان السردي قد شكَّل فضاءً رحباً قادراً على استيعاب تناقضات الحياة ، وتجسيدها بطريقة فنية ، تكون مؤثِّرة في المتلقي ، لذلك استثمرت الكاتبة سناء الشعلان المساحة المتوافرة في الفن السردي ، بهدف نقل جوانب مختلفة من قضايا المرأة ، لا سيما ما يتعلَّق بكفاحها ونضالها ورفضها للواقع المؤلم ، فعمدت إلى إبراز صور متعددة من صراع المرأة وتمردها على المستويين الاجتماعي والسياسي . والهدف من وراء ذلك ، ليس تشويه صورة المرأة ، بقدر ما هو فضح الممارسات الخاطئة التي كانت تستهدفها ، وعملت على تقييد حريتها ، ومنعتها من البوح بمشاعرها وأحاسيسها ، لذا قامت الكاتبة بتوجيه سهام النقد إلى الواقع الذي تعيشه المرأة ، بأركانه المختلفة (الزوج ، والأخ ، والأب ، والقبيلة ، والسلطة الحاكمة ، والمحتل الصهيوني) ، وتقويض حججه ، وتعرية أساليبه ، بحثاً عن حياة كريمة ، تعيش فيها المرآة آمنة ، فتمارس دورها في المجتمع ، بعيداً عن الإقصاء والتهميش .

* رصد البحث الكثير من حالات الاستلاب التي تعرضت لها المرأة ، فبدت منكسرة وحائرة ومحبطة ، بفعل الفراق وفقد الأبناء تارة ، ومذعنة وخاضعة لما يُفرَض عليها من أحكام وقرارات تحت غطاء سلطة العائلة ، والقبيلة ، والمجتمع تارة أخرى . وقد أوردت القاصة جانباً من صور المأساة والألم التي عاشها الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال الصهيوني ، وبيِّنت في مواقف كثيرة ما تعرَّضت له المرأة الفلسطينية من ممارسات قمعية ، على يد جنود الاحتلال ، التي جلبت لها الأحزان والمصائب ، وزادت من معاناتها ، وعمَّقت أوجاعها وآلامها ، فعاشت في ظل الحرمان والبؤس ، حتى أصبح اليأس عنوان حياتها ، بعدما دفعها الاحتلال إلى مفارقة أحبتها وأهلها وأقاربها . إنَّ استلاب عقل المرأة وحياتها وجسدها ومكانها ، كان من أبرز الصور التي زخرت بها المادة المدروسة ، سواء كان ذلك بفعل القمع الاجتماعي أو الصهيوني .

* فيما وقفت الدراسة عند ثنائية أخرى رافقت المرأة طويلاً ، وفي جوانب مختلفة من حياتها ، وهي ثنائية (التعلم والجهل) ، إذ عملت الدراسة إلى إبراز صور متعددة للمرأة المتعلمة التي كان لها أثر كبير في ممارسة دورها الإيجابي في توعية أبناء المجتمع ، وتنويره بالقيم النافعة بعد أن اقتحمت ميادين العلم والمعرفة والثقافة أسوة بالرجل ، متحدية في سبيل ذلك مختلف أشكال المعوقات التي كانت تقف عائقاً أمام تعلمها .

* كشفت الدراسة أنَّ الواقع الاجتماعي المثقل بالحمولات الثقافية ذات النزعة الذكورية ، قد أجبر المرأة على العيش في غياهب الجهل والظلام ، الأمر الذي دفعها إلى ممارسة أفعال بعيدة عن العلم والثقافة ، تمثَّلت في لجوئها إلى الخرافات والأوهام والشعوذة ، في ظل حالة من التخبط والتيه والضياع ، وغياب تام للتصرُّف الصحيح ، بما ينم عن هيمنة حالة الجهل والتخلف على قراراتها وتصرفاتها .

* بيَّنت الدراسة أبرز القضايا الاجتماعية التي شكَّلت محتوى كبيراً من الأعمال السردية للكاتبة سناء الشعلان ، وكانت على مساس مباشر بالمرأة سلباً وإيجاباً ، وقد تجلَّت في ميادين اجتماعية مختلفة ، متمثلة بـ (بعملها وزواجها) ، إذ حرصت الدراسة على تتبع جهود المرأة في الحصول على التعليم المناسب ، الذي يعينها على تربية أبنائها ، وقيادة أسرتها ، بما يجعلها عنصراً فاعلاً في المجتمع . إذ لم يعد مناسباً أن تكون المرأة جليسة بيتها ، وتعيش تحت رحمة الآخرين سواء في بيت أهلها أو في بيت زوجها ، فأرادت لها أن تنال أعلى المراتب العلمية لكي تكسب حريتها، وتمارس دورها بعيداً عن الضغوط والتهميش والإقصاء .

* بيَّنت الدراسة جانباً من الكيفية التي تتعلق بزواج المرأة ، وما كان يسبقها من علاقات الحب بوصفه حقاً طبيعياً من حقوقها يرتبط بمشاعرها وأحاسيسها وآمالها وتطلعاتها في تكوين واقعها الأسري ، في ظل حالة من الصفاء والود مع شريك حياتها . فأبرزت الدراسة صوراً متعددة من تجارب مجموعة من النساء في حبهن لأزواجهن ، ورغبتهن في تشكيل أسرة متماسكة يسودها الحب والوئام ، على الرغم من الصعوبات والمعاناة ، بفعل قساوة العادات والأعراف الاجتماعية التي همَّشت المرأة كثيراً ، وفرضت عليها واقعاً مؤلماً . وقد كانت المرأة الفلسطينية أنموذجاً ناصعاً للمرأة المحبة لزوجها وأبنائها ، إذ لم ينل المحتل بممارساته الإجرامية من طموحاتها ورغبتها في الحياة .

* كشفت الدراسة عن واقع مؤلم عاشته المرأة يتمثَّل بممارسة أعمال لا تتناسب مع طبيعتها وكيانها ، فقد لجأت بعض النساء إلى العمل في ظروف قاهرة ، لا سيما في ظل الاحتلال الصهيوني لدولة فلسطين ، إذ عملت المرأة الفلسطينية تحت تأثير ممارسات الاحتلال في أعمال شاقة ومرهقة ، في سبيل توفير متطلبات العيش

لعائلتها . فيما دفعت الظروف القاسية في بيئات أخرى بعض النساء إلى العمل في أماكن غير ملائمة ، والقيام بأعمال لا أخلاقية .

* أبرزت الدراسة صورة المرأة في علاقتها مع الزوج والأب والأخ ، وقد كانت العنصر الأضعف في تلك العلاقة . فما يتعلق بعلاقتها بزوجها كان يشوبه طابع الخيانة الزوجية في حالات كثيرة سواء صدرت من الزوجة أو الزوج ، بفعل عوامل اجتماعية مختلفة ، وقد مارست بعض النساء مختلف أنواع الإغراء من أجل استدراج الرجل ، وإدخاله إلى عالم الخيانة ، وهي بهذه الأفعال اللا أخلاقية تخرج من صمتها وكبتها ، وتعلن تمردها على المجتمع وقوانينه وأعرافه الجائرة .

* رصدت الدراسة معاناة الكثير من النساء في إطار الأسرة ، وما كان يقع عليهن من أذى سواء من الأب أو الأم أو الأخوة . فهي من تضحي من أجل سعادة الآخرين ، وتصبر وتتحمل أخطاءهم ، وقد لاقت في سبيل ذلك أنواعاً مختلفة من العنف الأسري ، ففي أغلب المجتمعات العربية تقع البنت ضحية التسلط الذكوري في البيت ، إذ تواجه أنواع القهر داخل الأسرة ، وقد جرى ذلك بفعل عوامل التنشئة الاجتماعية المتوارثة ، وسلطة الثقافة الموروثة التي ترفع من شأن الولد ، وتحط من شأن البنت ، إذ منحته سلطة مطلقة تبيح له الاعتداء على أخته تحت ذرائع اجتماعية واهية .

* أمَّا علاقة المرأة بالآخر الاجتماعي البعيد ، فلم تكن على وتيرة واحدة ، إذ توزعت بين العلاقة البريئة التي يسودها الحب والمودة تارة ، والانحراف والسقوط في الممارسات المحرمة تارة أخرى ، فقد عمدت بعض النساء إلى التمرد على الواقع الاجتماعي الذي خنقها كثيراً ، ولم يفسح لها المجال للبوح بمشاعرها ، وتعلن عن حبها . لذلك حاولت التخلص من التابوهات الاجتماعية ، والتحليق في فضاء الحرية عاشقة ومعشوقة .

* بيَّنت الدراسة جانباً من نضال المرأة الفلسطينية في مواجهة الاحتلال الصهيوني ، بعد أن منحت الكاتبة سناء الشعلان ذلك مساحة كبيرة من أعمالها القصصية ، وذلك لانتمائها إلى فلسطين ، وشعورها القومي ، فاستوحت الكثير من الوقائع والأحداث التي تشير إلى قوة المرأة الفلسطينية ، ودفاعها عن قضيتها ، وإصرارها على موقفها الوطني الرافض للوجود الصهيوني على أرض فلسطين ، فقدَّمت كل ما تملك في سبيل تحرير وطنها ، فهي لم تقف موقف المتفرج ، وإنَّما تسلَّحت بالهمَّة والشجاعة ، متحدية كل آلات البطش والقمع التي مارسها الاحتلال الإسرائيلي ، فوقفت الى جانب أبناء وطنها في مواجهة القتل والتهجير وسياسة الإقصاء التي اتبعها الصهاينة تجاه أبناء الشعب الفلسطيني ، ولم ينال من عزيمتها اعتقال زوجها أو ولدها أو أخيها أو أبيها ، بل ازدادت صلابة وإصراراً على الثبات والمقاومة ، فسجّلت موقفاً مشهوداً في الدفاع عن وطنها وقضاياه العادلة ، عبر ممارسات وأفعال مختلفة ، سواء بالإفصاح عن آرائها ومواقفها الرافضة للمحتل ، أو اتِّخاذها أسلوب المقاومة ومجابهة ممارسات العدو الإسرائيلي العدائية .

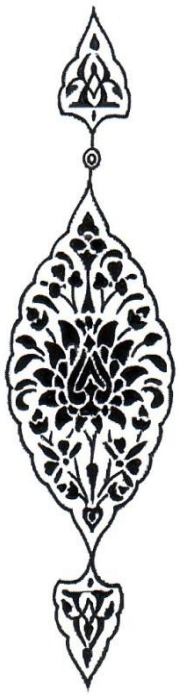

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

المجموعات القصصية المدروسة :

- أرض الحكايا ، مجموعة قصصية ، سناء شعلان ، نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي ، عمان ، (د.ط) ، ٢٠٠٦م .
- أكاذيب النساء ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان ، ، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٩م .
- الذي سرق نجمة ، مجموعة قصصية ، د. سناء الشعلان ، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٦م .
- تراتيل الماء ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان ، طُبع بدعم من وزارة الثقافة ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- تقاسيم الفلسطيني ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان ، دائرة المكتبة الوطنية ، المملكة الأردنية الهامشية – عمان ، ط١ ، ٢٠١٥م .
- الجدار الزجاجي ، مجموعة قصصية ، سناء كامل شعلان ، دائرة المكتبة الوطنية ، عمان – الأردن ، (د.ط) ، ٢٠٠٥م .
- حدث ذات جدار ، مجموعة قصصية ، د. سناء شعلان ، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٦م .
- الضياع في عيني رجل الجبل ، مجموعة قصصية مشتركة ، سناء شعلان ، فضولي للطباعة والنشر ، العراق ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- عام النمل ، مجموعة قصصية ، سناء كامل أحمد شعلان ، مطبعة تطوان ، (د.ط) ، ٢٠١٤م .

- قافلة العطش ، مجموعة قصصية ، سناء الشعلان ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
- الكابوس ، مجموعة قصصية ، سناء كامل أحمد شعلان ، دائرة الثقافة والإعلام – الشارقة ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
- مذكرات رضيعة ، مجموعة قصصية ، سناء شعلان ، نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي ، الأردن – عمان ، (د.ط) ، ٢٠٠٦م .
- مقامات الاحتراق ، مجموعة قصصية ، سناء شعلان ، نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
- ناسك الصومعة ، مجموعة قصصية ، سناء شعلان ، نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي ، (د.ط) ، ٢٠٠٧م .
- الهروب إلى آخر الدنيا ، مجموعة قصصية ، سناء شعلان ، نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي ، (د.ط) ، ٢٠٠٦م .

الكتب :

- الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية, آمال قرامي, دار المدار الإسلامي, ط١, ٢٠٠٧م .
- الاستلاب (هوبز ، لوك ، روسو ، هيغل ، فويرباخ ، ماركس) ، فالح عبد الجبار ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٨م .
- أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٦٨م .
- الأنثى هي الأصل ، د. نوال السعداوي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .

- الإنسان المتمرد ، البير كامي ، ترجمة : نهاد رضا ، منشورات عويدات ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٨٦م .
- بنيان الفحولة – أبحاث في المذكر والمؤنث ، د. رجاء بن سلامة ، دار بترا للنشر والتوزيع ، سوريا – دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- التخلف الاجتماعي ، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د. مصطفى حجازي ، (د.ط) ، (د.ت) .
- تمثلات المثقف في السرد العربي الحديث – الرواية الليبية أنموذجاً ، دراسة في النقد الثقافي ، محمود محمد أملوده ، عالم الكتب الحديث – أربد ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، د. نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيلوغرافيا الرواية النسوية العربية (١٨٨٥ – ٢٠٠٤) ، نزيه أو نضال ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- التوحش ، آليات الرفض والتمرد في الموروث الشعري ، جبريل السبعي ، الدار العربية ناشرون ، ط١ ، ٢٠١٦م .
- جماليات النص الأدبي (دراسات في البنية والدلالة) ، د. مسلم حسب حسين ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- دليل آفاق حرة للأدباء والكتاب العرب ، محمد حسين الصوالحة ، دائرة المكتبة الوطنية ، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان ، الإصدار الأول لعام ٢٠٢٠م .

- دليل الناقد الأدبي – إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً ، د. ميجان الرويلي – د. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء ، ط٥ ، ٢٠٠٧م .
- دوائر الخوف – قراءة في خطاب المرأة ، نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط٣ ، ٢٠٠٤م .
- الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية ، د. يمنى العيد ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١١م .
- الرؤية الفجائعية في الرواية العربية في نهاية القرن العشرين ، محمد المعتصم ، دار أزمنة – عمان ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- سرد المرأة وفعل الكتابة دراسة نقدية في السرد وآليات البناء ، د. الأخضر بن السائح ، دار التنوير – الجزائر ، (د.ط) ، ٢٠١٢م .
- السرد النسائي القصير في العراق ، د. نادية هناوي سعدون ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع – بغداد ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- شعرية الوصف في قصص سناء الشعلان ، تمارة رياض ذنون محمد ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمّان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٩م .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق : د. يوسف علي طويل ، دار الفكر – دمشق ، ط١ ، ١٩٨٧م .
- صورة الآخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية ، سناء جبار العبودي ، أمل الجديدة ، سورية – دمشق ، ط١ ، ٢٠١٨م .
- صورة المرأة في الرواية الأردنية ، أروى عبيدات ، وزارة الثقافة ، عمان – الأردن ، ط١ ، ١٩٩٥م .

- صورة المرأة في روايات حنان الشيخ ، رنا أحمد عبد الفتاح عبد الحليم ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية – كلية الدراسات العليا ، ٢٠١٠م .
- صورة المرأة في روايات سحر خليفة ، وائل على فالح الحمادي ، دروب للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، (د.ط) ، ٢٠١٠م .
- ضجيج الشعر الأندلسي دراسة في أنماط تمرده الموضوعية ومبانيه الفنية ، د. محمود شاكر محمود ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠١٨م .
- اللزوميات لشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبي العلاء المعري ، تحقيق : أمين عبد العزيز الخانجي ، منشورات مكتبة الهلال – بيروت ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .
- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي ، صحَحهُ : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان – بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .
- المدخل إلى فن التحرير الصحفي ، عبد اللطيف محمود حمزة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٥ ، (د.ت) .
- المرأة العربية ، الإبداع النسائي ، النظريات النسوية في خصوصية الإبداع النسوي ، كور نيليا الخالد ، سلسلة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة – المملكة الأردنية الهاشمية ، كتاب الشهر١٥ ، ٢٠٠١م .
- المرأة العربية في منظور الدين والواقع دراسة مقارنة ، جمانة طه ، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، (د.ط) ، ٢٠٠٤م .
- المرأة في الرواية الجزائرية ، مفقودة صالح ، دار الشروق للطباعة والنشر التوزيع ، ط٢ ، ٢٠٠٩م .

- المرأة والحرية – دراسات في الرواية العربية النسائية ، د. جان نعوم طنوس ، دار المنهل اللبناني للدراسات والتوثيق – بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م .
- المرأة والسرد ، محمد معتصم ، دار الثقافة – الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- المرأة والكتابة سؤال الخصوصية / بلاغة الاختلاف ، رشيدة بنمسعود ، أفريقيا الشرق ، المغرب – الدار البيضاء ، أفريقيا الشرق ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٢م .
- مضمون الأسطورة في الفكر العربي ، د. خليل أحمد خليل ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٠م .
- معجم أديبات الأردن وكاتباته ، محمد المشايخ ، دائرة المكتبة الوطنية ، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان ، ط١ ، ٢٠١٢م .
- معجم العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : عبد الله درويش ، مطبعة العاني – بغداد ، (د.ط) ، (د.ت) .
- معجم القاصين والروائيين الأردنيين ، محمد المشايخ ، تقديم : مفلح العدوان ، دائرة المكتبة الوطنية ، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان ، ط١ ، ٢٠١٩م .
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥م .
- النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب ، ابراهيم الحيدري ، دار الساقي – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
- الهامش الاجتماعي في الأدب – قراءة سوسيو ثقافية ، هويدا صالح ، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٥م .
- الوجه العاري للمرأة العربية ، نوال سعداوي ، دار ومطابع المستقبل – القاهرة , ط٣ ، ١٩٩٤ .

- وصف الجسد في الشعر الجاهلي ، د. ناصر ظاهري ، دار الخليج ، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان ، ط١ ، ٢٠١٨م .

الدوريات والأبحاث :

- الأدب الذي تنتجه المرأة في المشهد العربي يشبه حالها وفكرها وتكوينها وظرفها ، حوار مع الأديبة الأردنية سناء الشعلان ، وليد شموري ، مجلة الشاهد ، الجزائر ، عدد٧٠٧ ، ٢٠١٤م .
- الأنثى بين التمرد والاحتجاج – دراسة تحليلية بلاغية في الشعر الجاهلي ، د. مشتاق طالب منعم ، د. ياسين طاهر عايز ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، مجد ٢ ، عدد ٢٨ ، ٢٠١٨م .
- الأنوثة بين الرجل والمرأة ، د. عدنان حب الله ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، عدد٢٣ ، ١٩٨٢م – ١٩٨٣م .
- جرائم الشرف في رواية شرفة العار لإبراهيم نصر الله – قراءة على ضوء النقد النسوي ، شهريار نيازي – فاطمة أعرجي ، بحث منشور ، مجلة الآداب ، ملحق العدد ١٢٩ ، حزيران ، ٢٠١٩م .
- الخلافات الزوجية وانعكاساتها على الأسرة دراسة ميدانية في مدينة الموصل ، حاتم يونس محمود ، مجلة دراسات موصلية ، عدد٢٠ ، آب ، ٢٠١٠م .
- الرجل والمرأة في العقل العراقي الريفي إشكالية الهيمنة المزمنة ، أحمد صالح أحمد داود ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، عدد٢٦ ، ٢٠١٩م .
- رواية مثلث الرافدين دراسة سيميائية سردية ، عبد الناصر مباركية ، محاضرات الملتقى الدولي الخامس للسيمياء والنص الأدبي ، منشورات قسم الأدب العربي – بسكرة ، نوفمبر – ٢٠٠٨م .

- الرواية النسائية العربية وخطاب الذات ، سعاد طويل ، مجلة المخبر ، عدد٦ ، ٢٠١٠م .
- الشخصية المستلبة وأثرها في البناء السردي لرواية (وليمة لأعشاب البحر – نشيد الموت) ، د. زينب عبد الأمير حسين القيسي ، مجلة مداد الآداب ، عدد١١ ، ٢٠١٧م .
- قراءة في الأنساق الثقافية لنص (نسيان Com) لأحلام مستغانمي ، نوال قرين ، مجلة الخطاب ، مجلد١٤ ، عدد١ ، ٢٠١٩م .
- مساهمة المرأة في الإنتاج الأدبي ، يمنى العيد ، مجلة الطريق ، العدد٤ ، نيسان ، ١٩٧٥م .
- المرأة والسلطة قراءة في الموروث النقدي ، د. جابر خضير جبر ، مجلة واسط للعلوم الإنسانية ، عدد١٩ ، ٢٠١٢م .
- هذه مشكلة العشاق في العالم العربي ، حوار مع د. سناء الشعلان ، محمد جمال قندول ، مجلة حكايات ، السودان ، عدد ١٦٨٥ ، ٢٠١٢م .

الرسائل والأطاريح الجامعية :

- الاستلاب وأنماطه في قصص محيي الدين زنكنة ، نهى خليل إبراهيم رشيد ، رسالة ماجستير ، جامعة ديالى – كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠١٤م .
- استنطاق الذات والآخر في الرواية النسائية الجزائرية المعاصرة – دراسة في نماذج مختارة – سناء بوختاش أطروحة دكتوراه ، جامعة مولود معمري – تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٩م .
- الأنساق الثقافية في الرواية السعودية ، بنات الرياض لرجاء عبد الله الصانع أنموذجاً ، رسالة ماجستير ، آمال فلاح ، آية زياد ، جامعة العربي بن مهدي أم البواقي في كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٨م .

- الأنساق الثقافية في شعر الفقهاء (٢٤٧ – ٦٥٦ هـ) ، أطروحة دكتوراه ، زينب علي حسين الموسوي ، كلية الآداب – جامعة القادسية ، ٢٠١٧م .
- تمثلات المرأة في الرواية العراقية والإيرانية دراسة مقارنة ، محمد مهدي ياسين الخفاجي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة ذي قار ، ٢٠١٦م .
- التمرد في كتابات نوال السعداوي – مذكرات طبيبة أنموذجاً ، مليكة عتماني وكريمة أمزرار ، رسالة ماجستير ، جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية ، كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٧م – ٢٠١٨م .
- الشخصية المستلبة في الرواية العراقية المعاصرة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٨ ، رائد جميل عكلو ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٦م .
- صورة المرأة في روايات حنان الشيخ ، رنا أحمد عبد الفتاح عبد العليم ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا – الجامعة الأردنية ، ٢٠١٠م .
- العلاقة بين الضغوط النفسية والتمرد لدى المراهقين وأثر كل من صفهم وجنسهم والمستوى التعليمي لوالديهم في ذلك ، خولة محمد زايد المطارنة ، رسالة ماجستير ، الأردن ، جامعة مؤتة – كلية العلوم التربوية ، ١٩٩٥.
- الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل ، أطروحة دكتوراه ، بايزيد فطيمة الزهرة ، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة – كلية الآداب واللغات ، ٢٠١١م / ٢٠١٢م .
- الكتابة النسوية من السلطة الذكورية إلى المتخيل الأنثوي رواية (قيد الفراشة) لشرين سامي أنموذجاً ، رسالة ماجستير ، نادية مباركية – عفاف هوام ، جامعة العربي التبسي – تبسة ، كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٦م / ٢٠١٧م .

- النسق المضمر في ديوان (النبية تتجلى في وضح النهار) لربيعة جلطي – دراسة في ضوء النقد الثقافي ، مريم عزوبي ، رسلة ماجستير ، جامعة باتنة – كلية اللغة والأدب العربي والفنون ، ٢٠١٥م – ٢٠١٦م .

شبكة الأنترنت :

- استلاب الأنوثة ، إبراهيم الحيدري ، الحوار المتمدن www.m.ahewar.org .
- الجسد وفتنة الكتابة ، عبد النور إدريس https://m.ahewar.orgs.asp?aid=52850r=0 .
- حرب الزيتون في الأراضي الفلسطينية المحتلة، مصطفى قاعود ، شبكة الأنترنيت hHp:www.wata.cc,foums,shwthread.eh?18649 – 4d8 ، .
- حوار مع د. سناء شعلان ، صحيفة الرياض اليومية ، العدد ١٣٨٣٥ ، الخميس ١٣ / ربيع الآخر / ١٤٢٧هـ – ١١ / ٥ / ٢٠٠٦م . موقع الصحيفة على شبكة الأنترنت alriyadh.com .

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Basra University

College of Education for Human Sciences

Department of Arabic Language

The woman in Sanaa Shaalan's stories

A Dissertation

Submitted to the Council of the College of Education for Human Sciences as a Partial fulfilment of the requirements for the Doctorate Degree in Arabic Language and its Arts.

By Ali khalid Hamid

Supervised by Asst. Prof. Nejwa Mohammad Jumaa

2021 A D

1442 A H

Abstract

The present study deals with the image of the woman in the stories made by Sanaa Shaalan. She specified a large number of works to portray the situation of the Arabian woman showing their different aspects in the Arabian societies and documenting their culture, women rebel, and the cause of women's under-development. The narrator sheds light on women's education, work, their relation to the family, society and authority, especially the Zionism. The study , entitled "The woman in Sanaa Shaalan's stories", aims at searching for the images of women as appeared in her writings that include a variety of narrative productions. In these works, the woman occurred as a dynamic entity that pushed the process of narrative towards comprehending the females' agonies and sufferings as well as their dreams, wishes, and hopes.

The nature of work necessitates that it be divided into three chapters and a preliminary and a list of major results, followed by a list of sources and references. The preliminary section is entitled " The Image of Women throughout Ages". It is about the situation of women in the Arabian society throughout the successive periods and how the culture dimension affected the woman formation. The first chapter is specified for the Image Patterns of Women comprising two sections: the first one is concerned with The Image of Women between Rebellion and Deprivation showing the prospects of putting women within the circle of desperation as well as the impulses that led women to rebel. The second section studies the Image of Women between Under-development and Education shedding light on those factors that contributed to make the live under the conditions of underdevelopment and ignorance. Also the study shows the other side of women's images such as development and education when they

practiced their roles in various domains of life. Chapter two is concerned with the relation between women and the other, divided into two parts. The first part deals with the relation between women and the near other, especially the husband, father, and son. The second part is about the women relation with the far other, showing some types of relation practiced by women with them, whether they are innocent or guilty in such relations. The third chapter is specified to Women Social Cases, also divided into two parts. The first is on Women social cases and work by focusing on providing an image on how a woman learns and how she can get a job, exposing the difficulties that face them in work field. As well as women's marriage and divorce showing the nature of relations with the husband. The study presents aspects of her success in her marriage life and her failure in keeping her household matter on the other hand. The second paet studies Women's fight Images are about the scope of the Palestinian women's insistence on resistance and fight.

The study found out that the writer worked on showing what was hidden and behind what was silenced on concerning the case of women through producing narrative works and treated via such works. Thus, women's rebellion was the dominant trait in the writer's productions whether at the social level or cultural one that was found to be on behalf of men, or the rebellion against the Zionist practices that tortured people for a long time, in addition to other images portrayed in the writer's narratives socially and rebelliously.